التراث العربي المسيحي

١٠

ميمر في إكرام الأيقونات

لثاوذورس أبي قرّة
(المتوفى حول سنة ٨٢٥ م.)

حققه وقدم له وفهرسه
الأب الدكتور اغناطيوس ديك
من اكليروس أبرشية حلب
للروم الكاثوليك

١٩٨٦

التراث العربي المسيحي

١٠

مجموعة نصوص وأبحاث
حول إنتاج الفكر العربي المسيحي القديم

بإدارة المطران ناوفيطوس إدلبي
وبالتعاون مع الأب سمير خليل اليسوعي

ميمر
في إكرام الأيقونات

لثاوذورس أبي قرّة
(المتوفّى حول سنة ٨٢٥ م.)

حقّقه وقدّم له وفهرسه
الأب الدكتور اغناطيوس ديك
من اكليروس أبرشيّة حلب
للروم الكاثوليك

المكتبة البولسية
جونيه - ص.ب ١٢٥
لبنان

التراث العربي المسيحي
دير الملاك ميخائيل
ص.ب : ٤٤
ذوق مكايل - لبنان

المعهد البابوي الشرقي
رومة
ايطاليا

١٩٨٦

المجلدات الصادرة في هذه المجموعة

١ – **مصباح العقل**، لساويروس بن المقفّع، تحقيق **الأب سمير خليل اليسوعيّ**، ١٩٧٨.

٢ – **مقالة في التوحيد**، ليحيى بن عديّ، تحقيق **الأب سمير خليل اليسوعيّ**، ١٩٨٠.

٣ – **ميمر في وجود الخالق والدين القويم**، لثاوذورس أبي قرّة، تحقيق **الأب اغناطيوس ديك**، ١٩٨٢.

٤ – **مقالة في التثليث والتجسّد وصحّة المسيحيّة**، لبولس البوشيّ، تحقيق **الأب سمير خليل اليسوعيّ**، ١٩٨٣.

٥ – **علماء النصرانيّة في الإسلام**، للأب لويس شيخو، تحقيق **الأب كميل حشيمه اليسوعيّ**، ١٩٨٣.

٦ – **حواشي ابن المحرومة على كتاب «تنقيح الأبحاث للملل الثلاث» لابن كمونة**، تحقيق **المطران حبيب باشا**، ١٩٨٤.

٧ – **سليمان الغزّي**، مقدّمة عامة لمؤلفاته الشعرية والنثرية، **للمطران ناوفيطوس ادلبي**، ١٩٨٤.

٨ – **سليمان الغزّي**، الديوان الشعري، **للمطران ناوفيطوس ادلبي**، ١٩٨٥.

٩ – **سليمان الغزي**، **المقالات اللاهوتية النثرية**، للمطران ناوفيطوس ادلبي (قيد الطبع).

١٠ – **ميمر في اكرام الأيقونات**، **لثاوذورس أبي قرّة**، للأب الدكتور اغناطيوس ديك، ١٩٨٦.

توطئة

لقد نشرنا عام ١٩٨٢ دراستنا الأولى حولى أبي قرّة تحت عنوان «ميمر في وجود الخالق والدين القويم» وهي تشكل المجلّد الثالث من سلسلة التراث العربي المسيحي. وقد وعدنا آنذاك بمتابعة الجهد لنشر سائرمؤلفات ابي قرّة بالتتابع.

وقد تيسّر لنا الآن تقديم مؤلَّف آخر لرائد الكتّاب العرب النصارى هو «الميمر في اكرام الايقونات». هذا الكتاب هو من خيرة ما خلّفه لنا اسلافنا العرب النصارى لغةً وفكرًا، وله قيمة لاهوتية وتاريخيّة تتخطّى موضوع المقال الخاص.

وهو لا يعني اللاهوتيين فحسب، بل يهمّ ايضا جميع المعتنين بالفكر الاسلامي لأنّه يلقي اضواء على مواقف المسلمين في مطلع العصر العباسي من رسم الصور واكرامها.

وما عاد من حاجة الى تعريف أبي قرّة بعد المقدّمة المسهبة التي صدّرنا بها «الميمر في وجود الخالق والدين القويم»، فنرجع القرّاء الى المجلّد الثالث من السلسلة ونكتفي بهذه النبذة المقتضبة لمن لم يتسنَّ لهم الاطلاع عليها.

ولد ثاوذورس ابو قرّة في مدينة الرها، في الجزيرة. في اواسط القرن الثامن الميلادي وتوفّي ما بين عامي ٨٢٥ و٨٣٠. كان ضليعًا في كافة علوم عصره وأجرى اتصالات واسعة مع رجال الفكر الاسلامي في الاوساط البغدادية. ترهّب في دير مار سابا قرب القدس حيث اطلع على التراث الذي خلّفه هناك القديس يوحنا الدمشقي. ثم أصبح اسقفًا على الملكيّين في حرّان جنوب الرها.

اجرى محاورات دينية كثيرة ، منها أمام أشوط ، أمير ارمينيا ، للدفاع عن المذهب الملكي ، ومنها أمام الخليفة المأمون لإيضاح دعائم الإيمان المسيحي. وترك مؤلفات لاهوتية ودفاعية فُقدكثير منها ولم ينشر منها الا النزر القليل. وقد تُرجم بعضها منذ القديم الى اللغتين الجيورجية واليونانية ، بينما فُقد الأصل العربي.

ولكتابات ابي قرّة مكانة خاصة اذ إنه قريب من الأصول المسيحيّة ومطّلع على الفكر الاسلامي ، وهو يحاور المسلمين والمسيحيين على السواء. إنه شاهد لايمان الكنيسة في عصره ولاهوت عربي أصيل.

الأب الدكتور اغناطيوس ديك
من اكليروس أبرشية حلب للروم الكاثوليك

فهرس الكتاب

القسم الأوّل

الفصل الثالث : تحليل الميمر في إكرام الأيقونات

القسم الثاني

نص الميمر

« في إكرام الأيقونات » ٨٣

القسم الثالث

القسمُ الأوّل

مدخلٌ إلى الميمر
«في إكرام الأيقونات»

الفصل الأول
المؤلّف وظروف التأليف
مقدّمة تاريخيّة

١ – مكانة ثاوذورس أبي قُرَّة ومقالهُ في إكرام الأيقونات

يُشكِّل ثاوذورس أبو قُرَّة حلقةً تربطُ بين الآباء القدّيسين اليونان والكُتَّاب العرب النصارى. فهو من جهةٍ وريثُ فكرةِ القدّيس يوحنا الدمشقيّ، وقد عاش بعدَهُ بفترةٍ قصيرةٍ في دير القدّيس سابا حيثُ كان ذكرهُ لا يزالُ حيًّا، وعاصر تماماً سميَّهُ القدّيس ثاوذورس الاستوذيتي (+ ٨٢٦)، الذي ناضلَ مثلَهُ في سبيلِ الحقيقةِ على ضفافِ البوسفور. وفي قسمٍ كبيرٍ من كتاباتهِ يُضاهي أبو قُرَّة هؤلاءِ الآباء القدّيسين، وقد أتى بإيضاحاتٍ في تفسيرِ سرَّي الثالوثِ الأقدس والتجسّدِ، تُشكِّلُ تقدُّماً حقيقيًّا بالنسبةِ لِمَن سبقوه. وقد وضعهُ ابن العبريّ على قدمِ المساواةِ مع القدّيسَين يوحنّا الدمشقيّ ومكسيموس المعترف.

ومن جهةٍ أُخرى، فقد عاصرَ الانفتاحَ الفكريَّ لدى العرب المسلمين في عهدَي الرشيد والمأمون، وحاولَ الدخولَ في حِوارٍ معهم، وإيضاحِ المعتقدِ المسيحيِّ بلغةٍ قريبةٍ من أذهانِهم، فكانَ من رُوَّادِ الكُتَّابِ العربِ المسيحيِّين[1].

ولم يكن أبو قُرَّة غريباً عن مشاكل كنيستِه وعصره. فاذا كان قد عالجَ مختلفَ العقائدِ المسيحيَّةِ الأساسيّة التي تعمَّقَ فيها الآباء الأقدمون، لا سيّما سرّي الثالوث الأقدس والتجسّد، إلاَّ أنَّهُ تطرَّقَ مثلَ يوحنا الدمشقيِّ وثاوذورس الاستوذيتيّ إلى الدفاعِ عن الأيقوناتِ المقدَّسةِ وشرعيَّةِ إكرامِها، في عصرٍ قامَ الجدلُ حولَها، وشنَّ فيهِ الأباطرةُ البيزنطيّون حملةً شعواءَ ضدَّ مناصريها.

---

١) لقد توسّعنا في رسم شخصيّة أبي قرّة وسيرته ونشاطِهِ الثقافيّ في القسمِ الأوّل من مقدّمتنا للميمر «في وجود الخالق والدين القويم»، لثاوذرس أبي قُرَّة، الذي قمنا بتحقيقه، ويؤلِّف المجلّد الثالث من سلسلة التراث العربي المسيحي، جونية ١٩٨٢. وقد نشير إلى هذا المجلّد في مراجعنا على سبيل الاختصار بكلمة ديك.

لقد واجهَ ثاوذورسُ الاستوذيتيُّ الأباطرةَ مباشرةً ، وخاطبَهم يوحنّا الدمشقيُّ وجادلَهم من بعيدٍ وهو في مأمنٍ من بطشهم ، في الدولة العربيّة . أمّا ثاوذورسُ أبو قُرَّة فهو يتوجَّهُ بالعربيَّةِ إلى بني قومهِ الذين أخذوا يشكّكون في شرعيّةِ إكرامِ الأيقونات . إنّهُ يستهدف المسيحيّين الذين أغرتهم دعايةُ محاربي الأيقونات ، ومن ورائِهم اليهودَ والمسلمين ، الذين يُنكرون على المسيحيّين رسم الأيقونات وإكرامَها.

ويحتلُّ أبو قُرَّة مكانةً خاصَّةً بينَ الكُتَّاب الكنسيّين المُدافعين عن الأيقونات ، لأنَّهُ يتحدَّثُ في بيئةٍ عربيَّة ، ويكشفُ لنا عن العقليّةِ المتفشيّةِ في بعضِ الأوساطِ المتاخمةِ لحدودِ بلادِ الروم الشرقيّة. وقد قيلَ الكثيرُ عن تأثُراتِ الأباطرة الأيصوريّين ، محاربي الأيقونات ، بالعقليّةِ المناهضةِ للأيقونات لدى جيرانِهم العربِ والسريان.

٢ – أزمةُ الأيقونات

منذُ نشأَ فنُّ الرسمِ الكنسيِّ في القُرونِ الأولى المسيحيّةِ ، وُجِدَ من تعرَّضَ لهُ ، كما تعرَّضَ غيرُهم للموسيقى الكنسيّةِ واعتبروها بدعةً.

وإنَّ أنصارَ «الديانةِ بالروحِ » ، أمثالَ اكليمنضوس الاسكندريّ (١٥٠ – ٢١٦) واوريجانوس (١٨٥ – ٢٥٤) ، إستهجنوا رسمَ الصورِ الدينيّة ، وتبعَهم في ذلك اوسابيوسُ أسقفُ قيصريّة ، المؤرخُ الشهير (٢٦٥ – ٣٣٩).

وقبلَ أن تتفجّرَ علناً أزمةُ الصُّوَر ، تعرَّضَ بعضُ الآباءِ القدّيسين لقضيّةِ الصُّوَر المقدَّسةِ وأظهروا شرعيَّتها. فالقدّيسُ باسيليوسُ يُبرِّرُ رسمَ الصُّوَر وإكرامَها فيقول : «إنَّ إكرامَ الصُّوَرِ يَعُودُ إلى الشخصِ الذي تُمثِّلُهُ»[٢] ، ويحرّض المصوّرين المسيحيّين ، في خطابِهِ عن القدّيس برلعامْ ، على أن يُمجّدوا هذا الشهيد العظيمِ في لوحاتهم ، ويُظهروا ما تحلّى بهِ من شجاعةٍ وثباتٍ في الإيمان.

وفي سنة ٥٩٩ كتب البابا غريغوريوسُ الكبيرُ إلى سيرينوسَ أُسقفِ مرسيليا ، الذي كانَ أمرَ بنزعِ الصُّوَر المقدّسةِ من مدينتِهِ وتدميرِها : «بكلِّ حقٍّ أَذِنَتِ الكنيسةُ منذُ العُصورِ الأولى أن تُصَوَّرَ حياةُ القدّيسين في الكنائس. إنّكَ تستحقُّ المديحَ عندما تمنعُ المؤمنينَ من عبادةِ الصُّوَر ، إلاَّ أنّك تستحقُّ التأنيبَ والملامةَ عندما تأمرُ بتدميرِها وتحطيمِها. فالسجودُ للصُّوَرِ شيءٌ والتعليمُ بواسطتِها

٢) مقال عن الروح القدس ، الفصل ١٨ الفقرة ٤٥ (P.G., t. 32, col. 149). ، تعريب الارشمندريت أدريانوس شكور ص ٧٥.

– إلى من يجبُ أن تتوجّهَ عبادتُها – شيءٌ آخر. إنَّ ما يقومُ بهِ الكتابُ المقدّسُ تجاهَ الذين يُحسِنونَ القراءةَ تقومُ بهِ الصورةُ تجاهَ الأُميّين» (٣).

وكتب لاونديوس أُسقفُ نيابوليس في قبرص (٥٨٢ – ٦٠٢) مقالاً خاصًّا يُدافعُ فيهِ عن شرعيّةِ إكرامِ الصُّورِ موجَّهاً ضدَّ اليهود، وهو «دفاعُ المسيحيّين ضدَّ اليهودِ وحولَ الأيقوناتِ المقدّسة» (٤).

إلاّ أنَّ الأزمة التي تفجّرت خاصّةً في القرن الثامن، والتي سبّبت آلاماً كثيرةً للمؤمنين العُبّاد، لا سيّما للرهبان، وقضت على الكثيرِ من الثرواتِ الفنيّة، كانت مناسبةً لتوضيحِ معنى إكرامِ الأيقونات والتعمّقِ في لاهوتِها.

إنطلقت شرارةُ الحربِ ضدَّ الأيقونات من دمشق، إذ أمرَ الخليفةُ يزيدُ بنُ عبدِ الملك، عام ٧٢٣، بتحطيمِ جميعِ الصُّوَرِ في الكنائس والبيوت والمحلاّت العامّة. ولا تزال آثار هذا التحطيم قائمةً في بعضِ ما تبقّى من آثار كنائس القرن الثامن. وقيلَ إنَّ يهوديًّا قد حَضَّ يَزيدَ على تحطيمِ الأيقونات مؤكِّداً له أنّه إن فعلَ طالَ عمرُهُ ثلاثينَ عاماً.

ويبدو أنَّ اعتراضاتِ اليهودِ والمسلمينَ حملت الكثيرينَ من مسيحيّي الشرقِ العربيّ على التشكيكِ في شرعيّةِ إكرامِ الأيقونات. ونشأ بين أساقفة المناطقِ الشرقيّة للامبراطوريّةِ البيزنطيّةِ تيّارٌ مناهضٌ للأيقونات قد يكونُ تأثّرَ بهِ الامبراطور لاون الأيصوريّ (٧١٧ – ٧٤٠)، وهو من أبناءِ هذه المناطق. فقامَ بعضُ هؤلاء الأساقفة بمحاولةٍ فاشلةٍ لجذبِ البطريركِ القسطنطينيِّ القدّيس جرمانس إلى آرائهم، وذلك قبلَ أن يُعلِنَ الامبراطورُ موقفَهُ من الموضوع. لكن ما لبثَ الامبراطور لاون أن جاهرَ بمعارضتِهِ للأيقونات عام ٧٢٦. وحاولَ عبثاً أن يستميلَ إلى رأيِهِ البطريركَ جرمانس القسطنطينيَّ وبابا رومة غريغوريوسَ الثاني. ولما رأى أنَّ الأساليبَ المقنعةَ لم تنجح لجأ إلى العُنف عام ٧٣٠. فقدَّمَ البطريركُ جرمانُس استقالتَهُ. واحتجَّ البابا غريغوريوسُ الثاني بقوةٍ على سلوكِ الامبراطور. وعقدَ خَلَفُهُ غريغوريوسُ الثالثُ مجمعاً في رومة عام ٧٣١، أدانَ تصرُّفَ مُحاربي الأيقونات. فانتقمَ الامبراطورُ بانتزاعِ جنوبِ إيطاليا والبلقان من سلطة رومة المباشرة، وضمَّها إلى البطريركية القسطنطينيّة، وتابعَ بعُنفٍ حملتَهُ ضدَّ الأيقونات ومكرِّميها.

وهبَّ في الشرقِ العربيِّ القدّيسُ يوحنّا الدمشقيُّ يدافعُ عن إكرامِ الأيقونات وهو في دير

---

٣) P.L., t. 77, col. 949

٤) P.G., t. 93, col. 1597-1610.

القدّيس سابا، وكتبَ ثلاثَ مقالاتٍ دفاعيّة[٥]، أَوضَحَ فيها معنى الأيقونة وفائدتَها الروحيّة والتعليميّة. وهو يميِّز بين سجود العبادة الذي لا يجوزُ إلاّ لله، والإكرامِ الموجَّهِ للقدّيسين والأيقونات. وهو يستندُ إلى التقليدِ الكنسيّ الذي يُبرّرُ إكرامَ الأيقونات، ويُفسِّرُ معنى حظرِ العهدِ القديمِ لتصويرِ الأحياءِ بظروفٍ لم تَعُدْ تَسري على أبناءِ الكنيسة.

وفي دفاعِهِ الثاني، يأخذ يوحنّا على الأباطرة تدخّلهم في أمور دينيّة ليست من صلاحيّاتهم: «السلطة ليست للملوك في الكنيسة بل للأساقفة. أيها الملك نُطيعُكَ في ما يخصُّ إداءَ الجِزية، وفي الأمور الإداريّة... أمّا في الأُمور التي تخصُّ الكنيسة فلنا رُعاتُنا».

كتبَ يوحنّا هذا وهو تحتَ ظِلِّ الحُكمِ العربيّ، في مأمنٍ من الامبراطور. وكان لكتاباتِهِ تأثيرٌ كبيرٌ، واستندَ إليها جميعُ من كتبوا بعدَه في الدفاعِ عن الأيقونات. وتجرّأَ البطاركةُ الملكيّون - بطاركةُ الإسكندريّة وانطاكيةَ والقُدس - وأدانوا الامبراطورَ البيزنطيّ.

وتابعَ الامبراطورُ قسطنطينُ الخامسُ كوبرونيموس (٧٤٠ - ٧٧٥) سياسةَ أبيهِ، وفاقَهُ في معارضةِ الأيقونات والرهبانِ مناصريها. وأرادَ أن يُعطيَ صبغةً قانونيَّةً لحملتِهِ، فأمرَ بعقدِ مجمع «هيرية» عام ٧٥٤. وتقدّمَ فيهِ قسطنطين بخطاباتٍ لاهوتيَّةٍ دعمَ فيها اعتراضاتِهِ على الأيقونات بنظريّاتٍ عقائديّةٍ في التجسّدِ لا تتّفقُ مع المجمع الخلقيدونيّ، ونكرَ شفاعةَ العذراءِ مريم والقدّيسين. وحرمَ الأساقفةُ تكريمَ الأيقونات إلاّ أنّهم أقرّوا شفاعة العذراء والدةِ الإلهِ والقدّيسين. ولعنوا جرمانسَ «عابدَ الخشب»، ويوحنّا الدمشقيّ «صديقَ الإسلام وعدوَّ الدولة ومحرِّفَ الأسفارِ المقدّسة»، وجاورجيوس القبرصيّ. ولم يشترك بابا رومة ولا البطاركة الملكيون في المجمع وشجبوا قراراته.

وتشدّدَ قسطنطينُ في حملتِهِ ضدَّ الأيقونات ومكرِّميها، ولا سيّمَا بعد عام ٧٦١، إذ استتبَّ لهُ الأمرُ إثرَ انتصاراتهِ على البلغار والعرب. وأصدرَ عام ٧٦٦ قانوناً يوجبُ على جميع الرعايا أن يُقسِموا باللهِ بأنّهم لن يعبدوا الأيقونات. ومن امتنع عن الحلف حلَّ بهِ العذاب. ونكّلَ الامبراطورُ بالمعارضين، وأحلَّ بهم أقسى العذابات.

وتابعَ ابنُهُ لاون الرابع (٧٧٥ - ٧٨٠) سياستَه الدينيّةَ بشيءٍ من الفتورِ مراعاةً لشعورِ زوجتِهِ إيريني الموالية للأيقونات. ولمّا تُوفِّيَ لاون أصبحت إيريني الوصيَّةَ على العهد، وحكمت باسم ابنها

---

٥) P.G., t. 94, col. 1231-1420.

قسطنطين السادس. وسعت لتحسين العلاقات مع رومة والغرب سياسيًّا ودينيًّا ومهّدت بحنكة وسياسة لعقدِ مجمع يُعيدُ الوفاقَ بين المسيحيّين، ويُعيدُ إكرامَ الأيقونات. فعُقِدَ المجمعُ في نيقية عام ٧٨٧، وحضره موفدو بابا رومة والبطاركة الملكيّين. وأقرَّ المجتمعون بأنَّهم يقبلون بالتصاويرِ عملاً بالتقليدِ القديمِ الموروثِ عن الآباءِ القدّيسين، وبأنَّهم يسجدون لها باحترامٍ نسبيّ. ثم ألغوا قرارات مجمع «هيرية»، وأعادوا رسميًّا اعتبار البطريرك جرمانس ويوحنَّا الدمشقيّ.

إنَّ المجمعَ النيقاويَّ أعادَ السلامَ إلى الكنيسةِ البيزنطيّة؛ ولكن لفترةٍ قصيرة. فإنَّ أغلبيَّةَ الجيشِ ورجالاتِ الدولة كانوا لا يزالون على ولائِهم للامبراطورَين لاون وقسطنطين الخامس، اللذَين قادا الجيش إلى النصر وأعادا إلى الدولة هيبتَها واستقرارَها. وكانوا على غرارِهما معارضين للأيقوناتِ، لا سيّمَا في المقاطعاتِ الشرقيّة.

وبعدَ النكسةِ التي حلَّت بالامبراطور ميخائيل «رانغابي» وقعَ الحكمُ بيدِ لاون الخامس الأرمنيّ (٨١٣ – ٨٢٠). وكان قائداً للجيش، وجنودهُ اسيويّون لا يحترمونَ الأيقونات. وارتأى أنَّ ما حلَّ بالبلاد متأتٍّ من إعادة تكريم الأيقونات، وطلب من البطريرك القدّيس نيقيفورس نزعَها من الكنيسةِ فأبى، فجدّد لاونُ الأرمنيُّ حربَ الأيقونات، وانبرى له ثاوذورس الاستوذيتيّ بحزمٍ لا يَقبلُ أيّة مساومة.

وحبًّا بالسلام، نهى خلَفُهُ ميخائيل الألثغ أيَّةَ مشادةٍ حول الأيقونات. إلاَّ أنّ ابنَهُ ثاوفيلوس قَسَا على مكرّمي الأيقونات. ولم يَعُدِ الهُدوءُ والسلامُ إلى الكنيسةِ والمملكةِ إلاَّ عام ٨٤٣، إذ أعادت الامبراطورةُ ثاوذورة إكرامَ الأيقونات، بمساعدةِ البطريركِ القدّيس مثوذيوس، الأحدَ الأوّلَ من الصوم، في احتفالٍ مهيبٍ تُجدِّدُ ذكرَهُ الكنيسةُ البيزنطيّةُ كلَّ عام، واختفت بعد ذلك أيّة معارضة.

اختلفَ المؤرّخونَ في محاولتِهم معرفةَ أسبابِ هذه الأزمةِ التي مزّقت الكنيسةَ البيزنطيّةَ طوالَ أكثر من قرن.

يرى بعضُهم أنّها حركةٌ سياسيّةٌ اجتماعيَّةٌ تبغي التصدّي للنفوذِ المتزايدِ للكنيسةِ والرهبانِ في الحياةِ العامّة. ويرى غيرُهم أنَّ دوافعَها دينيَّةٌ، وأنَّها تنوي إصلاحَ التقوى الشعبيّة والقضاءَ على الانحرافات والتأثيرات الوثنيّة التي تسرَّبت إليها، والتقرّب من الإسلام المُجاورِ الذي يستهجنُ إكرامَ الصُّور.

وقد ارتأى بعضُهم أنّها متأثّرةٌ بنظريّاتٍ لاهوتيّةٍ تنفي ارتباطَ اللهِ بالمحسوس، وإمكانيّةَ تصويرِ المسيح الإله. ويَعزونَ ذلك إلى انحيازِ الأباطرةِ الأيصوريّين محاربي الأيقونات إلى الكنيسةِ السِّريانيَّةِ التي تنادي بوحدةِ طبيعةِ الكلمةِ المتجسِّد.

إن المؤرّخ البيزنطي ثاوفانوس، وهو من القرن الثامن ومعاصرٌ للأحداث، يقول بهذا الرأي. وجاءَ في سيرة القدّيس استفانوس الجديد، الذي استُشهِدَ في عهدِ قسطنطين كوبرونيموس عام ٧٦٤ أنّه، إذ كان يخطب في الرهبان المجتمعين حوله في موضوع الأيقونات، كان يعزو ما حلَّ بهم من ضيمٍ إلى اليهودِ والسريان[٦].

إن المطران غريغوريوس يوحنا ابراهيم متروبوليت حلب للسريان الارثوذكس يرفض هذا الرأيَ ويقولُ في كتابه «السريان وحرب الأيقونات»: «بقيت كنيسةُ انطاكية السريانيةُ بعيدةً عن مسرحِ التاريخِ البيزنطيّ منذ أواسطِ القرنِ الخامسِ للميلاد... ولهذا فلا غرابةَ إذا قلنا ان لا علاقةَ للسريان، لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ، بحربِ الأيقونات»[٧].

يسندُ المطرانُ غريغوريوس يوحنا ابراهيم موقفَهُ هذا إلى شهاداتٍ عديدةٍ تُثبتُ تكريمَ الكنيسةِ السريانيّةِ الارثوذكسيّة للأيقونات. ولكن مِمّا لا شكَّ فيهِ أنّ إكرامَ الأيقونات لم يبلغ في الكنيسةِ السريانيّةِ شأنَهُ في الكنيسةِ البيزنطيّة. ومن الممكن أن يكون بعضُ الأباطرةِ المتشاغلين بأمورِ اللاهوتِ قد استنتجوا من مبادئ اللاهوت الخريستولوجيِّ السريانيِّ نظريّاتٍ منحرفةً في شأنِ الأيقونات لا تُقرُّ بها الكنيسةُ السريانيّةُ الرسميّة. وهذا ما فعلَهُ قسطنطين كوبرونيموس في مجمع «هيرية» (٧٥٤). وإنَّ المطران غريغوريوس ابراهيم، الذي يبغي من كتابهِ المذكور «الاعتراضَ على الرأيِ القائلِ بأنَّ بعض الأباطرة البيزنطيّين كانوا متأثّرين بآراءِ مونوفيسيّة» (كذا)[٨] يوردُ، نَقْلاً عن المؤرّخينَ السريان (ميخائيل الكبير وابن العبريّ)، ما يُشيرُ إلى كونِ أيمّة المضطهدينَ للأيقونات من أنصارِ السريانِ الارثوذكس:

«في هذه السنة (٧٥٤)، دعا قسطنطينُ إلى مجمعٍ عامٍّ حضرَهُ العديدُ من الأساقفة. وإذْ إنَّ المجمعَ منعَ عبادةَ وتكريمَ الأيقونات والصُّوَر، وحرمَ جرمانسَ الأوّل بطريرك القسطنطينيّة ويوحنّا الدمشقيَّ وجرجس القبرصيَّ، وهؤلاء الثلاثةُ كانوا على مذهبِ مكسيموسَ المعترفِ عندهم، لذا **كرهَهُ الخلقيدونيّون، بينما كانَ قسطنطينُ عادلاً في تفكيرِهِ، صحيحاً في معتقدِه، مستقيماً في إيمانِهِ»** (ص ٣٤ – ٣٥).

«كان لاونُ الرابعُ ارثوذكسيًّا عندما خلفَ والدَه قسطنطينَ الخامسَ على العرش، ونَقلا عن

---

٦) P.G., t. 100, col. 1112-1117.

٧) المطران غريغوريوس يوحنا ابراهيم، السريان وحرب الأيقونات، حلب ١٩٨٠، ص ١١.

٨) الكتاب المذكور، ص ١٢ – ١٧.

مؤرخٍ خلقيدونيٍّ يُقالُ إنَّهُ منعَ عبادةَ الأيقونات ، ومن أجل هذا قيلَ **إنّهُ ارثوذكسيٌّ أي لاخلقيدونيٌّ**... والعلاَّمَةُ ابنُ العبريّ يُضيفُ أنَّ لاونَ نفى السريانَ إلى تراقيا. وأنّه **تمثَّلَ بوالدِهِ قسطنطين في محاربةِ مكرّمي الأيقونات والصُّوَر لأنّه كان أرثوذكسيًّا**»[٩] .

وانّ ما يوردُهُ أبو قُرَّة في مطلعِ المقالِ الذي نحنُ في صددهِ ، يُثبتُ أنَّ الآراءَ المعارضةَ لإكرامِ الأيقوناتِ أخذت تتفشى في الرُّها نفسِها ، وهي قلبُ الكنيسةِ السريانيّة. فالقطيعةُ لم تكن على ما يظنُّ بين العالَمَين : السرياني والبيزنطي .

«إنك أخبرتَنا يا أخانا أَنْبَا يَنَّه المقدَّس ، وأنت عندَنا بالرُّها ، أنَّ كثيراً من النصارى يتركونَ السجودَ لصورةِ المسيحِ إلٰهنا ، الذي أمكنَ أن يكونَ لهُ صورةٌ لتجسّدِهِ من روحِ القدسِ ومن مريمَ العذراء...» (١/١).

ويبقى التساؤل : هل السوريّون أثّروا في إشعال الحرب ضدَّ الأيقونات في العالمِ البيزنطي ، أم إنَّ شرارتَها انتقلت إليهم من هناك؟ إنّمَا ما لم يعد من شكّ فيهِ هوَ أنَّ مسيحيّي سوريا لم يبقوا على هامشِ أَزمةِ الأيقونات. وقد انبرى ثاوذورس أبو قُرَّة للدفاع عنها في الميمرِ الذي نحن في صَدده.

٣ – صِحّة المَقال

* الدلائلُ الخارجيّة

إنَّ صحّةَ نسبةِ الميمرِ الذي نحن بصدده إلى أبي قُرَّة ثابتةٌ بشكلٍ متميّز. فإنّ سعيداً ابن البطريق ، بطريرك الاسكندرية الملكيّ ، الذي كتبَ تاريخَهُ في مطلع القرن العاشر ، يُشيرُ إلى ميمرٍ لأبي قُرَّة في الأيقونات. فقد جاءَ فيهِ ، بعدَ ذكرِ كتابات صوفرونيوس البطريرك الاسكندري ضدَّ محاربي الأيقونات ، ما يلي : «وكانَ أبو قُرَّة مِمَّن ثبَّتَ أيضاً السجودَ للصُّوَر ووضعَ في ذلك كتاباً سمّاهُ : ميامر في السجود للصُّوَر»[١٠] .

وإنّ مخطوط لندن ٤٩٥٠ ب ، الذي حفظَ لنا المقال ، منسوخٌ سنة ٨٧٧ ، أي نصفَ قرنٍ فقط بعدَ وفاة أبي قُرَّة ، وهو ينسبُهُ بصراحةٍ إلى مؤلِّفنا : «ميمرٌ قالَهُ أنبا ثاوذورس أسقف حرّان ، وهو

---

٩) الكتاب المذكور ، ص ٣٥.

١٠) *Eutychii patriarchae Alexandrini Annales,* éd. L. CHEIKHO, C.S.C.O. (50-51), t. II, p. 64, ligne 14.

أبو قُرَّة ، يُثبتُ فيهِ أنَّ السجودَ لصورةِ المسيحِ إلهنا الذي تجسَّدَ من روحِ القدسِ ومن مريم العذراءِ المطهَّرة وصُوَرِ قدّيسيه واجبٌ على كلِّ نصرانيّ».

* **الدلائل الداخلية**

آ - إنّ مؤلِّف مقالنا يُشيرُ إلى ميامرَ سابقةٍ كتبها تناسبُ ميامرَ أبي قُرَّة المعروفة. فيقول: «وقد وضعنا نحن، أهل الجسارة، ميامرَ مِمَّا استفدنا من دقائقِ تعليمِ آبائِنا القدّيسين، حقّقنا بها أنّه لا كتابَ يَثبُتُ من العقلِ بتَّةً اليوم، إلاّ الإنجيلُ وكلُّ ما يُحَقِّقُهُ الإنجيل» (رأس ٦، فقرة ٥).

إنّ الموضوعَ الأساسيَّ لمقال أبي قُرَّة في «وجود الخالق والدين القويم» هو المقارنة بين جميع الكتب التي جاءَ بها مؤسِّسو الأديان، والإثبات بنور العقل أنَّ الإنجيلَ وحدَهُ آتٍ من الله، وأنَّ العهدَ القديمَ لا يُقبَلُ إلاّ لأنَّ الإنجيلَ يشهدُ له[11].

وقد عاد أبو قُرَّة إلى هذا الموضوع في المقال السادس (الرابع من مجموعة باشا) وعنوانه: «ميمر يُحقِّقُ الإنجيل، وأنَّ كلَّ ما لا يُحقِّقُهُ الإنجيلُ فهو باطل»، وفي المقال الخامس عشر (التاسع من المجموعة عينها): «ميمرٌ في تحقيقِ ناموس موسى... والإنجيل الطاهر... وتحقيق الارثوذكسيّة»... وقد أشارَ إليهِ في المقال في الحريّة (المقال الرابع، وهو الأوّل من مجموعة باشا) إذ قال: «فنحن ليس غايتُنا في ميمرنا هذا، لا أن نُحقّق الإنجيلَ أنّه هو الناموسُ الحقُّ التامُّ من بين كلِّ ما نُسِبَ إلى الله، ولا أن نُقرِّرَ أهلَ الجحود بالحقّ، لأنّنا قد فعلنا ذلك في غير هذا»[12].

ب - في مقالنا تعابير ومقاطع تردُ تقريباً كما هي في مختلف ميامر أبي قُرَّة: وإليك أهمّ مقاطع مقالنا التي نجدُ ما يوازيها في مقالات أبي قُرَّة المعروفة. وقد أثبتنا في عمود اليمين المقاطع المأخوذة من الميمر في إكرام الأيقونات، وفي مقابلها، في عمود الشمال، المقاطع التي تناسبها في المقالات الأخرى المنسوبة لأبي قُرَّة.

---

(١١) ديك، ص ١٤٠ - ١٤٣.

(١٢) قسطنطين باشا، ميامر ثاوذورس أبي قرّة (= باشا) ص ١٠.

١ فمَنْ من اولئك يَسمعُ النصارى يقولون: **إنَّ للهِ ابنًا هو عدلُهُ من جوهره**، إلاّ قال: إنّ هؤلاء مجانين (٢/٧).	ميمر **يُحقِّقُ أنَّ للهِ ابناً هو عدلُهُ في الجوهر** ولم يزل معه (عنوان المقال ١١/٧ من مجموعة باشا) أخبرْنا كيفَ تُحقِّق **أنَّ للهِ ابناً هو عدلُهُ ومن جوهرِهِ** كمَا ذكرتَ (المقال السابق، باشا ص ٩١).
٢ وإذا سمعهم يقولون إنّ **هذا الابنَ المولودَ من الله ليس اللهُ بأقدمَ منهُ**، أليس يَظنُّهم أشدَّ الناس مكابرة؟ (٢/٨).	فقد وَلَدَ اللهُ لا محالة، **وليس اللهُ بأقدمَ** من المولودِ منهُ (المقال ٨/٥ من مجموعة باشا، باشا، ص٨٢).
٣ وقولُهم إنَّ الآبَ والابنَ وروحَ القدسِ، كلُّ واحدٍ منهم إلهٌ كاملٌ، وليسوا ثلثةَ آلهةٍ، بل هم إلهٌ واحدٌ، أليسَ هذا موقعُهُ عندَ اولئك موقعَ جنون؟ (٢/٩).	ميمرٌ يحقِّق أنّه لا يلزم النصارى ان يقولوا ثلاثةَ آلهةٍ إذ يقولون: الآبَ إلهٌ، والابن إلهٌ، وروحُ القدسِ إله، وإنَّ الآبُ والابنَ وروحَ القدسِ إلهٌ، ولوكان كلُّ واحدٍ منهم قائماً على حدِّ ذاته (عنوان المقال ٥/٢ من مجموعة باشا).
٤ واذا ذكرَ النصارى حلولَ هذا الابنِ في بطنِ مريمَ في آخر الايام... (٢/١٠).	ميمرٌ في الردّ على من يُنكِرُ لله التجسُّدَ والحلولَ فيمَا أحبّ أَن يَحُلَّ فيه من خلقِهِ، وأنَّه في حلولهِ في الجسدِ المأخوذِ من مريمَ المطهّرةِ بمنزلةِ جلوسهِ على العرش. (عنوان المقال العاشر من مجموعة باشا). فما بالُ المخالفينَ لنا يُنكرونَ للهِ الحلولَ في الجسدِ المأخوذِ من مريمَ العذراءِ المطهّرة؟ (المقال السابق، باشا ص ١٨٣).
٥ قال مار بولس: «**إنَّهُ ليس أحدٌ يستطيعُ أن يقولَ إنَّ يسوعَ ربٌّ إلاّ بروحِ القدس**» (٣/٦).	**لا أحدَ يَستَكِنُّ قلبُهُ إلى الإقرارِ بربوبيّةِ المسيح، إلاّ بهدايةِ الروحِ القدس، كمَا قال** مار بولس (مقال ١١/٧ من مجموعة باشا، ص١٠٤).

قال مار بولس : **إنه ليس أحدٌ يقدرُ أن يقول إنَّ المسيحَ ربٌّ إلاّ بروحِ القدس**. (مقال ٩/١٥ من مجموعة باشا ، ص١٥٠).

٦ **وكان يَحُقُّ عليهم ألاّ يَقبلوا مثلَ الذي يعيبون أو لا يعيبوا مثل الذي يقبلون** (١١/٤).

وقد كان يَحِقُّ عليهم إمّا أن لا يَعيبُوا مثلَ الذي يقولون ، وإمّا أن لا يقولوا مثل الذي يعيبون (المقال العاشر من مجموعة باشا ، ص١٨٣).

٧ إن قال غيرُك مِمَّن يدّعي الإيمانَ إنّهُ لا يقبلُ هذا كلَّهُ **فذاكَ يقولُ لا محالة : إنَّ اللهَ جالسٌ على العرش** (١٦/٥).

فمَا بالُ المُخالفينَ لنا يُنكِرون لله الحلول في الجسدِ المأخوذِ من مريمَ العذراءِ المطهّرة ، **وهم يقولون إنّ اللهَ جلسَ على العرش**. (المقال العاشر من مجموعة باشا ، ص ١٨٣).

٨ إنّ كتبَ اليهودِ لولا تزيينُ النصارى إيّاها بلطافةِ عقولِهم الروحانيّةِ لكانت ضحكةً لجميع الناس (٢٣/٥).

لا كتاب يثبت من العقل الحق بتّة اليوم الاّ الإنجيل وكل ما يحققه الإنجيل لتحقيق الإنجيل إياه (٦/٥).

إنّه من قِبَلِ تثبيتِ العقل ، لم يكن عندَنا موسى مقبولاً أنَّهُ من عندِ اللهِ ، ولا ما جاءَ بهِ غيرُهُ. وذلك لِمَا أتوا بهِ من النقصان والخلاف ، لمَا علّمَتْنا طبيعتُنَا... فأمّا مِن وجه آخر ، فإنّنا نقبل موسى والأنبياء وحدَهم أنَّهم من الله ، وذلك أنّنا حيثُ عرفنا أنّ الإنجيلَ من الله وقبلناه وصدّقنا جميعَ ما فيه ، أخبرَنا الإنجيلُ أنَّ موسى والأنبياءَ المسمّيينَ في العتيقةِ من الله بُعِثوا. فصدّقناهم ، وقبلناهم.

(ميمر في وجود الخالق والدين القويم ٤/١٥ و ٦ ، ديك ص٢٥٥).

٤ – تاريخ المقال

عاصرَ أبو قُرَّة أزمةَ الأيقوناتِ طيلةَ حياتِهِ. فقد وُلِدَ حوالى عام ٧٥٠ ، في عهد قسطنطين كوبرونيموس ، وتوفي بين عامي ٨٢٥ و ٨٣٠ قبلَ انتصارِ الارثوذكسيّةِ النهائيّ على يدِ الامبراطورة ثاوذورة (٨٤٣). ولكن في أيِّ حقبةٍ من هذه الأزمةِ الطويلةِ كتبَ مقالَهُ؟

يرى جورج غراف أنَّ المقال كُتِبَ قبلَ انعقادِ المجمعِ النيقاويِّ الثاني، وهو المجمعُ المسكونيُّ السابع، عام ٧٨٧، لأنّهُ لا ذِكرَ في المقالِ لهذا المجمعِ الذي برّرَ إكرامَ الأيقوناتِ، وحرمَ مُعارضيها. ويُلاحظُ غراف أنَّ أبا قُرَّة يُعيرُ أهميّةً كبرى للمجامعِ المسكونيّة، وفي عدّةِ مقالاتٍ يعتبرُ المجامعَ المسكونيّةَ ستةً، وليس سبعةً[١٣]، ممّا يدلُّ على أنَّ هذه المقالاتِ كُتِبَت قبلَ عام ٧٨٧، تاريخِ انعقادِ المجمعِ المسكونيِّ السابع.

لقد ناقشنا رأيَ غراف هذا في كتابنا «ميمر في وجودِ الخالقِ والدينِ القويمِ لثاوذورس أبي قُرَّة»، ص ٥٤ – ٥٦، ورأينا صعوبةَ قبولِ وجهةِ نظرِ غراف لأنّها تجعلُ القسمَ الأكبرَ من كتاباتِ أبي قُرَّة في مطلعِ شبابِهِ، مع فراغٍ كبيرٍ في سنِّ نضوجِهِ. فالمقالاتُ التي يُشيرُ فيها أبو قُرَّة إلى المجامعِ المسكونيّةِ الستّةِ لا غير ليست بقليلةٍ، وفيها يُشيرُ إلى مقالاتٍ سابقةٍ كثيرةٍ كتبها من قبلُ، ومن بينها ثلاثونَ ميمراً بالسريانيّة. وهناك ما يُفسّرُ عدمَ إتيانِ أبي قُرَّة على ذكرِ المجمعِ السابعِ وإنْ كانَ كَتَبَ بعدَهُ. فإنَّ الكنائسَ الملكيّةَ بقيت حتى القرنِ الحادي عشر على الأقلّ لا تعترفُ إلّا بمجامعَ مسكونيّةٍ ستّةٍ، كما يُستدَلُّ من قائمةِ أعيادِ الملكيّين التي يوردها البيروني[١٤]، ومن شهادةِ المسعودي[١٥].

أمّا في ما يخصُّ المقالَ في إكرامِ الأيقوناتِ فما كانَ بوسعِ أبي قُرَّة أن يستشهدَ فيهِ بالمجمعِ النيقاويّ الثاني. فكان يتحدّثُ من جهةٍ إلى المسلمينَ واليهودِ، ومن جهةٍ أخرى إلى معارضي الأيقونات الذين لم يكونوا يعتبرونَ قيمةَ هذا المجمع. فكان عليهِ أن يستند إلى العقلِ وإلى الكتابِ المقدّسِ وإلى التقليدِ الكنسيِّ القديم.

فليس إذاً ما يُرغمنا على القولِ بأنَّ الميمرَ كُتِبَ قبل عام ٧٨٧ لإغفاله ذكرَ المجمعِ النيقاويِّ الثاني. ولكن هل هناك ما يدلُّنا على أنّهُ كُتِبَ بعده؟ وهل بوسعنا أن نحصرَ بالضبطِ تاريخَ كتابتِهِ؟

---

١٣) الميمر في تحقيق ناموس موسى والإنجيل والأرثوذكسيّة الخلقيدونيّة، باشا ص ١٦٥ – ١٧٠. الميمر في موت المسيح، باشا ص ٧٠. الرسالة إلى اليعقوبي داود، باشا ص ١٣٩.

١٤) AL BIROUNI, *Sur la célébration des jours de l'année chrétienne, chez les chrétiens melkites,* Tiré du «Livre des monuments écoulés» (الآثار الباقية) éd. GRIVEAU dans P.O., t. X, p. 304.

١٥) يقول المسعودي بعد حديثه عن المجمع السادس: «وهذا آخر السنهودسات، لم يكن لهم إلى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا وهو سنة ٣٤٥ والملك على الروم قسطنطين بن لاون بن باسيل، اجتماع آخر... والملكيّة تذكر هذه الاجتماعات الستة في أقداسها، وهي الصلاة على القربان في كلّ يوم». كتاب التنبيه والإشراف، طبعة سنة ١٩٣٨، ص ١٣٦.

إنّ مقطعاً من هذا المقالِ يُشيرُ إلى حادثٍ عاصرَهُ أبو قُرَّة تَمكّنا من التأكّدِ من تاريخِهِ بكلِّ تدقيق. يقولُ أبو قُرَّة :

«وقد كان في زمانِنا هذا شهيدٌ من البرّانيّين مشهورٌ ، من أهل الشرف الأعلى ، مستفاضٌ حديثُهُ ، ذكرَنا المسيحُ بصلواتِهِ ، يُقالُ لهُ مار أنطونيوس. وكان يُخبِرُ كلَّ من لَقِيَهُ أنّهُ إنَّما آمَنَ بالنصرانيَّةِ من عَجَبٍ رآهُ في صورةٍ كانت لمار ثاوذورس الشهيد» (١٦/١٥ – ١٦).

لم أُعِر هذا النصَّ في بادئ الأمر أيّ أهميّة ، إلاّ أنّي ، في أثناء بحثي في مخطوطاتِ ديرِ القدّيسةِ كاترينا ، المحفوظةِ نسخةٌ عنها بالميكروفيلم في جامعة لوفان ، عثرتُ على المخطوطِ العربيِّ رقم ٥١٣ ، الذي يشتمل من صفحة ٣٦٣ إلى صفحة ٣٧٢ ، على قصّة تنصُّرِ نبيل قُرَشيٍّ مُسلم ، إثرَ معجزةٍ جرت له بواسطةِ أيقونة القدّيس ثاوذورس في دمشق. وإنّ هذا القرشيَّ اتّخذَ عندَ معموديَّتِهِ اسمَ أنطونيوس. ثمَّ حَكَمَ عليهِ من جرَّاءِ ذلك الخليفةُ هٰرونُ الرشيد في مدينة الرقّة. فلا مجال للشك في أنّ أبا قُرَّة يُشير إلى هذا الحادث. وإنَّ السيرة تُعطينا بدقّةٍ تاريخَ الاستشهادِ ، وهو يوم الميلاد لعام ١١٠٠ للاسكندر و ١٨٣ للهجرة ، التي تناسب ٧٩٩ ميلاديّة. «وكانت شهادتُهُ يوم الميلاد ، بعد فراغِ القُدّاس ، في سنة ألف ومايةٍ من سني الإسكندر ، ومن سني العرب سنة ثلاث وثمانين ومايه»[١٦].

فالمقالُ في تكريم الأيقونات قد وُضِعَ إذاً بعد هذا الحادثِ بفترةٍ ، أي في السنوات الأولى من القرن التاسع الميلادي.

و بما أنَّ المقالَ كُتِبَ في حَرّان على ما يبدو ، إذ كان أبو قُرَّة في منطقةِ الرُّها (فقد ورَدَ في مطلع المقالِ : «إنّك أخبرتَنا يا أخانا أنبا يَنّه المقدّس وأنتَ عندَنا بالرُّها) فمن الأرجح أن يكون قد كتبَهُ أبو قُرَّة في أثناءِ اسقفيَّتِهِ الثانية[١٧] ، أي بعد عودتِهِ من البلاطِ الأرمنيّ عام ٨١٥. وقد يكون ذلك في أثناءِ احتدامِ الأزمةِ ضد الأيقونات في عهد الامبراطور لاون الأرمني ، أي بين عامَي ٨١٥ و ٨٢٠.

---

١٦) راجع نصّ هذه السيرة التي نشرناها في مجلة الموزيون سنة ١٩٦١ ، ص ١٢٦.

I. DICK, La passion arabe de St. Antoine Ruwah, néo-martyr de Damas, + 25 Décembre 799, dans *Le Muséon* 74 (1961), 109-133.

١٧) راجع ديك ، ص ٥٧.

الفصل الثّاني
النصّ واللّغة
مقدّمة أدبيّة

١ – تحقيق النصّ

* تحقيق ودراسة اراندزن

إنَّ الميمرَ في إكرامِ الأيقونات هو أوّلُ ما نُشِرَ من كتابات أبي قُرَّة العربيّة.

ففي ١٢ كانون الأول من عام ١٨٩٧، في مدينة بونّ الألمانيّة، قدّمَ الكاهنُ الهولنديّ يوحنا اراندزن أُطروحةً أدبيّةً عنوانُها: «مقالُ لثاوذورس أبي قُرّة في إكرام الأيقونات، نُشِرَ لأوّلِ مرّةٍ عن مخطوطٍ عربيّ، وتُرجِمَ إلى اللاتينيّة»[١]. ويشمل بحثُ الأب اراندزن نشرَ النصِّ العربيّ وترجمتَه إلى اللاتينيّة، مع مقدّمةٍ مُسهَبَة من ٢٢ صفحة. وقد عمد جورج غراف إلى ترجمته إلى الألمانية وذلك في دراسته التي صدرت عام ١٩١٠[٢].

يتحدّثُ أراندزن في مقدّمتِهِ، وهي باللاتينيّة، عن المُعارضةِ لإكرام الأيقونات في الشرقِ العربيّ، وعن شخصيّة ثاوذورس أبي قُرّة. وبعد أن يلخِّصَ ما آلت إليهِ الآراء في آخرِ القرنِ التاسعَ عشر، يقدّمُ برهاناً جديداً على أنَّ أبا قُرَّة هو أسقفُ حرّان في الجزيرة، مستنداً إلى ما يُستشَفُّ في المقالِ من معرفتِهِ الدقيقةِ لمدينةِ الرُّها المجاورةِ لحرّان، وإلى ما جاءَ في عناوينِ بعضِ المخطوطاتِ في المكتبةِ البريطانيّة، التي تنسبُ إلى «شمعون، وهو أبو قُرَّة أسقفِ نصّيبين وحرّان»، مناظرةً لاهوتيَّةً مع أميرِ المؤمنينَ هارون الرشيد.

---

١) J. Arendzen, *Theodori Abu Kurra de cultu imaginum libellus e codice arabico nunc primum editus, latine versus, illustratus*, Bonn, 1897.

٢) G. Graf, *Die arabischen Schriften des Théodor Abu Qurra*, Bischoffs von Harrān (ca 740-820), Paderborn 1910, p. 278-333.

ويُثبتُ أراندزن بالأخصّ أنَّ المقالَ في الأيقونات قد وُضِعَ أصلاً بالعربيّة.

* **المخطوط البريطانيّ**

ثم يَتطرّقُ أراندزن إلى وصفِ المخطوطِ الأوحدِ الذي يستندُ إليهِ لنشرِ المقال، وهو المخطوطُ رقم ٤٩٥٠ من المكتبةِ البريطانيّة، الذي كان وصلَ إليها حديثاً من الشرق عام ١٨٩٥. وهو بقياس ٢٠ سم طولاً و ١٥,٨٧٥ سم عرضاً. والمخطوطُ، رغمَ قِدَمِهِ، محفوظٌ جيّداً نسبيًّا، إنّما تنقصه ورقتان من أوّلِهِ. والورقة الأخيرة مفصولةٌ عن المخطوطِ وباليةٌ، وفيها عدّة ثغرات. ويشتملُ المخطوطُ على ٢٣٨ ورقة تؤلّف ٤٧٦ صفحة، في كلٍّ منها ٢١ سطراً. ومقالُنا يشغل ٤٠ ورقةً فقط، ويؤلّف الجزءَ الأخيرَ والأصغرَ من المخطوط. أمّا الجزءُ الأوّلُ فهو يشغلُ ١٩٨ ورقة. إلاّ أنّهُ لسوءِ الحظّ مبتورٌ من أوّلِهِ، فلا نعرفُ عنوانَ المقالِ ولا اسمَ مؤلّفِهِ. ويتبيّنُ أنّهُ موسوعةٌ توضحُ مجملَ العقيدةِ المسيحيّة. وقد ارتأى بعضُهم أنّه من قلمِ أبي قُرَّة نفسِهِ، إلاّ أنّنا نستبعدُ ذلك.

وينتهي الجزءُ الأوّلُ بتذييلٍ جزيلِ الفائدةِ، فقد جاءَ فيه: «تمَّ المصحفُ بعون الله وقوّتهِ ونعمتهِ، وكانَ كمالُ كتابهِ في أوّلِ يوم من دقمبرس، يكونُ من حسابِ سِني الدنيا على ما يُقبَل في كنيسةِ القيامةِ ببيتِ المقدسِ سنة ستة آلاف وثلثمئة وتسعة وستين، ومن سني الكسندرس سنة ألف ومائة وثمانين. ويكون من سني العرب في شهر ربيع الأوّل من سنة أربع وستّين ومايتين. كتبَهُ الخاطئُ المسكينُ الحقيرُ اصطفاني بن حكَمَ، يُعرَفُ بالرمليّ، في سيق ماري خريطون، لمعلّمِهِ الأبِ الفاضلِ الطهرِ الروحانيّ أنبا بَسيل عمّرهُ الله. إذا أنتَ قرأتَ فاذكرني، لا تنسَ، لا نسيَكَ الله، وأقامَكَ عن يمينِهِ، وأسمعَكَ ذلك الصوتَ المحبوبَ المُفرح إذ يقول: تعالوا يا مُباركي أبي، رثوا المُلكَ المعدَّ لكم من قبلِ إنشاءِ العالم. يكونُ لنا ذلك بشفاعةِ مريمَ الطاهرةِ وماري يُحنَّا وصلواتِ جميعِ الأبرار، آمين وآمين».

إنَّ بدءَ الخليقةِ بحسب التقويم المتّبع في كنيسة القدس هو سنة ٥٤٩٢ قبل المسيح. وتقويم الاسكندر يبدأ سنة ٣١١ قبل المسيح. وهذا يطابق سنة ٨٧٧ للميلاد و ٢٦٤ للهجرة.

إنَّ المقالَ في الأيقونات، الذي يؤلّف الجزء الثاني من المخطوط، هو من الناسخ نفسه. فالخطُّ لا يختلفُ بين الجزئين، وهو من الطرازِ الكوفيِّ القريبِ من الخطِّ السريانيّ الاسطرنجليّ. وقد نُسِخَ عامَ ٨٧٧ أو بعدَ ذلك بقليل.

وقد ظلَّ اسطفانُ بن حكَم الرمليّ يتابع نشاطَهُ في نسخِ المخطوطاتِ عشرينَ سنةً بعد ذلك التاريخ على أقلِّ تقدير. فقد تبيَّنَ لي من مراجعةِ فهارسِ مخطوطاتِ طور سينا العربيّةِ أنّهُ نسخَ

المخطوطَ ٧٢ من مخطوطاتِ سينا ، وذَيّلَهُ بما يُشبهُ كثيراً ما جاءَ في مخطوطِ المكتبةِ البريطانيّةِ رقم ٤٩٥٠ من تدقيقِ التواريخ. فقد جاءَ في آخره : «وكتبَ الخاطي المسكينُ الضعيفُ الأثيمُ إصطفانا ، يُعرَفُ بالرمليّ. إذا أنت قرأتَ يا أخي ، اذكرني ، ذكرَكَ اللهُ ، وأقامَكَ عن يَمينِهِ ، وأسمعَكَ الصوتَ البهيّ الشجيَّ المحبوبَ القائل : تعالوا يا مُباركي أبي ، رِثوا المُلكَ المُعدَّ لكم من قبلِ إنشاءِ العالم ، مع ما يتبعُ من قولِهِ الذي لا يخالف موعدَهُ الحقَّ. لا تنسَني يا أخي ، لا تنسَ ، لا نسيكَ اللهُ. وكتبَ المسكينُ في أشهرِ العَجَم في أوّلِ شهرِ آذار ، ويكون حسابُ سني العالم على ما تحسبُهُ كنيسةُ بيتِ المَقدس ، القيامةُ المجيدةُ ، من سنة ستة آلاف وثلثماية وتسعة وثمانين سنة. ومن سني العرب في شهر المحرّم من سنة أربع وثمانين ومائتي سنة. رحمَ اللهُ من قرأَ وكتبَ ووهبَ المُقتني الفهمَ والحفظَ للوصايا آمين»[٣] . ان سنة ٦٣٨٩ للخليقة ، إذا اتّبعنا تقويم القدس (كما في المخطوط البريطاني ٤٩٥٠) تُناسب سنة ٨٩٧ للميلاد (بعد طرح ٥٤٩٢) ، وهو ما يتناسب مع التاريخ الهجري لسنة ٢٨٤. وهذا المخطوط ٧٢ يحتوي هو أيضاً على مقالٍ صغير لأبي قُرَّة ، وهو الذي نشرَهُ غريفيث في مجلة الموزيون عام ١٩٧٩ ، وهو جوابٌ على سؤالٍ طُرِحَ على أبي قُرَّة : «هل المسيح صُلِبَ برِضاهُ أم رغماً عنه»[٤] .

فمن الثابتِ إذاً أنَّ مقالَنا في الأيقونات ، الذي حفظهُ لنا المخطوطُ البريطانيُّ رقم ٤٩٥٠ ، قد نُسِخَ بعدَ موت المؤلِّفِ بما لا يَزيدُ كثيراً عن نصفِ قرن.

* المخطوط السينائي

وقد عَثَرْتُ بينَ قائمةِ مخطوطات دير سينا ، التي صوّرتها مكتبةُ الكونغرس الأميركيّة ، على مخطوطٍ آخرَ يحتوي على المقالِ في الأيقونات ، لم يذكرهُ غراف في دراستهِ لأبي قُرَّة في «تاريخ الأدب العربيّ المسيحيّ». وهو المخطوط رقم ٣٣٠ (٣٢٥ – ٣٥٧).

والمخطوط بقياس ١٦ × ١٢,٥ سم ، ويحتوي على ٣٨٦ ورقة ، ويشغل مقالُنا الورقات ٣١٥ إلى ٣٥٧. ولا يحتوي المخطوط على تذييلٍ وتاريخ ، إنّما يبدو من خطِّهِ ومن طبيعةِ الورقِ أنّهُ يرجعُ إلى حوالى القرن العاشر الميلادي.

---

٣) عزيز سوريال عطيّه ، الفهارس التحليلية لمخطوطات طور سينا العربيّة ، ص ١٤٣ – ١٤٤.

٤) GRIFFITH S.H., *Some unpublished Arabic Sayings attributed to Theodore Abu Qurrah*, in *Le Muséon*, t. 92 (1979), p. 29-35.

* **تحقيقنا الجديد**

إنّ تحقيقَ أراندزن للميمرِ في الأيقوناتِ استناداً إلى المخطوط البريطانيّ رقم ٤٩٥٠ تحقيقٌ جدِّيٌّ، وإن كانَ أخطأَ أحياناً في قراءتِهِ وتأويلاتِه. إلاَّ أنَّهُ يسردُ النصَّ بدون أي تقسيمٍ إلاَّ التقسيمَ إلى الـ ٢٤ رأساً الواردة في المخطوط. وهو لا يذهبُ إلى السطرِ قطّ حتى عند ابتداءِ رأسٍ جديد.

وكتاب أراندزن صعبُ العثور عليه لأنَّهُ طُبِعَ بعددٍ ضئيلٍ كدراسةٍ جامعيّةٍ لنيلِ شهادةِ الدكتوراه.

ولذا ارتأينا إعادةَ نشر المقال في سلسلةِ «التراث العربيّ المسيحيّ»، معتمدين على المخطوطين ٤٩٥٠ من المكتبة البريطانيّة، وقد أشرنا إليه بحرف **ب** و ٣٣٠ من دير سينا، وأشرنا إليه بحرف **س**.

وبينّا في الحواشي ما يبتعدُ فيه نصُّنا عن حرفِ المخطوطَين، وعن نصِّ أراندزن المطبوع، وقد أشرنا إليه بحرف آ. وقد جاء نصُّنا أقربَ إلى الأصلِ وأنصعَ لغةً. وبالأخصِّ عَمَدْنا إلى تبويبِهِ وتجزئتِهِ وفقاً لتسلسل المعاني.

إنَّ النصَّ الأصليَّ كما جاءَ في المخطوطَين مقسومٌ إلى ٢٤ رأساً، لكلٍّ منها عنوانُها. فعلاوةً على هذا التقسيمِ فصّلتُ كلَّ رأسٍ إلى مقاطعَ مُعَنونةٍ. والمقاطعَ إلى فقراتٍ ذاتِ أرقام، بحيثُ يمكنُ الرجوعُ بسهولةٍ إلى أيِّ مقطعٍ من النصِّ بالإشارةِ إلى رقمَي الرأسِ والفقرة. وقد جمعنا عدّةَ رؤوسٍ في أقسامٍ أكبرَ تُبيِّنُ التسلسلَ المنطقيَّ في المقال.

إنَّ المخطوطَين ب و س قريبا العهدِ من المؤلِّف. والنصُّ الذي يقدّمانه واضحٌ بنوعِ الإجمالِ، ولم تعبث به بعدُ يدُ النُسّاخ. ولم أعثر إلاَّ على مقطعٍ واحدٍ أو مقطعين فيهما خللٌ واضح، فاختفت معالمُ النصِّ الأصليّ. ولم أضطر إلاَّ نادراً إلى الابتعادِ عن كلا المخطوطين لخطأٍ لغويٍّ أو نحويٍّ، قد يكونُ من جريرة الناسخين.

٢ - الميّزات الأدبيّة

* **لغة أبي قُرَّة**

إنَّ أبا قُرَّة متقنٌ لغتَهُ، بعيدٌ عن الركاكةِ والعاميّةِ التي تفشّت عندَ بعض الكتّاب النصارى المتأخّرين. وقد يتضمّنُ بعض الألفاظِ التي أصبحت غريبةً، وتحيجنا إلى اللجوء إلى المعجم،

لتفهّمِها. وإليك بعضها على سبيل المثال : «وهذا خلافُ لقولِكَ **المائق**»، بمعنى الأحمق (٨/٣١). و «داودُ النبيُّ زفنَ بين يدي تابوتِ الله»، بمعنى رقصَ (١١/٣٨). «فَبَسقَ فيهِ وداسَهُ وطفَسَهُ»، بمعنى نجَّسَهُ (١٢/٢٢).

وهو يعرّبُ بعض الألفاظ الأجنبيَّة التي اعتادَ أن يوردَها غيرُهُ بصيغتِها اليونانيّة، فيسمّي القديس غريغوريوس **الثاولوغوس** أو اللاهوتيَّ غريغوريوس «**قائلَ الإلهيّات**». وهو لا يستعمل قطُّ كلمةَ **ايقونة**، اليونانيّةَ الأصل، بل دوماً كلمة **صورة**، التي تردُ في المقال ٩٦ مرّةً، بصيغة المفرد، و ١٠٩ مرّات بصيغة الجمع.

بيدَ أنّنا نجدُ لديهِ تعابيرَ سريانيَّةً ويونانيّةً كانت شائعةً لدى النصارى العرب، مثل «**مار**» بمعنى السيّد، وهو لقبُ القدّيسين، و «**مرتريم**» بمعنى السيّدة مريم، و «**ميمر**» بمعنى المقال و «**السّلّيحيون**» بمعنى الرسل، و «**أقنوم**» و «**أقنومي**» بمعنى شخص وشخصي، وهي تعابير سريانيّة، و «**أرثوذكسيّة**» بمعنى الإيمان المستقيم، وهي يونانية[٥].

وهناك تعابير أُخرى يكاد ينفردُ بها. فهو يستعمل كلمة **أوَنْجلسطُس** أو **أوَنْجِلِسطِيس** اليونانيّة بمعنى الانجيلي أو كاتب الانجيل (١٥/٦٦ و ١٦/٢٦). وكلمة «**فجر**» وهي الكلمة السريانيّة التي تعني الجسد للدلالةِ على جسدِ المسيحِ الافخارستي (١٦/٧). وقد عثرنا على هذا الاستعمال في سيرة استشهاد القديس انطونيوسُ روح الدمشقيّ الذي استُشهِدَ في عهدِ هٰرونَ الرشيد، التي نشرناها في مجلة «الموزيون»[٦]. وكلمة **قلاقم** السريانيّة بمعنى مترسة (١٣/١٠). وهناك كلمة **سوطلة**، ولا نجد استعمالاً لها عندَ غيرِه، وتبدو غريبةً، وهي تردُ مرّتين في الفصل الثامن ٨/١١ و ٨/٢٤. والمقطعان يُنيرُ أحدُهما الآخر. ويفهم أنّ «سوطلة» تنقل الكلمة اليونانيّة Στύλος، التي تعني العمود أو القاعدة الحجريّة التي تحمل التمثال.

* أُسلوبُهُ الإنشائيّ

إنّ أُسلوبَ أبي قُرَّة متينٌ وبليغٌ، وجملُهُ حسنَةُ السبك ومتوازنة. وفي تراكيبِهِ واستعمالِ حروفِ الجرِّ فصاحةٌ تضاهي خيرةَ كُتّابِ العصرِ العبّاسيّ. وإليك بعض النماذج من إنشائه :

---

٥) تُمكن مراجعة فهرس المفردات في آخر الكتاب لمعرفة المواقع التي ترد فيه هذه الكلمات.

٦) I. Dick, *La passion arabe de S. Antoine Ruwah, néo-martyr de Damas,* Le Muséon, t. LXXIV, (1961), 1-2, p. 122 L. 7.

الموزيون لعام ١٩٦١، ص ١٢٢ سطر ٧.

١ – مَن أكرَمَ القدّيسينَ استوجبَ من إلهِ القدّيسين أعظمَ المكافأةِ لا محالة، وصارَ القدّيسون وكلاءَهُ ببابِ الله، يرفعون دعواتِهِ ويشدّدونَها ويتنجّزونها له من ربّهم. لأنَّ اللهَ بطيبهِ قد جعلَ القدّيسينَ وسطاءَ بينَهُ وبين عبادِهِ إكراماً للقدّيسين وترغيباً لغيرهم في أن يحظوا عندَهُ حظَّ أولئك.

فهو يغضبُ على العباد، ويأبى الرضى عنهم حتى يطلب إليه القدّيسون.

وشهاداتُ هذا كثيرةٌ. فمن لا يعلمُ أنَّ اللهَ غضبَ على بني إسرائيل حيث عبدوا العجلَ، وأرادَ استئصالَهم، فطلعَ موسى إليهِ حتى أصرفَهُ عنْ غضبهِ وأرضاهُ عنهم، وقال اللهُ: إني إنَّمَا رضيتُ عنهم لك.

ومن لا يعلمُ أنَّ اللهَ إنَّمَا ذكرَ لإبرٰهيمَ أمرَ سدومَ متعرّضاً له أن يطلبَ إليهِ فيهم، فتكون المِنَّةُ لابرٰهيمَ على أهلِها. وايلياسُ النبيُّ، أَليس قد سلَّطَهُ اللهُ على إغلاقِ السماءِ وفتحِها، وكأنَّهُ تخلّى لهُ عن تدبيرِهِ وفوَّضَهُ اللهُ إليه، ولم ينتقض على نبيِّهِ الطاهرِ قولَهُ، بل أمضى له عزيمَتَهُ، وصارَ الناسُ يطلبونَ لا إيّاه ولكن نبيَّهُ، تباركَ جلالُه... فلعمري إنَّهُ ما من أحدٍ يمشي إلى صورةِ قدّيسٍ فيسجدُ بين يديها إلاّ أنهضَ القدّيسَ الذي الصورةُ لهُ إلى الصلاةِ عنه (رأس ١٤/٣ – ١٤).

٢ – نعجبُ من البرّانيينَ الذين يؤمنون بكتبِ العتيقةِ، حيثُ يعيبون أسرارَ النصارى لإنكارِ العقولِ الجسدانيّةِ إيّاها، وأكثرُ ما في كتبِهم يُنكِرُهُ العقلُ الجسدانيُّ إنكارَهُ تلكَ ولا يشكُّون فيها.

ولكن العجب من هؤلاءِ البرّانيين المؤمنين ببعض الكتبِ المنزلَةِ من الله أنَّ في كتبهم شكيلاً لما ذكرنا من أمورِ النصرانيّةِ، مِمَّا تُحقِّقُهُ حكماءُ العالمِ الذين لا تُذَلُّ عقولُهم للإيمان بتَّةً، أكثرَ من تحميقِهم إياهم ما يستشنعونَهُ من النصرانيَّةِ، وقد قنعَتْ عقولُهم بهِ مع إنكارِهم مثلَهُ في النصرانيّة... أما يَعلمُ ليتَ شعري المؤمنونَ بهذه الأشياءِ أنَّ حكماءَ العالمِ المتعظِّمينَ عن الإيمان يُحمِّقونَهم في قبولِهم إيّاها أكثرَ مِمَّا يُحمِّقونَ همُ النصارى في قبولِهم ما يُنكرونَهُ هم. وكانَ يَحقُّ عليهم ألاَّ يقبَلوا مثلَ الذي يَعيبون، أو لا يَعيبوا مثلَ الذي يقبلونَ (رأس ٤/١ – ١١).

٣ – إنَّ الأوَّلين لِغلظِهم لم تكن تَعْظُمُ أسرارُ اللهِ في أعينِهم لو لم يكونوا يرونَ بأعينهم عِظَمَها. ولذلك أوَّلُ قربانٍ قُرِّبَ في سُرادقِ الشهادةِ نزلت عليهِ نارٌ وعلى القربانِ الذي قُرِّبَ في أورشليم إذ بَناهُ سليمان.

فأمَّا نحنُ النصارى الذين أُعطينا البصيرةَ بروحِ القدسِ، فليست بنا إلى ذلك حاجة.

من أجلِ ذلك ، إذ أَعطى ربُّنا فَجْرَهُ ودمَهُ تلاميذَهُ في الغُرفةِ بأورشليم ، إنّما ناولَهم خبزاً وشراباً وقالَ لهم : هذا لحمي ودمي .

فنفذَ عقولَهم اليقينُ بقولِهِ من غيرِ أن يَروا جلالاً ظاهراً على ما ناولَهُم .

فلم يزل ذلك يجري عند النصارى ، يتقرّبون هذا القربانَ موقنين أنّهُ لحمُ المسيحِ ودمُه ، من غير أن يَروه بعدَ تقديسِهِ إلاّ كما أدخلوه قبلَ أن يُقدَّس . وكذلك سائر أسرارهم .

وينبغي أن تكونَ هذه الصُّوَر المقدَّسةُ أُسْوةً لغيرِها من أمورِهم ، فتُكرَّم كما تُكرَّمُ تلك ، وإن كان لا يظهرُ عليها شيءٌ من الرُّعب والجلال (الرأس ١٦/٤ – ١٠) .

إنَّ من يكتبُ بهذا الأسلوبِ لا غروَ عربيٌّ أصيل . بيدَ أنَّ كاتبَنا الذي يُحسِنُ أيضاً اليونانيّةَ والسريانيَّةَ قد تأثّرَ أحياناً بأساليبها وببعضِ تعابيرها . فهو يؤثِرُ استعمالَ الواو العاطفة بمعنى حتّى أو أيضاً ، بدون أن يكون هناك ما يعطفُهُ عليه ، على غرار استعمال حرف καὶ اليونانيّ . وإليك أمثلة على ذلك :

– إنّه كان ينبغي لمن امتنعَ من السجود للصُّوَر لِقبحِهِ عند البرّانيين أن يرفضَ **وغيرَ ذلك** من أسرارِ النصرانيّة (١/٢) .

– وقد كان ينبغي لمن يُنكِرُ عقلُهُ جنونَ كلامِ أولئك... أن يزهد لعيبهم **وفي غيرِ هذا** من النصرانيّة (١٥/٢) .

– فإذا أدخل على الله الجسدانيّةَ في هذه الأقاويل ، فقد سوَّغَ أن يُقالَ في اللهِ **وغيرُ هذا** من لواحقِ الجسدانيّة (١٧/٥) .

– وإن قالَ إنَّ هذا إنّما قيلَ في اللهِ على معنىً حسنٍ ، فقد أَذِنَ أن يُقالَ في اللهِ على معنىً حسنٍ **وغيرُ هذا مِمّا** يُنكِرُهُ هو (١٨/٥) .

– وإنَّ من بطّلَ السجودَ لها لأنّه لم يوصِ به الرسلُ... فقد لزمَهُ أن يُبطِلَ **وغيرَهُ** من أسرارِ النصرانيّة (٢/٧) .

– وإنْ قَبِلَ ما سوى السجودِ للصُّوَرِ من هذا النحو ، فليقبلْ وسجودَ الصُّوَر (٧/٧) .

هذا وقد لاحظنا الاستعمالَ عينهُ في المقال «في وجود الخالق والدين القويم» (١/١٩ ، ١/٢١ ، ١٣/٢) .

ويستعمل أبو قُرّة الفعلَ الناقص «كانَ» بعد الصفةِ النعتِ للدلالةِ على الاتّصاف بها في الماضي ،

على غرارِ الأسلوبِ السرياني حيث تجيءُ كلمة ܗܘܐ بعدَ الصفة. ويخرجُ عن الأسلوبِ العربيِّ الذي يلجأُ إلى اسم الموصول وصلته.

فيقولُ مثلاً أبو قُرَّة: «ويُشبِهُ المعلِّمون رجلاً عمدَ إلى هذا القمح، فطحنَهُ وعجنَهُ وخبزَهُ وأبدى قوَّتَهُ **الخفيّة كانت** عن من كانَ يَراهُ صحيحاً» (٣٦/٨٠)، بدلاً من «التي كانت خفيَّة».

ويقول أيضاً: «كان قالَ لأحبارهم في شأنِ طلاقِ النساءِ **المأذونِ فيهِ كانَ من موسى** لهم» (٣٧/١٨)، بدلاً من «**الذي كان موسى أذنَ لهم فيه**».

* مصادرُهُ الفكريّة

إنَّ أبا قُرَّة في دفاعهِ عن إكرامِ الأيقونات هو قبلَ كلِّ شيءٍ شاهدٌ لإيمانِ الكنيسةِ وتقاليدِ عبادتِها. وهو إذ يبغي إقناعَ خصومهِ، يعتمدُ بشكلٍ رئيسيٍّ على الكتابِ المقدّسِ والآباءِ القدّيسين. ويُظهِرُ أبو قُرَّة معرفةً دقيقةً للكتابِ المقدّسِ، لا سيّمَا العهدِ القديم [٧]. وهو يستندُ إلى الأحداثِ التاريخيّةِ بمعناها الحرفيِّ، وعلى التفاسيرِ الرمزيّةِ لمراسيمِ العهدِ القديم. وهو يُبدي تفهُّماً عميقاً لمغزى التشريعاتِ وتطوُّرِها، إذ يميِّزُ ما يقصدُه المشرِّعُ حقيقةً وما هو مرتبطٌ بذهنيَّةِ الحقباتِ السالفة.

وهو يلجأُ أيضاً إلى التقليدِ الكنسيِّ، وإلى الأحداثِ التي تبيِّنُ كرامةَ الأيقونات والنعمَ التي استُمِدَّت بواسطتِها. ويستندُ إلى أقوالِ الآباءِ القدّيسين وشهاداتِهم، ويذكرُ بينهم أوسابيوس القيصري [٨]، وأثناسيوس الكبير [٩]، وغريغوريوس «قائل الإلهيات» [١٠].

---

٧) يتبع أبو قُرَّة عادةً قراءة الترجمة السبعينيّة وإن كان أحياناً يحيد عنها فيعتمد على الترجمات السريانيّة. ولم يثبت لدينا هل النصّ العربيّ هو من ترجمة أبي قُرَّة مباشرةً، أم هو لترجماتٍ عربيةٍ سابقة.

٨) يستند أبو قُرَّة إلى ما جاء في أوسابيوس، التاريخ الكنسي، الكتاب الثامن، الرأس الثامن عشر، عن التمثال الذي نصبته نازفة الدم التي شفاها يسوع، في مدينة بانياس، وذلك في الرأس الثامن من مقاله، فقرة ١٨ – ٢٨. P.G., t. 20

٩) في الرأس ٨ فقرة ٢ – ١٢ يستند أبو قُرَّة إلى نصٍّ كان يُنسَبُ خطأً في عصره إلى القدّيس اثناسيوس (P.G., t. XXVIII, p. 622)، وهو يردُ بشكلٍ مختصرٍ لدى القديس يوحنّا الدمشقيّ منسوباً أيضاً إلى القدّيس أثناسيوس، وهو جواب على أسئلة طرحها انطيوخوس: «ما شأننا نسجدُ للصُّوَرِ والصليبِ التي هي صنعة النجّارين كالأوثان».

١٠) في الرأس ٨ فقرة ٣٠ يستندُ أبو قُرَّة إلى ما جاءَ في عظةِ القدّيس غريغوريوس (العظة ٣٨) في ظهور المسيح (P.G., t. XXXVI, p. 312.)، مجموعة الآباء اليونان، المجلّد ٣٦، ص ٣١٢.

وعندما يتوجّهُ إلى المسلمين، بدون أن يَذكُرهم بالاسم يحاجِجُهم انطلاقاً من القرآن الكريم ومما جاء في الأحاديث النبوية المتداولة عن تحريم الصُّوَر.

وهو يعتمدُ أيضاً على البراهينِ العقليّةِ، و يميّزُ بينَ سجودِ العبادةِ وسجودِ الكرامةِ، ويُظهِرُ مغزى الرموزِ الحِسِّيَّةِ والصُّوَر، وكيف من خلالِها يُستهدَفُ ما تُشيرُ إليه. وفي براهينهِ وشواهدهِ يبدو من الواضحِ أنّ أبا قُرَّة متأثّرٌ بما كتبَهُ في ديرِ سابا القديسُ يوحنّا الدمشقيّ، إلاّ أنّه لا يتقيّدُ بهِ دوماً. أمّا قِصّة صورة المسيح التي طعنَها اليهودُ في طبريَّة، فقد وردَ ذكرُها في الجلسةِ الرابعةِ من المجمعِ النيقاويّ الثاني، وإنْ كانَ أبو قُرَّة لا يأتي على ذكرِ المجمعِ، ولا يُشيرُ بوضوحٍ إلى حربِ الأيقوناتِ القائمةِ في الامبراطوريّة البيزنطيّة.

ورغمَ تأثُّرهِ بمن سبقَهُ، فإنَّ أبا قُرَّة لهُ تفكيرٌ مستقلٌّ وشخصيٌّ، ومقالُهُ متماسِكٌ ومحكَمُ التركيب، ويبدو فيه أبو قُرَّة لاهوتيًّا حقيقيًّا خبيراً بعلمِ التفسيرِ والتقليدِ الكنسيّ، ومنطقيًّا سديدَ البرهان، ومحلِّلاً عميقاً لمعنى الرموزِ والصُّوَرِ والكلامِ البشريّ.

الفصل الثّالث

تحليل المَيمَر في إكرام الأيقونات

المُلَخّص[٧]

العنوان

مقدّمة : الإهداء والباعث على تأليف المقال — الرأس الأول

الجزء الأول : ردٌّ مبدئيّ : لا مجالَ للتوقُّفِ عند اعتراضات غير المسيحيين على إكرام الصُّوَر.

آ – النصرانيّة تفوق إدراك غير المؤمنين.

– لو اعتبرنا اعتراضات غير المسيحيّين لوجبَ رفضُ أعظم أسرار النصرانيّة. — الرأس الثاني

– النصرانيّة لها حكمةٌ تفوقُ حكمةَ العالم — الرأس الثالث

ب – سائر الديانات لا تخلو هي أيضاً من أسرار وغرائب

– لماذا يرفض اليهود الأسرار المسيحيّة وغوامضها، وهم يقبلون ما يشابهها في العهد القديم — الرأس الرابع

– أوصاف الله الغريبة عند غير المسيحيّين، من أهل الكتاب. — الرأس الخامس

ج – الديانة المسيحيّة تَثبُتُ صحتَها بالبراهين — الرأس السادس

الجزء الثاني : البرهان المأخوذ من التقليد الكنسيّ :

– تمهيد : الكتاب المقدّس ليس وحده مصدر الأصول النصرانيّة — الرأس السابع

– شهادات الآباء القدّيسين في إكرام الصُّوَر — الرأس الثامن

الجزء الثالث : البرهان الكتابيّ :

آ – دحض الاستنادات الكتابيّة ضدّ إكرام الصُّوَر

– لم يحظر الله السجود لغيره. المعاني المختلفة لكلمة سجود. — الرأس التاسع.

– لم يحظر الله صنعَ التماثيل والصُّوَر بشكلٍ مطلق. الرأس العاشر

ب – تبرير السجود للصُّوَر :

– السجود للصُّوَر هو سجود الكرامة ويذهب للجهة المقصودة. الرأس الحادي عشر

– ردٌّ على الاعتراض بأنَّ الصُّوَرَ المقدَّسة ليست متَّصلةً بالله كالأشكال التي ظهرَ من خلالِها. الرأس الثاني عشر

– توضيحٌ لما جاء في الفصل السابق الرأس الثالث عشر

– شفاعة القدّيسين ووساطتهم الرأس الرابع عشر

– لوحا الناموس كُرِّما لأنَّهما صورةُ تجسّد المسيح الرأس الخامس عشر

– المعجزات دلالةٌ على عمل اللهِ وظهورهِ من خلال القدّيسين الرأس السادس عشر

– ردٌّ شخصيٌّ على اليهود الرأس السابع عشر

ج – تفسير حَظْرِ العهد القديم لتمثيل الله :

– حظرُ الله مؤقّتٌ وسببُه ضعفُ تمييزِ اليهود الرأس الثامن عشر

– تشريع العهد القديم ناقص. وصايا الله لبني إسرائيل ليست كما يريد الله، بل كما كانوا يطيقون الرأس التاسع عشر

– ردٌّ على اعتراض : لا يجوز التخلّي عن أوامر الله إلاَّ إذا صَرَّحَ هو بذلك الرأس العشرون

– إعتراضٌ آخر : إن كنتم تسجدون للصُّوَرِ لِمَ لا تسجدون للإنسان وهو صورة الله الرأس الحادي والعشرون

الجزء الرابع : البرهان المأخوذ من العقل

– المادّة الخام تأخذ قيمةً خاصّةً مِمّا تُختم به أو يُخَطُّ عليها الرأس الثاني والعشرون

– الإكرام والإهانة للصورة يَلْحَقانِ بالشخصِ الذي تمثّله الرأس الثالث والعشرون

– من يكرّم صورة المسيح يستحقّ المكافأة منه، لا سيّمَا من يكرّم الصليب الرأس الرابع والعشرون /١ – ٣٨

– خاتمة المقال. الرأس الرابع والعشرون /٣٩ – ٤٥

– خاتمة الناسخ.

العـنوان[٧]

العنوانُ – وهوَ ليس من أبي قُرَّة نفسِهِ في صيغتِهِ الحاليّة – يؤكِّدُ نسبةَ الميمرِ أو المقالِ لأبي قُرَّة، ويعدِّدُ ألقابه، ويُعطي باختصار موضوع المقال.

ان المؤلِّفَ هو «أنبا ثاوذوروس» أسقف حرّان المقدّس، وهو «أبو قُرَّة». يُسمَّى عادةً مؤلِّفُنا في عناوينِ جميعِ مقالاتهِ «**كير**» ثاوذورس. وكلمة «**كير**» إنَّمَا هي ترخيمُ كلمةِ «كيريوس» اليونانيّة التي تعني السيِّد. ولقب «كير» هو المستعملُ عادةً في التقليد البيزنطي. أمّا كلمة «أنبا»، التي تعني الأب، فهي من أصلٍ سريانيٍّ، ولا يزالُ يستعملُها الأقباطُ لقباً لأساقفتهم، وإن كانت تنطبق أيضاً على الرهبان. وقد سُمّي مؤلِّفُنا أنبا ثاوذورس لربَّمَا اقتباساً مِمَّا وردَ في مقدّمةِ المقالِ الموجَّهِ إلى «أنبا يَنَّه المقدّس»، زميلِ أبي قُرَّة في الأسقفيّة، الذي اقترح عليه كتابةَ المقال. أمّا نعتُه بالمقدّس فلا يُفيدُ حتماً أنَّهُ كانَ يُعَدُّ بين الطوباويّين، إذ إنَّ أبا قُرَّة نفسَهُ ينعتُ مَنْ يوجّهُ إليهِ المقالَ بالأنبا يَنَّه **المقدّس**. ونحنُ لا نزالُ نقولُ اليومَ: «قدس الأب»، و «قداسة البابا».

ويتضح أيضاً من العنوان أنَّ مؤلِّفَنا كان معروفاً بلقبِهِ «أبو قُرَّة» أكثرَ من اسمِهِ الرسمي ثاوذورس أسقف حرّان.

أمّا موضوعُ المقالِ فهو لا إثباتُ شرعيّةِ إكرام صُوَرِ المسيح والقدّيسين فحسب، بل أيضاً إلزامُ هذا الإكرام، وإظهارُ أنَّ اعتراضاتِ المُعارضين ناجمةٌ عن جهلٍ لكمالِ الإيمانِ المسيحيِّ قد يُفضي إلى إنكارِ معظمِ أسرارِ الديانةِ المسيحيّة.

المقـدّمـة
(الرأسُ الأول)

يُخاطبُ أبو قُرّة في المقدّمةِ شخصاً مرموقاً يُسمّيهِ «أخانا أنبا ينّه المقدّس» ، كان قد طلب إليهِ كتابةَ المقالِ. ويفيدُنا عن الظروفِ التي دعت الأنبا يَنّه إلى عرضِ هذا الطلبِ على أبي قُرّة ، وعن الأسبابِ التي أهابت بمؤلّفنا إلى الإستجابة.

* **مَن هو الأنبا يَنّه؟**

لا شكّ أنّ الأنبا يَنّه هو أحدُ الأساقفة الملكيّين ، إذ إنّ أبا قُرّة ، وهو أسقفُ حرّان ، يدعوهُ «أخانا» . فهو إذاً من رتبتِهِ وفي شركةٍ معَهُ. ويشهدُ أبو قُرّة بغيرتهِ على شؤون الكنيسة ، وتقواهُ ، ولا يستطيع أن يَردَّ له طلباً. ويُشيرُ أبو قُرّة إلى أنّ الأنبا يَنّه كانَ في الرُّها : «لقد أخبرتَنا وأنتَ عندنا بالرُّها» . فهل هناكَ شخصيّةٌ تاريخيّةٌ معروفةٌ تنطبقُ عليها ملامحُ الأنبا يَنّه؟

نميلُ إلى الإعتقادِ بأنّ الأنبا يَنّه هو يوحنّا أسقفُ الرُّها الملكيُّ الذي تَنسبُ إليه المخطوطاتُ جدالاً دينيًّا في حضرة الخليفة هٰرون الرشيد (ديك ص ٤٠ وحاشية ٥). فاسم يَنّه هو تصغيرٌ لاسم يوحنّا. ويوحنّا أسقفُ الرُّها مواطنُ أبي قُرّة ، ولهُ نفسُ الأهدافِ والغيرةِ على شؤونِ الإيمان. فمن المعقولِ جدًّا أن يكونَ هو قد اتّصلَ بأبي قُرّة (وحرّان جارةُ الرُّها) ، وطلبَ منهُ أن يضعَ الميمرَ في إكرامِ الأيقونات.

* **تراجع الكثيرين من النصارى عن إكرام الصُّوَر**

يلفتُ الأنبا يَنّه نظرَ أبي قُرّة إلى أنّ كثيرين من النصارى تراجعوا عن إكرامِ صورةِ المسيح ، «الذي أمكنَ أن يكونَ لهُ صورةٌ لتجسُّدِهِ من روحِ القدسِ ومن مريمَ العذراء» ، وإكرامِ صُوَرِ القدّيسين الذين تشبّهوا بالمسيحِ وأصبحوا قدوةً ومِثالاً للمؤمنين. وهذا التراجع يعودُ إلى اعتراضِ غيرِ

المسيحيّين ، لا سيّمَا من يؤمنون بأنَّ لديهم كتاباً مُنزلاً ، ونعتِهم إكرامَ الصُّوَرِ بعبادةِ الأوثانِ ومخالفةِ أوامرِ اللهِ في التوراة.

*** تدخُّلُ الأنبا يَنَّه لدى أبي قُرَّة ليردَّ على المعترضين**

يطلبُ الأنبا يَنَّه من أبي قُرَّة أن يضعَ ميمراً يُجيبُ فيهِ على اعتراضاتِ المُعيِّرين ، ويُطَمئِنُ المسيحيّين المتشكّكين ، ويُظهِرُ لهم شرعيّةَ إكرامِ الصُّوَرِ على الجهةِ التي استحسنَها التقليدُ الكنسيُّ الأصيل. فيستجيبُ أبو قُرَّة لطلبِ الأنبا يَنَّه واثقاً بصلواتِهِ وحامداً غيرتَهُ.

الجزءُ الأول

ردٌّ مبدئيّ: لا مجالَ للتوقّف عِندَ اعتراضاتِ غيرِ المسيحيّين

(رأس ٢ إلى ٦)

قبلَ أن يخوضَ أبو قُرَّة في صُلبِ الموضوع، ويبرهنَ، انطلاقاً من أُصولِ الدين (التقليد والكتاب) ومن العقل، شرعيّةَ إكرامِ الصُّوَر، يدحضُ صلاحيّةَ اعتراضاتِ غيرِ المؤمنين.

فالنصرانيَّةُ تفوقُ إدراكَ غيرِ المؤمنين، وهي حكمةٌ تفوقُ حكمةَ العالم. ولو أذعنّا لهؤلاءِ لوجبَ رفضُ أعظمِ أسرارها.

ومن جهةٍ أخرى فالدياناتُ غيرُ المسيحيّة لا تخلو هي أيضاً من أسرار وغرائب. وقد يقبلُ أصحابُها شبيهَ ما يُنكرونَهُ في المسيحيّة. فلا مجالَ إذاً للحياءِ مِمّا هو من صُلبِ الديانة المسيحيّة، وهي ديانةٌ ثبتت صحّتُها بالبراهين.

* **الرأس الثاني**

من يمتنعُ عن إكرامِ الصُّوَرِ لِقُبحهِ عند البرّانيّين كانَ عليهِ أن يرفضَ غيرَ ذلك من الأسرارِ المسيحيّةِ التي يستسمجُها البرّانيّونَ أكثرَ من إكرامِ الصُّوَر، وهو يُقيم عليها مع ذلك.

ويُعطي أبو قُرَّة مثالاً على هذه الأسرار:

- سرُّ الثالوث الأقدس، أي مساواة الابنِ للآب في الجوهرِ والأزليّة، ووحدةُ الطبيعةِ بين الآبِ والابنِ والروحِ القدسِ رغمَ التثليث.
- سرُّ حلولِ الابنِ في بطنِ العذراءِ وتجسُّدِه وتألُّمِه.
- سرُّ الإفخارستيّا، حيثُ بفعلِ كلامِ التقديسِ يتحوّلُ الخبزُ والشرابُ إلى لحمِ المسيحِ ودمِهِ.
- سرُّ المعموديّةِ، حيثُ يتجدّدُ الإنسانُ، ويصبحُ ابنَ الله، بعدَ أن كان ابنَ الجسد.

فالنصرانيَّةُ تبدو حمقاً لغيرِ المؤمنين.

* **الرأس الثالث**

النصرانيّةُ لها حكمةٌ تفوقُ حكمةَ العالم. وتبدو حمقاً لحكماءِ العالم، لأنّها تخالفُ حكمتَهم التي يظنّونها غايةَ الحكمةِ. وهم لا يستطيعون تفهّمَها لأنّهم جسدانيّون ولا بدَّ من روحِ اللهِ لإدراكِها وقبولِها فلا يستغربنّ إذاً المسيحيّون استنكارَ البرّانيّين لأسرارِهم وعليهم أن لا يتأثّروا بتهكّماتِهم، فيبتعدوا عن إكرامِ الصُّوَرِ التي تأسّست وجرت في الكنيسة بروحِ القدسِ، كما سيبيّنُ المؤلِّف.

* **الرأس الرابع**

إنّ الذين يُنكرون الأسرارَ المسيحيّة لمخالفتِها العقولَ الجسدانيّةَ يقبلونَ في كتبِهم المُنزَلةِ (العهد القديم) ما يبدو أيضاً مخالفاً للعقل. مثالُ ذلك طريقةُ الخَلقِ بكلامِ الله، وخلقُ حوّاءَ من ضلعِ آدم، وتكلُّمُ الحيَّةِ، وتكلُّمُ حمارةِ بلعام. وهكذا مختلفُ المُعجزاتِ الواردةِ في أسفارِ العهدِ القديم: حَبَلُ سارةَ وهي عاقرٌ وهرِمة، إشتعالُ العُلَّيقةِ بدونِ أن تحترق، إنفراجُ البحرِ بعصا موسى، تفجُّرُ المياهِ من الصخرة، وقوفُ الشمسِ ورجوعُها، شفاءُ نعمانِ السوري، غرَقُ العودِ في الماء وطفوُ الحديد، صيانةُ الفِتيةِ الثلاثةِ في الأتّون، وبقاءُ يونانَ حيًّا ثلاثةَ أيّامٍ في بطنِ الحوت، الخ...

«فكانَ يحقُّ عليهم ألاّ يقبَلوا مثلَ الذي يَعيبون، أو لا يَعيبوا مثلَ الذي يَقبلون».

الرأس الخامس

إنّ اليهودَ والمسلمينَ يُنكرونَ ما يُقالُ في المسيحِ في الإنجيل، وهم يقولون في اللهِ ما يقشعرُّ له العقلُ الجسدانيُّ إنْ أُخِذَ بحرفيّتِه.

فقد جاءَ في العهدِ القديم أنَّ اللهَ مشى في الفردوسِ، واشتمَّ رائحةَ محرقاتِ الذبائحِ، فرضيَ عن الدنيا، وأنّهُ ندمَ لخلقِ آدمَ، وأنّهُ نزلَ بابرٰهيمَ فأكلَ وشرب، وأنّه جاءَ ليستطلعَ ما يجري في سَدوم. ونزولُ اللهِ على طورِ سينا وقولُهُ إنّهُ ليسَ أحدٌ يراني فيحيا، وتكليمُهُ موسى مع ذلك مواجهةً كما يُكلِّمُ الرجلُ صاحبَهُ... وقولُ النبيِّ حزقيال أيضاً إنّهُ تزوَّجَ أورشليم، وإنّها زنَت عليه فطلّقها، ووعدَها في يوشيّا بأنّه سيخطبُها ثانيةً... وما شاكلَ ذلك مِن تجسيمٍ وردَ في الكتبِ التاريخيّةِ وأسفارِ الأنبياء.

وإن قالَ غيرُ اليهوديّ ممّن يدّعي الإيمان إنّه لا يقبلُ هذا كلَّهُ، فذاكَ يقولُ لا محالة: إنَّ اللهَ جالسٌ على العرش، ويقول إنَّ للهِ يداً ووجهاً ونحوَ ذلك.

فإن قالوا إنّ هذه الصفاتِ المجسّمةَ لا تقعُ على اللهِ صرفاً، وإنّ هذا إنّما قيلَ في اللهِ على معنىً

حسنٍ ، فلماذا لا يقبلونَ أن يُفهَمَ على معنىً حسنٍ ما يُنكرونهُ من تعليمِ المسيحيّة؟

ويقولُ أبو قُرَّة : فأمَّا نحن النصارى ، فإنَّما بنعمةِ الروحِ القدسِ نؤمنُ بالعتيقةِ والحديثة ، ونعلم أنَّ منهاجَهما ومأخذَهما واحدٌ ، ونفهمُ كلَّ شيءٍ فيهما على جهتِهِ ، ونُخلصُ في عقولِنا للهِ الصفة الطاهرةَ ، ونعرف انحطاطَهُ برحمتِهِ إلى غيرِ ما يُشاكِلُ تَجرُّدَ جوهرِهِ مِمّا فيهِ خلاصُنا ، ونحمدُهُ على ذلك.

فالعجبُ من جُهّالِنا أنَّ كُتُبَ اليهودِ ، لولا تزيينُ النصارى إيّاها بلطافةِ عقولِهم الروحانيّةِ ، لكانت ضحكةً لجميعِ الناس. واليهودُ لا يَشكُّونَ فيها لتحميقِ الناسِ إيّاها ، وهم يصرفون وجوهَهم عن السجودِ للصُّوَرِ المقدّسةِ لاستقباحِ اليهودِ وغيرِهم إيّاها.

الرأس السادس

إنَّ النصرانيّةَ قُبلَت بالمعجزاتِ التي حقَّقها تلاميذُ يسوعَ الذين بشَّروا بها. والعقلُ يقضي أن يُقبلَ منهم كلُّ ما علَّموا ، وقد وضعَ أبو قُرَّة ميامرَ يُبرهِنُ فيها أنَّهُ لا كتابَ يَثبتُ من العقلِ سوى الإنجيلِ ومن يشهدُ لهُ الإنجيل. فيجبُ إذاً الإقتناعُ بما في الإنجيل ، وإن كانَ لم يفهمه العقلُ واستشنعَهُ المخالفون. فعلى المسيحيّين أن يثِقوا بكلِّ ما تُعلِّمُهُ الكنيسة ، وما جرت عليهِ منذ زمنِ الرسل. ومن بين ذلكَ إكرامُ الصُّوَر. «فإمَّا إنْ جعَلَ يَقبلُ من ذلك بعضاً ويَردُّ بعضاً ، وكانَ ما قبلَ وردَّ واحداً في إنكارِ العقلِ الجسدانيِّ إيّاه ، فقد حقَّقَ على نفسِهِ أنَّهُ لا بصيرةَ لهُ بدينِهِ ، وأنَّهُ لا يدري لأيِّ سببٍ هو مقيمٌ عليه».

الجزءُ الثّاني
البرهانُ المأخوذ مِن التقْليد الكَنَسيّ
(رأس ٧ وَ ٨)

* الرأس السابع

تمهيد : ليس الكتابُ وحدَهُ مصدرَ الأُصولِ النصرانيّة . لا يمكننا أن ننكر أنّ السجودَ للصُّوَرِ يعودُ إلى عهدِ الرسلِ لكوننا لا نجدُ ذكراً لها في الكتُبِ المقدّسة . فهناكَ الكثيرُ مِمَّا في أيدينا وصلَ إلينا بالتوارثِ بدونِ أن يكونَ مذكوراً في المصاحفِ التي سلَّمَها إلينا التلاميذ. مثالُ ذلك كلامُ التقديسِ ، ورتبةُ المعموديّة والميرون ، وتقديسُ الهياكل والشرطونيَّة ، وضربُ الناقوس والسجودُ للصليب . فمَن يُنكِرُ إكرامَ الصُّوَرِ لِعَدَمِ ذكرِها في الكتبِ المقدَّسةِ يجبُ أن يرفضَ كلَّ ما ذُكِر . وإنَّ تعميمَ إكرامِ الصُّوَرِ في جميعِ كنائسِ العالمِ دليلٌ على أنّهُ جارٍ من الأصلِ وليسَ دخيلاً . ومَن لا يُسلِّمُ بذلك فقد أدخَلَ الثغراتِ على النصرانيَّةِ وقضى عليها .

* الرأس الثامن

إنَّ آباءَ الكنيسةِ ومعلّميها يشهدونَ بأنَّ الصُّوَرَ كانت في الكنيسةِ على عهد الرسلِ ، وأنَّ السجودَ لها واجبٌ. وإنَّ رتبةَ المعلّمين ثابتةٌ في الكنيسةِ ، ويلزمُ السماعُ لهم .

ويوردُ أبو قُرَّة النصَّ المنسوبَ إلى القدّيس أثناسيوس والذي يُجيبُ فيهِ على سؤالٍ طرحَهُ انطياخس : لماذا نسجدُ للصُّوَرِ والصليبِ كالأوثانِ وقد حرَّمَ اللهُ السجودَ لِصُنعِ الأيدي ؟ فيقولُ : إنَّ إكرامَنا لا يعودُ للخشبِ بل لِمَا تمثِّلُهُ الصورة ، حبًّا وعشقاً لهُ . كما أنَّ اليهودَ كانوا يُكرِّمونَ لوحَي الناموس وكروبَي الذهب ، ليس حبًّا بالذهبِ والحجرِ بل للربِّ الذي أمرَ بصُنعِهم . وإنْ تمنَّعنا عن إكرامِ الصُّوَرِ فكيفَ نفسرِّ المُعجزاتِ التي تمّت بواسطةِ الصُّوَرِ .

ثم يأتي على ذكر القصّةِ المأخوذةِ من كتابِ تاريخِ الرُّهبان ، «التي وصلت إلينا من أَبَّهاتِ أورشليم» ، وهي قصَّةُ ذلك الراهبِ الذي كانَ يُعذِّبُهُ الشيطانُ لأنَّهُ كانَ يسجدُ لصورةِ والدةِ الإله .

ويذكر أبو قُرَّة شهادةَ أوسابيوسَ أسقف قيصريَّةَ بخصوصِ التمثالِ الذي أقامتهُ للمسيحِ في مدينة بانياس نازفةُ الدمِ التي شفاها يسوع ، وقولَهُ إنَّ هناكَ صوَراً للرسلِ وللمسيحِ أُخِذَت لهم وهم أحياء ، وهي باقيةٌ إلى أيامِهِ.

ويستشهد أبو قُرَّة أيضاً بالقديسِ غريغوريوس «قائلِ الإلهيّات» ، الذي يطلبُ في عظتِهِ يومَ الميلادِ أن نُكرِمَ المذودَ «الذي كان لربِّنا كالمهد».

ويتوسَّعُ أبو قُرَّة في إظهار أهميّةِ الآباءِ المعلِّمين في الكنيسة ، ويأتي بتشبيهٍ بليغٍ يُظهِرُ هذا الدورَ بالنسبةِ إلى الكتابِ المقدّس : «إنّ قولَ السليحيّين والأنبياء إنَّما يُشبِهُ القمحَ الذي لا ينتفِعُ بهِ الناسُ ما دامَ صحيحاً. ويُشبِهُ المعلِّمونَ رجلاً عمدَ إلى هذا القمحِ ، فطحنَهُ وعجنَهُ وخبزَهُ وأبدى قوَّتَهُ الخفيَّةَ كانت عن من كان يراهُ صحيحاً».

ويختِمُ برهانَهُ على صحّةِ إكرام الصُّورَ استناداً إلى التقليدِ بقولِهِ : «كفى من العزاءِ من سجدَ من النصارى لهذهِ الصُّورِ المقدّسة ، أن يعلمَ أنَّهُ يتبعُ لهؤلاءِ المعلّمين في سجودِهِ لها».

الجزءُ الثّالث

البرهانُ الكتابيّ

(الرأس ٩ إلى ٢١)

إنّ البرهانَ الكتابيّ، وهو الذي يَشغَلُ الجزءَ الأكبرَ من المقال، لهُ ثلاثَةُ جوانب.

أولاً : دحضُ الاستناداتِ الكتابيّةِ ضدَّ إكرامِ الصُّوَر. لم يَحظرِ اللهُ السجودَ الإكراميَّ لغيرِهِ، ولم يَحظر صنعَ الصُّورِ والتماثيلِ بشكلٍ مطلق (رأس ٩ و ١٠).

ثانياً : تبريرُ السجودِ للصُّوَرِ وإكرامِ القدّيسينَ استناداً إلى الكتابِ المقدّس (رأس ١١ – ١٧).

ثالثاً : تفسيرُ حظرِ العهدِ القديمِ لتمثيلِ الله: إنَّهُ حظرٌ مؤقّتٌ سبَّبَهُ ضعفُ تمييزِ اليهودِ وضعفُ طاقتِهم (رأس ١٨ – ٢١).

* الرأس التاسع

يستندُ مُعارضو إكرامِ الصُّوَرِ إلى ما جاءَ في سفرِ الخروج ٢٠/٢ – ٥ : «أنا الربُّ إلٰهُكَ الذي أخرجتُكَ من أرضِ مصر، من بيتِ العبوديّة، لا يكن لكَ آلِهةٌ سواي. ولا تصنعنَّ لكَ وثناً ولا شبهَ كلِّ ما في السماواتِ فوقُ وما في الأرضِ أسفل... لا تسجدْ لها ولا تعبُدْها». وإلى ما جاءَ في تثنيةِ الاشتراع ٦/٣ : «للربِّ إلٰهِكَ تسجدُ، وإيّاهُ وحدَهُ تعبد».

إلاَّ أنَّهُ لو كانَ اللهُ بقولِهِ «لا تسجد» إنَّما أرادَ أن لا يُسجَدَ لأحَدٍ غيرِهِ البتَّةَ، فيجبُ اعتبارُ الآباءِ المقدّسين والأنبياءِ على خطأٍ. ويُوردُ أبو قُرَّة أمثلةً جاءت في كتبِ العهدِ القديمِ عن أشخاصٍ سجدوا لغيرِهم من البشر. منهم قبلَ إعلانِ الناموس: إبرٰهيمُ الذي سجدَ لبني حيث، ويعقوبُ لأخيه عيسو، وإخوةُ يوسفَ ليوسف، وابنا يوسفَ لجدِّهما إسرائيل، وموسى لِختَنِه.

وهناكَ بعدَ إعلانِ الشريعةِ التي تَنهى عن السجودِ لغيرِ الله، أمثلةٌ كثيرةٌ لمن يسجدونَ للملكِ، وبنو الأنبياءِ سجدوا لأليشعَ النبيِّ إلى الأرض.

فلو كانت إرادةُ اللهِ أن لا يُسجَدَ لغيرهِ أصلاً ، فقد كانَ هؤلاءِ الأنبياءُ كلُّهم على خطإٍ ، وحاشا أن يكونَ ذلك ، ولكانَ اللهُ يُخالِفُ نفسَهُ إذ إنّهُ جعلَ على لسانِ الأنبياءِ أنَّهُ سيُسجَدُ لغيرِهِ. فلمّا باركَ إسحٰقُ يعقوبَ بالنبوّةِ قالَ له : «يسجدُ لكَ الرؤساءُ ، ويسجدُ لك بنو أبيك» . ويعقوبُ تنبّأَ على يهوذا : «إنَّهُ يَسجدُ لك بنو أُسرتِك» . وداودُ تنبّأَ على المسيحِ أنَّهُ يَسجُدُ لهُ جميعُ ملوكِ الأرض. فإمّا أن يقبلَ اليهودُ أنَّ المسيحَ إلٰهٌ ، وإمّا فليُقِرُّوا أنَّ اللهَ ليست إرادتُهُ أن لا يُسجَدَ لغيرِهِ على وجهِ الإطلاق. فاللهُ نهى عن السجودِ للأوثان. وهناك سجودٌ ليس على وجهِ العبادة ينطلي على غيرِ الله.

ويتّجهُ بعدَ ذلك أبو قُرَّة إلى المسلمين بدونِ أن يذكرَ اسمهم ، ويذكِّرُهم بما جاءَ في كتابِهم من أنَّ اللهَ «أمرَ الملائكةَ كلَّهم أن يسجدوا لآدم فسجدوا ، إلاّ إبليس عصى ، وكان من الكافرين» . وإنَّ يعقوبَ وبنيهِ «خرُّوا ليوسف سُجَّداً» . ويستنتجُ قائلاً : وهذا على اليهوديِّ وغيرِهِ يُثبِتُ أنَّ اللهَ ليست إرادتُهُ أن لا يُسجَدَ لغيرِهِ. وإكليلُ النصرانيّةِ أنّها لا خلافاً لله أذنت لأهلِها بالسجودِ لغيرِ الله.

* الرأس العاشر

قولُ اللهِ في الناموسِ «لا تجعل لكَ شبهَ كلِّ ما في السماءِ فوقُ وما في الأرضِ أسفلُ» ليس حظراً لصنعِ أيَّ صورةٍ وتمثيلٍ ، وإلاَّ جُعِلَ اللهُ يُناقِضُ ذاتَهُ ، إذ إنَّ اللهَ أمرَ موسى بأن يصنعَ قبّةَ الزمانِ شبهاً للمثالِ الذي أراهُ في الجبَل. ثم إنّه أمرَهُ أن يصنعَ كروبَيْنِ من ذهبٍ لهما أجنحةٌ ووجوهٌ. وبعدَ ذلك الحيّةُ من نحاس. وفي الهيكلِ الذي بناهُ في القُدسِ صنعَ أيضاً سليمانُ كروبَيْنِ ، وصوَّرَ فيهِ نخلاً وسوسناً ، وصنعَ فيهِ تماثيلَ أسدٍ وثيران.

وفي رؤيةِ حزقيالَ لهيكلِ المستقبلِ ، أراهُ اللهُ فيهِ كروبَيْنِ مخروطينِ ، وللكروبِ وجهانِ : وجهُ أسدٍ ووجهُ إنسان. والعجبُ من الذين يَعيبون على النصارى تصويرَ الأحياءِ ، ويدّعونَ أنَّ مَن صوَّرَ شيئاً حيّاً كُلِّفَ يومَ القيامةِ أن ينفخَ الروحَ في صورتِهِ ، أنّهم هم يُصوِّرونَ الشجرَ وهي أيضاً حيّة.

* الرأس الحادي عشر

تبريرُ السجودِ للصُّوَرِ (بعدَ أن ثبتَ في الرأسِ السابقِ عدمُ حظرِ تصويرِها) : السجودُ يكونُ للعبادةِ أو للكرامةِ. والسجودُ للصُّوَرِ هو للكرامةِ ، وهو يذهبُ لا للألواحِ والخشبِ ، بل لِما تُمثِّلُهُ.

فكما أنَّهُ عندما نسجدُ وركبتانا وجبهتُنا تمسُّ الأرض ، لا نبغي السجودَ للأرضِ ، بل لِما تريدُهُ نيّتُنا ، وكما أنَّ موسى لمّا كان يسجدُ بين يدي التابوتِ الذي كان عليه الكروبان ، كان يَقصدُ في سجودِهِ اللهَ الذي كان يتراءى لهُ ، كذلك نحنُ النصارى ، إذا سجدنا بين يدي صورةِ المسيحِ

والقدّيسين إنّما سجدتُنا ليسَ لتلكَ الدفوفِ والألوانِ ، بل إنّما للمسيحِ المستوجبِ السجودَ لهُ في كل نحوٍ ، وللقدّيسين المُستوجِبةِ على وجهِ الكرامة.

ويعطي أبو قُرَّة أمثلةً على قدّيسي العهدِ القديم الذين «يَسجدونَ للهِ تُجاهَ الموضعِ الذي يُعرف منهُ ، وهم يعلمونَ أنَّهُ في كلِّ موضع. فموسى ويشوعُ سجدا إزاءَ تابوتِ العهدِ. ويقولُ داود في المزمور : «أسجدُ في هيكلِكَ المقدّس». ودانيالُ فتحَ كوَّةً في غرفتِهِ باتّجاهِ أورشليم ، ليسجدَ مقابلَ أورشليم. وبنو إسرائيلَ في البريّةِ كانوا يسجدونَ تجاهَ عمودِ الغَمام. ويقول : «وكان لا يخفى على عقلائهم أنَّ اللهَ ليس محدوداً في ذلك العمود. وكانت سجدتُهم مقبولةً منهم على نحوِ عَمَدِ نيَّتِهم. فكيفَ لا يُقبَلُ من النصارى استقبالُهم صورةَ المسيحِ وقدّيسيهِ ، كلٌّ واحدٍ على الوجهِ الذي يستحقُّهُ. ولا بأسَ أيضاً من أنْ يَمَسُّوها مباشرةً بسجدتِهم ، لأنَّهُ كما أنَّهُ في حالةِ السجودِ ليسَ المقصودُ الأرضَ ، أو البساطَ الذي تَمَسُّهُ الجبهةُ والركبتان ، بل من يُبغى إكرامُهُ ، كذلك في مُماسَّةِ الصُّوَرِ لا يتوقَّفُ الإكرامُ عندَ الصُّوَرِ بحدِّ ذاتِها ، بل يذهبُ إلى ما تُمثِّلُهُ ، أي المسيح والقدِّيسين.

ويستفيض أبو قُرَّة في ذكرِ أمثلةٍ من العهدِ القديمِ على سجودِ الأنبياءِ للصُّوَر : فحزقيالُ سجدَ أمامَ شبَهِ تسبحة الله ، الذي تراءى له بوجه إنسان وبوجه حيوانات مختلفة. ولا يُمكن القول إنّ هذا الشبَهَ الذي رأى هو الحقيقةُ من جوهرِ اللهِ. لأنَّ اللهَ تراءى على غيرِ هذا المنظرِ لأشعيا ودانيال. فحزقيالُ كانَ يعلمُ أنَّهُ أمامَ صورةٍ ، وسجدَ لها.

وكذلك في ما يخصُّ السجودَ لتابوتِ العهد. فما كانَ داودُ وغيرُهُ من الأنبياءِ يكرّمون هذا التابوت بالسجودِ له ، إلاَّ وهم يكرِّمونَ شيئاً باطناً يتوهَّمونهُ في عقولهم ، كان هذا التابوتُ صورتَهُ.

إذاً لا يُنْكَرُ للنصارى أن يتوهَّموا في عقولِهم المسيحَ وقدّيسيه ، فيكرموهم بصُوَرِهم ، كما كان الأنبياءُ يُكرمونَ المِثالَ بصورتِهِ الظاهرةِ للعين.

* **الرأس الثاني عشر**

إن قالَ معترضٌ إنَّ الصُّوَرَ ليست متَّصِلَةً بما هيَ صورتُهُ كالشَّبَهِ الذي تراءى لحزقيالِ والذي كانَ موصولاً بالله ، فليعلم أنَّ تابوتَ العهدِ لم يكن هو أيضاً موصولاً بما كانَ صورةً له. وإنَّ اللهَ نفسَهُ قد جعلَ أشباهاً غيرَ موصولةٍ يَصِلُ ما يُصنَعُ بها إلى ما هي أشباهُهُ وصُوَرُهُ. فقد أُمِرَ هرونُ أن يضعَ على ردائِهِ حجاراً كريمةً تحملُ أسماءَ أسباطِ إسرائيلَ الإثني عشر ، فتكونُ هذه الأسماءُ المكتوبةُ تذكرةً للربّ ، وكأنَّ أسباطَ إسرائيلَ حاضرةٌ بذاتِها أمامَ الربّ.

فكيفَ يُلامُ النصارى لتصويرِهم وجوهَ المسيحِ والقدّيسين التي تذكّرهم بالمسيحِ والقدّيسين؟ «وإنْ قالَ قائلٌ إنَّ الأسماءَ ليست كالصُّوَرِ، فهو إنَّما يقولُ لجهلِهِ بالأمور، لأنَّ الأسماءَ المكتوبةَ أشباهٌ وأصنامٌ للألفاظ، والألفاظَ أشباهٌ للأوهام، والأوهامَ أشباهٌ للأشياءِ كما تقولُ الفلسفة. فهلِ الصُّوَرُ إلاّ كتابٌ بَيِّنٌ يَفهمُهُ من يقرأُ ومن لا يقرأُ؟ فلذلك هي أفضلُ من الكتابِ في وجهٍ، لأنَّ الكتابَ والصُّوَرَ هما تذكرةٌ للأشياءِ التي تدلُّ عليها، والصُّوَرُ في التذكيرِ أبلغُ من الكتاب لإفهامِها من لا يقرأُ، ولأنَّها أثبتُ من الكتاب»...

فالنصارى، في سجودِهم لِصُوَرِ القدّيسين، لا على وجهِ العبادة، بل على وجهِ الكرامة التي يَستأْهِلُها القدّيسون من جميعِ المؤمنين، إنَّما يَسجدونَ للقدّيسين بأعيانِهم.

* **الرأس الثالث عشر**

شهاداتٌ أخرى من كتب الأنبياء تُثبتُ أنَّ الصُّوَرَ هي إلى حدٍّ ما حضورٌ لِمَا تمثِّلُه، وأنَّه ما يُصنعُ بها يُصنعُ لِمَا هي صورتُهُ. فقد جاءَ في أشعيا تصريحُ الربّ: «إنّهُ لا يَنسى صهيونَ». وقولُهُ: «قد صوَّرتُ على يديَّ حيطانَكِ، وأنتِ قُدّامي أبداً». وفي حزقيال قولُ الربِّ للنبيِّ أن يرسمَ صورةَ أورشليمَ على لبنةٍ، وأن يبنيَ حولَها متراسا ويحفرَ خندقاً، لتكونَ أورشليمُ ذاتُها في حِصار. وإنَّ الكتابَ عدْلُ الصورةِ في هذا الوجه. فما يُصنعُ بما كُتِبَ يُصنعُ بما يدلُّ عليه. فقد جاءَ في إرميا أنَّ اللهَ أمرَ النبيَّ بأن يكتبَ كلَّ البلايا التي تأتي على بابلَ في كتابٍ، وأرسلَهُ مع موفدِ ملكِ أورشليمَ إلى بابل، وطلبَ إليهِ إذا ما فرغ من قراءةِ الكتابِ أن يربطَهُ بحجرٍ ويطرحَهُ في الفُرات، ويقول: «هكذا تغرقُ بابلُ في البلايا التي حلَّت عليها». فمهما صُنِعَ بهذا الكتاب، فقد وصلَ إلى بابل، وصُنِعَ بها مثلُهُ، كما وصلَ إلى أورشليمَ ما صنعَ النبيُّ بصورتِها.

* **الرأس الرابع عشر**

إنَّ السجودَ لصُوَرِ القدّيسين يعودُ بالإكرامِ للقدّيسين أنفسهم. ومَن أكرمَ القدّيسين استوجبَ من إلهِ القدّيسين أعظمَ مكافأةٍ، وصارَ القدّيسونَ شفعاءَ لهُ عندَ الربِّ، لأنَّ اللهَ جعلَ القدّيسين وسطاءَ بينَهُ وبينَ عِبادِهِ، إكراماً للقدّيسين، وترغيباً لغيرِهم في أن يَصِلوا إلى مكانتِهم. ونرى اللهَ في الكتابِ المقدّسِ لا يرضى عن شعبِ إسرائيلَ ويصفحُ عنهم بعدَ أن عبدوا العجلَ إلاّ بعدَ استشفاعِ موسى. وهو يقبلُ طلبَ إبرٰهيمَ في أهلِ سدوم، وسلَّطَ ايلياسَ النبيَّ على إغلاقِ السماءِ وفتحِها. «فقد عدا كرمُهُ الأوهامَ أنَّهُ يحبسُ رحمتَهُ عن العِبادِ حتى يستنبطَها أحبّاؤُهُ منه لهم، كأنَّهُ يوجبُ لِمحبِّيهِ من الحمدِ في المثلِ، مثلما يوجبُ لنفسِهِ وأكثر».

وإنَّ شفاعةَ أولياءِ اللهِ لا تقومُ فقط في أثناءِ حياتِهم ، بل بعدَ مماتِهم أيضاً . فكم من مرَّةٍ ذُكِرَ في الكتابِ أنَّ اللهَ صنعَ الخيرَ لشعبِهِ من أجلِ إبرٰهيمَ وإسحٰقَ ويعقوبَ ، وأنَّهُ خلَّصَ بيتَ المقدسِ من أجلِ داود .

وهناكَ مثلٌ من ملوكِ الأرض . فمن يُكرِمُ أصحابَ الملكِ وأهلَ الأثَرَةِ عندَهُ يجعلُ أولئك له وكلاءَ ببابِ الملكِ يُنجزونَ لهُ حوائجَه .

* **الرأس الخامس عشر**

إنَّ لوحَيِ الناموسِ اللذين وُضِعا في تابوتِ العهدِ هما رمزٌ لِكلمةِ اللهِ ، وتابوتَ العهدِ رمزٌ للعذراء . فتكريمُها إذاً تكريمٌ لصورةِ المسيحِ وصورةِ العذراء .

مُثِّلَت كلمةُ اللهِ العنصريّةُ بالعشرِ كلماتٍ (الوصايا العشر) ، لأنَّ كلمةَ اللهِ تامَّةٌ قُنوميَّة ، وعددُ العشرةِ هو التمامُ بينَ العددِ كلِّهِ . وإصبَعُ اللهِ (التي كُتِبَت بها الكلمات) هي الروحُ القدسُ (الذي به اكتملَ التجسُّد) . وتابوتُ الربِّ هو مريمُ التي سكنَتها كلمةُ اللهِ المتجسِّدةُ التي أُلِّهَت ، فلم تشوِّشها الخطيئةُ ، كما أنَّ التابوتَ كانَ من عودٍ غيرِ مُشوَّش .

واذا اعتبرَ اليهودُ أنَّ كلامَنا هذا هَذَيانٌ ، فليذكروا أنَّ ما نَفَّذَهُ موسى هو صورةٌ لمِثالٍ أعلى رآهُ في الجبل . وأيُّ شيءٍ أفضلُ من تدبيرِ المسيحِ ، الذي هو غايةُ الرجاءِ عندهم . فالكلام المُصوَّر في اللوحتَين إنَّمَا كان صورةً لتجسُّدِ المسيح ، كلمةِ اللهِ الأزليّة . ولذلك كان يَخُرُّ لهُ الأنبياءُ سُجَّداً . ولذلك قال داودُ : قُمْ يا ربُّ إلى مستراحِكَ ، أنتَ وتابوتُ قُدسِك . وهو لم يقصد بذلك التابوتَ الخشبيَّ ، بل العذراءَ مريم ، التي استنهضَها لتهربَ بابنِها إلى مصر . وإن تساءَلَ اليهود : كيفَ يُمكنُ أن ترمزَ أشياءُ جامدةٌ إلى كلمةِ اللهِ الحيّة ، فليذكروا ما صنعَ يشوعُ إذ أقامَ حجراً كبيراً تحتَ البطمةِ ، وقالَ لِبني إسرائيل : «هذا يكونُ لكم للشهادة ، لأنَّهُ هو سمعَ كلَّ شيءٍ قيلَ لكم اليومَ من الربّ» ... أفترى الحجرَ سمعَ كلامَ الربّ ، أم هو صورةٌ يُعنى بهِ غيرُهُ حَيٌّ سامعٌ شاهدٌ ؟

ولا نعجبُ من اليهود ، لأنَّ العمى مستحكِمٌ على قلوبِهم ، كما قال مار بولس ، ولكن نعجبُ من النصارى الحَمقى الذين يُقرّونَ بتأويلِنا ويرونَ الإكرامَ الفائقَ الذي قُدِّمَ لِصورةِ العهدِ القديمِ ، وهم يَفِرُّونَ من إكرامِ الصُّوَرِ المقدّسة .

* **الرأس السادس عشر**

إنَّ اللهَ أظهرَ حِسِّيًّا مجدَهُ على رموزِ العهدِ القديمِ نظراً لغلاظةِ عقلِ اليهود ، فظلَّلتِ الغمامةُ الألواحَ ، ونزلت النارُ على أوّلِ قربانٍ في قبَّةِ الشهادة وفي هيكلِ سليمان .

أمّا النصارى فليسوا في حاجةٍ إلى ذلك. فالقربانُ الذي يقدّمونهُ وهم موقنون أنّهُ جسدُ المسيحِ ودمُهُ، لا يظهرُ عليهِ شيءٌ من الجَلال. وكذلك الصُّوَرُ المقدّسة أُسوةٌ بغيرِها من أُمورِهم تُكرّمُ كما تُكرّمُ تلك، وإن كان لا يظهرُ عليها شيءٌ من الرُّعبِ والجَلال.

ومع ذلك فلأجلِ غيرِ المؤمنينَ والبُسطاءِ في الدين من النصارى، ربّما أظهرَ اللهُ جلالَ أسرارِ النصرانيَّةِ، وحقّقَ المُعجزاتِ بواسطةِ ذخائرِ القدّيسين أو صُوَرِهم. ويستشهدُ أبو قُرَّة بما ذكرَهُ سابقاً القدّيسُ اثناسيوس، وبما رآهُ هو شخصيّاً من الميرونِ النابعِ من عظامِ القدّيسين والذي يَشفي الأمراضَ المستعصية. ويُشيرُ إلى قصّةِ الشهيدِ انطونيوس رُوح القُرَشيِّ المعاصرِ لهُ، الذي اهتدى إلى الإيمانِ المسيحيِّ من جرَّاءِ عَجَبٍ رآهُ في صورةٍ كانت لمار ثاوذورسَ الشهيد.

ثم يَقصُّ حادثةَ يهودِ طبريّةَ الذين صوّروا المسيحَ مصلوباً، وطعنوا صورتَهُ، فجرى منها دمٌ وماء. ثم دنا إليها أعمى قذفَ الروحُ القدسُ الإيمانَ في قلبِهِ لِحُسنِ نيَّتِهِ، فدهنَ عينيهِ منَ الدمِ والماءِ، وشُفي. وهذه القِصَّةُ جاءت في أعمالِ المجمع المسكوني السابع.

ويعودُ أبو قُرَّة إلى ما يُريدُ إثباتَه: «ولا يَعجبَنَّ أحدٌ من قولنا إنّ الصُّوَرَ تستحقُّ الكرامةَ، وإنّنا كأنّنا نرى المسيحَ والقدّيسينَ بصُوَرِهم التي نراها، إذ نسمع مار بولس يقول: «إنَّ الصُّوَرَ هي الأعيان». فهو يقول: ان الصخرة (التي انفجر منها الماء) هي المسيحُ (مع انها صورةٌ للمسيح). كذلك الانجيليّ يوحنّا يقولُ في شأنِ المسيح: «إنّهُ لا يُكسَرُ لهُ عظمٌ»، مع أنَّ هذا قيلَ في الخروفِ الفصحيِّ رمزِ المسيح.

«وكفى بهذا تحقيقاً من العتيقةِ والحديثةِ لِمَا تَستحقُّ صُوَرُ القدّيسين من السجودِ على وجهِ الكرامة. ومن لا يقنعُ من النصارى فأحرى بهِ أن يكونَ يهوديًّا لغلظِ عقلِه».

* الرأس السابع عشر

ردٌّ شخصيٌّ على اليهود. يزعمُ اليهودُ أنّهُ لا ينبغي أن يُسجَدَ إلاّ لله. فماذا يصنعونَ بقولِ داود: «إرفعوا الربَّ إلهَنا، واسجدوا لموطئِ قدمَيْهِ». وموطئُ قدمَيْهِ هي الأرضُ بحسبِ ما جاءَ في أشعيا: «السماءُ كرسيَّ والأرضُ موطئُ قدميَّ».

واليهودُ لو سُمِحَ لهم لكرَّموا الصخرةَ التي ببيتِ المقدس. ويبرّرونَ سعيَهم لتكريمِها لكونِها على زعمِهم خرجت من الجنّة. فلماذا لا يُكرّمونَ كذلك الأنهرَ الأربعةَ الخارجةَ منَ الجنَّة؟ ولماذا لا يجعلونَ قبلتَهم نحوَ الشرقِ لأنّ الجنّةَ غُرست في الشرق؟

* **الرأس الثامن عشر**

إنّ اللهَ حظَرَ السجودَ للصُّوَرِ في العهدِ القديمِ لِضُعفِ تمييزِ اليهودِ، ولكَلَبِهم على عبادةِ الأوثان، ولعدمِ تمكُّنِهم من إكرامِ الصُّوَرِ في الوجهِ الحسن. وأثبتَ جوازَ السجودِ بشكلٍ خفيٍّ كما أوضحناهُ. فعرفَ الرسلُ ذلك، وأَذِنوا في الصُّوَرِ أن تُرسَمَ وتُكرَّم، معرفةً بأنّهُ لا يُخافُ على النصارى ما كانَ يُخافُ على بني إسرائيل.

وكذلك صنعَ اللهُ ببَني إسرائيل في الأطعمة. وإذ كانوا شرهينَ وأرادَ صدَّهم عن بعضِها سمَّاها دنسةً، مع أنّ اللهَ خلقَ كلَّ شيءٍ حسناً، «وليس شيءٌ حراماً، إذا تناولهُ الإنسانُ بالشكرِ والحمد». فكما حرَّمَ اللهُ ودنَّسَ هذه الأشياءَ في شأن بني إسرائيل، ودفَنَ في كتبهِ طُهْرَها وحلَّها لِيُفهَمَ في زمانِهِ، كذلك سمَّجَ السجودَ للصُّوَرِ عند أولئك في العلانيّةِ، وأغمضَ حُسْنَهُ في كتبِهِ، كما قد بيّنا، لِمعرفةِ النصارى الذين أُعطوا الروحَ القدسَ الذي لم يُعطَهُ أولئك.

وهناك مثالٌ آخرُ على تدابيرِ العهدِ القديمِ المؤقَّتةِ هو عدمُ كشفِ سِرِّ التثليثِ وألوهيّةِ الابنِ والروحِ القدسِ، لئلاّ يقعَ بنو إسرائيلَ في عبادةِ كثرةِ الآلهة.

أمّا النصارى فلا تنطبقُ عليهم هذه المحاذير. فمن من النصارى رأيتُموه يعبدُ صورةً من الصُّوَرِ؟ أمّا بنو إسرائيل فعبدوا حيّةَ النُّحاس التي كان صنعَها موسى في البريّة، مع أنّه حُظِرَ عليهم تكريمُ الصُّوَرِ والتماثيل.

وهناك تدبيرٌ مؤقّتٌ آخرُ في العهدِ القديم، لِقساوةِ قلوبِ بني إسرائيل، هو السماحُ بطلاقِ النساء. وكلُّ هذا يدلُّ على أنَّ وصايا العهدِ القديمِ كانت بحسبِ ما يُطيقُ بنو إسرائيل، لا بحسبِ ما هي عليه بالحقيقةِ إرادةُ الله.

* **الرأس التاسع عشر**

إنَّ اللهَ وضعَ الوصايا لبني إسرائيل، لا كما يُريدُ هو، بل كما كانوا يُطيقون. فقد جاءَ في حزقيال: «إنّي أعطيتُهم وصايا غيرَ حسنةٍ وحقوقاً لا يحيَون بها». ومَثَلُ ذلك مَلكٌ لهُ ولدٌ مولعٌ باللعبِ بالسكاكين. فلكي يَصُدَّ ابنَهُ عن اللعبِ بما يؤذيهِ، يُزيّنُ لهُ اللعبَ بالكُرةِ، مع أنّ الملكَ يريدُ أن ينصرفَ ابنُهُ إلى الدرسِ والعِلم. فاللعبُ بالكرةِ ليس حسناً في حدِّ ذاتِهِ، وقد يتجنَّبُهُ الابنُ عندَ كمالِ عقلِهِ.

وإن قالَ اليهودُ إنَّ اللهَ لا يُحرِّمُ الحلال، ولا يُسمّي الحلالَ دَنِساً، فلا بدَّ من أنَّهُ لا يُحِلُّ الحرامَ

ولا يُسمّي الحرامَ حسناً. فكيف أحلَّ أكلَ اللحومِ كلِّها لنوحٍ وبنيه؟ وكيفَ سمّى حسناً في البدءِ ما سمَّجَهُ وسمّاهُ دنساً في ما بعدُ؟

فما ذلك إلاَّ لأنَّ موانعَ اللهِ في العهدِ القديم كانت لتدبيرٍ مؤقَّتٍ، إذ كانوا مثلَ الأطفالِ لا يستطيعونَ أن يُميِّزوا الخيرَ الحقيقيَّ من الشرّ. وكما أنَّ الأُمَّ إذا أرادت فطمَ صبيِّها من اللبنِ تُسمّي اللبنَ بأسماءٍ سمجةٍ، لا لاستحقاقِهِ تلك الأسماءَ، ولكن لتزهدَ الصبيَّ فيه وتصدَّهُ عنه، لأنَّهُ لا يُلائِمُهُ في الحالِ التي هو فيها، كذلك أوقعَ اللهُ أسماءً سمجةً على السجودِ للصُّوَرِ، وعلى ما حُرِّمَ من الحيوان، لا لاستحقاقِ ذلك تلك الأسماء، ولكن لأنَّهُ لم يكن يلائِمُ بني إسرائيل في حياتِهم إذ ذاك.

فلمّا جاءَ الكمالُ، أفصحَ المسيحُ في الإنجيلِ أنْ ليسَ ما يدخلُ الفمَ يدنِّسُ الإنسان، وأَذِنَ للرسلِ في السجودِ للصُّوَرِ، وكشفوا الأمرَ الذي كان مستوراً بالألغازِ عن عوامِّ الأوّلين.

* **الرأس العشرون**

ردٌّ على الاعتراضِ بأنَّ اللهَ مُسلَّطٌ أن يأمرَ كذا ويأمرَ كذا، فأمَّا الناسُ فليس لهم أن يفعلوا خلافاً لِمَا أمرَ اللهُ به إنْ لم يأمُرْهم هو.

إنَّ الأنبياءَ سجدوا للناسِ من غيرِ أن يُصرِّحَ اللهُ لهم بذلك، لأنَّهم فهموا معنى نهيِهِ عن السجودِ لغيرِه. وسليمانُ صنعَ صُوَراً كثيرةً في الهيكلِ من غيرِ أن يأمرَهُ اللهُ بها، لأنَّهُ فهمَ معنى قولِ اللهِ ألاَّ يُصنَعَ شبهُ كلِّ شيء، أنَّهُ لم يكن منهُ عن غايةِ إرادتِهِ. وداودُ أكلَ خبزَ التقدمةِ الذي لا يحلُّ أكلُهُ إلاَّ للكهنةِ من دونِ أن يسمَحَ لهُ اللهُ مباشرةً بذلك. والمقابيّون أحلُّوا القتالَ يومَ السبتِ من غيرِ أن يأمرَهم اللهُ بذلك. وفعلوا ذلك ليسَ عن اضطرارٍ (فالفتيةُ المقابيّونَ السبعةُ ماتوا تحتَ عذابِ انطيوخوس، ولم يُذعِنوا لأمرِهِ بأكلِ لحمِ الخنزير)، إنَّما علموا أنَّ وصيّةَ السبتِ تدبيرٌ مؤقَّت. وإنَّ موسى وإيليا ودانيال صاموا يومَ السبت، مع أنَّ السبتَ كانَ يُعتَبَرُ نعيماً. وإيليّا النبي خالفَ الناموسَ إذ قدَّمَ الضحيّةَ خارجَ أورشليم بدونِ أن يأمرَهُ اللهُ بذلك، لأنَّهُ عرفَ سببَ حَظْرِ الذبائحِ في أيِّ مكانٍ، وحصرِها في القدس (الخوفُ من تقديمِ الذبائحِ للآلهةِ الوثنيّة خارجَ القدس. ولكي تبطلَ الذبائحُ عندما يَخرِّبُ الرومُ الهيكلَ).

كذلك في صنعةِ الصُّوَرِ والأشباهِ، خالفَ القدّيسونَ الشريعةَ العامّةَ التي تَحظُرُ صُنعَ كلِّ شبَهٍ. فقد أُوضِحَ أنّ القدّيسينَ خالفوا علانيةً أمرَ اللهِ من غيرِ أمرِهِ، لمعرفتِهم بأسبابِ ما أمرَ بهِ.

* **الرأس الحادي والعشرون**

وهناك ردٌّ آخر على معترض: إنْ كانت صورُ القِدّيسين تستحقُّ سجودَ الكرامة، لِمَ لا تسجدونَ

لي ، وأنا صورةُ الله ؟ إنّ الخاطئَ أفسدَ صورةَ الله . فكما أنّ الشمعَ قد تُحوَّلُ الصُّورةُ فيهِ من صورةِ ابنةِ الملكِ إلى صورةِ خنزير ، كذلك الإنسانُ بسببِ حرّيتِهِ يُصبحُ صورةَ الله إن شاء ، أو صورةَ الشيطانِ وفقَ تصرّفاتِهِ.

أمّا القدّيسون فقد أقاموا في أنفسِهم صورةَ الله ، إذ سلخوا الإنسانَ العتيقَ ، ولبسوا الجديدَ الذي يتجدّدُ على صورةِ خالقِهِ.

ولذا نَكرِّمُ القدّيسينَ حتى بعدَ وفاتِهم ، فنسجدُ لِعظامِهم ، لأنَّهم صاروا أوعيةً للروحِ القدسِ ، الذي لا يُفارقُهم لا في حياتِهم ولا في مماتِهم . ومثالُ ذلك اليشعُ النبيُّ الذي أَقامت عظامُهُ ميتاً ، ورفاتُهُ لا تزالُ في مدينةِ سلقين ينبعُ منها ميرونٌ يُنَقّي البُرص . وهناكَ أمثلةٌ أخرى على المُعجزاتِ التي تُجريها عِظامُ القدّيسين.

الجزءُ الرابع

البرهانُ المأخوذ مِن العقل

(الرأس ١٢ إلى ٢٤)

* **الرأس الثاني والعشرون**

شهادةٌ من العقل على أنَّ الصورةَ التي تُرسَمُ على المادّةِ تُعطيها قيمةً خاصةً ، وأنّ ما يُصنعُ بها من كرامة أو هوانٍ يصلُ من السرورِ والحزنِ إلى من هو صورتُهُ .

إنّ الطينَ إذا وقعَ عليهِ ختمُ الملكِ قد يُقرِّرُ فداءَ مئةِ ألفِ رجل . وقبلَ ذلك كانَ طيناً لا قيمةَ لهُ . وكذلك القرطاسُ إذا وقعَ فيه خطُّ يدِ الملك . وانَّ لَوحَي الناموسِ هما حجرٌ عاديّ . ولما رُسِمَ فيهما خطٌّ بيدِ الربّ ، اكتسَبا كرامتها العظيمة . والتوراةُ والإنجيلُ يُكتبانِ في رقوق . والرقوقُ قبل أن يُكتبَ فيها كلامُ اللهِ لا كرامةَ لها . وبعدَ أن أُثبِتَ فيها كلامُ اللهِ أُجلَّت وأُكرمت أعظمَ الإكرام ، حتى إنَّ من يُهينُها يتعرَّضُ للموت .

* **الرأس الثالث والعشرون**

توبيخٌ لِمَن يقولُ إنّ الكرامةَ أو الهوانَ الذي يُصنعُ بصورةِ المسيحِ إلهنا لا يَصِلُ سرورُهُ أو هوانُهُ إلى المسيحِ ، مثلما يُصنَعُ بصورة الأبِ والأُمِّ عندَنا .

ويُشيرُ أبو قُرّة بنوعٍ خاصٍّ إلى صُورَةِ المسيح «المكرَّمةِ في الرُّها مدينتِنا المباركة» . ويقول : لو أَنَّ أحداً من نابذي إكرامِ الصُّوَرِ عُلِّقَت صورةُ أبيهِ على بابِ كنيسةِ صورةِ المسيحِ ، وأخذَ كلُّ من يخرجُ من الكنيسةِ يبصقُ في وجهِ صورةِ أبيه ، أما كان يغضبُ أشدَّ الغضب ؟ وهكذا فكرامةُ صورةِ المسيحِ واصلٌ إليهِ سرورُها . وهو مكافىءٌ لِمن يسجدُ لها من الخيرِ ما يَعدُلُ ما تصنَعُ أنتَ من الشرّ بمن يَبْصِقُ في وجهِ صورة أبيك .

ولو أنَّ ملكاً اتُّهِمت أُمُّهُ في سلوكِها ، فصُوِّرت في وضعٍ مشينٍ ، وشُهِّرت صورتُها في المدينة ،

ألا يغتاظُ ويقتصُّ ممن فعل هذا؟ وهل بوسعِ ذاك أن يدّعي أنّهُ لم يمسَّ أمَّهُ بشيءٍ بل ما فعلَهُ هو بالدَّفِّ والألوان؟.

«فبحسبِ هذا يُكرِمُ المسيحُ ربُّنا الملك السماوي لمن شهَّرَ صورتَهُ وسجدَ لها، وكذلك ينتهرُ ويُقصي عن ملكوته من تهاونَ بصورتِهِ ومنعَها السجودَ مكابرةً».

* **الرأس الرابع والعشرون**

إنَّ مَن يصوّرونَ المسيحَ ويكرّمون صُورَهُ يستحقّون أعظم مكافأة، لا سيّمَا إذا صوّروهُ مصلوباً. فإنَّهم بذلك يُبدون تعلُّقَهم المُخلِصَ بملكِهم وفاديهم، إذ ظلّوا أمينين لهُ في الهوانِ الذي احتملَهُ بإرادتِه. فكيفَ لا يكافئُهم وقد عادَ إلى مجده؟ بينما الذين يَخجلونَ من صليبِ المسيحِ يَحرمونَ أنفسَهم من نِعَمِهِ.

إذاً طوبى لمن صوَّرَ ربَّنا وسجدَ لِصُورتِهِ بالسّبب الذي ذكرنا، وصوَّرَ قدّيسيهِ وسجدَ لِصُوَرِهم، تكرمةً لهم، ومعرفةً بقصّتِهم، واستعانةً بصلواتِهم، وتحرّكاً إلى الاقتداءِ بهم. والويلُ كلُّهُ لِمَن تركَ ذلك.

ويختمُ أبو قُرَّة بطلبِ صلواتِ الأنبا ينَّه كي يُنيرَ الروحُ القدسُ قلبَهُ، ليكونَ صورةً حقيقيَّةً للهِ، تُرى في أنفسِنا هنا كفي المرآةِ الناصعةِ صقالتُها.

الفصل الرابع

لاهوتُ المَقال

إنَّ موضوعَ المقالِ في إكرامِ الأيقونات لا يتناولُ العقائدَ المسيحيّةَ الأساسيّة ، بل جانباً ثانويًّا من العِبادة ، أُثيرَ حولَهُ الجدلُ بشكلٍ عنيفٍ في عصرِ أبي قُرّة . ويتناولُ أبو قُرّة الموضوعَ بعمقٍ ومن مختلفِ جوانبه ، مبيِّناً مغزى الإكرامِ النسبيِّ الموجَّهِ للأشخاصِ وللصُّوَرِ وحدودَه .

إلاّ أنَّ أهميّةَ المقالِ من الوجهةِ اللاهوتيَّةِ تتعدّى هذا الجانبَ المحدودَ الذي يستهدفُ المؤلِّفُ إيضاحَهُ والبرهانَ عن شرعيّته . في سبيلِ إيضاحِ منهجِهِ ودعمِ برهانِه يتناولُ بالبحثِ موضوعاً شائكاً من اللاهوتِ الأساسيّ ، إذ يتحدّثُ عن التقليدِ كمصدرٍ ثانٍ ، بجانبِ الكتابِ المقدّس ، لمعرفةِ أُصولِ الدين ، وعن أُسلوبِ تأويلِ الكتابِ ، والبعدِ النسبيِّ لتشريعاتِ العهدِ القديم .

فالجانبانِ الأساسيّانِ اللذان يتوسّعُ فيهما أبو قُرّة هما إذاً : الإكرامُ النسبيّ ، وأُصولُ اللاهوت (التقليد والكتاب) .

إلاّ أنَّهُ في سياقِ المقال ، يتطرّقُ إلى حقائقَ لاهوتيّةٍ هامَّةٍ يستشهدُ بها ، ولا يحلِّلُها علميًّا ، وفيها يبدو أبو قُرّة شاهداً لإيمانِ الكنيسةِ في عصرِهِ أكثرَ منهُ لاهوتيًّا ، كما نجدُ في المقالِ فوائدَ تاريخيّةً عدّة لا تخلو من أهميّة .

أولاً : العبادة النسبيّة

إنَّ وصيَّةَ التوراة : «أنا الربُّ إلهُكَ ، لا يكنْ لكَ آلِهةٌ سواي ، ولا تصنعنَّ لكَ وَثناً ولا شِبْهَ كلِّ ما في السماواتِ فوقُ وما في الأرضِ أسفل ، وما في الماءِ تحتَ الأرض . لا تسجدْ لها ولا تعبدْها ، فإنّي أنا الربُّ إلهُك»[1] ، وما جاءَ في تثنيةِ الإشتراع : «للربِّ إلهِكَ تسجدُ وإيَّاهُ وحدَهُ تعبدُ»[2] ، تشكِّلُ شرعةَ التوحيدِ الخالصِ الصِّرف .

---

١) خروج ٢٠/٢ – ٥

٢) تثنية ١٣/٦

إلاّ أَنَّ اللهَ أرادَ أن يتقرَّبَ من الإنسانِ، وأن يَظهرَ لهُ بأشكالٍ حِسِّيَّة، ، كما قرَّبَ إليهِ الإنسانَ ودعاهُ إلى الإشتراكِ في حياتِهِ وقدسيَّتِهِ، وجعلَ من الأُمورِ الحِسِّيَّةِ وسيلةً يتقرَّبُ الإنسانُ من خلالِها إلى الله. ولذا فإنْ كانَ السجودُ بمعناهُ الحصريِّ لا يجوزُ إلاَّ لله، فإنَّ مسحةً من جلالِ اللهِ تَنْعَكِسُ على كلِّ ما يلوذُ بهِ أو يقودُ إليه، فيستحقُّ من ثَمَّ شيئاً من الإكرام.

وإنَّ أبا قُرَّة، في إثرِ يوحنّا الدمشقيِّ، يقومُ بالتمييزِ الضروريِّ الذي يسمحُ بالسجودِ لِمَا هو دونَ الله: «إنَّ السجودَ قد تحقَّقَ أَنَّهُ على وجهِ العبادةِ وعلى غيرِ وجهِ العبادة. وأحدُ وجوهِ السجدةِ التي تكونُ على غيرِ العبادةِ هو وجهُ الكرامة» (١١/٣).

هناكَ ثلاثُ نقاطٍ يتعرَّضُ لها أبو قُرَّة، وكانت تُنكَرُ على النصارى: السجودُ لِمَا هو دونَ الله، وشفاعةُ القدّيسين، ورسم الصُّوَر وتكريمُها.

١ - السجودُ لِمَا هو دونَ الله

إنَّ اللهَ نَهى عن السجودِ للأوثانِ لأَنَّ الأُممَ كانت تعتبرُها آلهةً وتقدِّمُ لها العبادة. أمّا السجودُ والإنحناءُ أمامَ من يستحقُّ التبجيلَ للدلالةِ على مجرَّدِ الإكرامِ فلم يحظرْهُ الله.

ويتوجَّهُ أبو قُرَّة إلى اليهودِ أوَّلاً، ويُعطيهم أمثلةً كثيرةً من العهدِ القديم، قبلَ إعلانِ الناموسِ الموسويِّ وبعدَه، يَسجدُ فيهِ الآباءُ والأنبياءُ للأشخاصِ الذين يَودُّونَ إكرامَهم، لا سيَّمَا لِلملوك.

ثم يتوجَّهُ إلى المُسلمين، دونَ أن يذكرَهم، ويستشهدُ بكتابهم، حيثُ يأمرُ اللهُ الملائكةَ بأن يَسجُدوا لآدمَ، وحيثُ يَردُ أنَّ يعقوبَ وبنيهِ «خرُّوا ليوسفَ سُجَّداً».

فالسجودُ إذاً قد يكونُ على وجهِ الكرامة، وليس عبادةً حتماً.

ويتبيَّنُ من شهادةِ أبي قُرَّة أَنَّ المُسلمينَ كانوا يَستنكرونَ على المسيحيّين تكريمَهم لأساقفتِهم في أثناءِ الإحتفالاتِ الليتورجيّةِ بمظاهرِ السجود:

«وغيرُك يا يهوديّ مِمّن يقولُ إنَّهُ لا يَحِلّ أن يُسجَدَ إلاّ للهِ، ويتهزَّأُ بالنَّصارى في سجودِهم للصُّوَرِ وللناس، ويزعمُ أنَّ السجودَ عبادةٌ، قد يذكرُ أنَّ اللهَ أمرَ الملائكةَ كلَّهم أن يَسجدوا لآدمَ، فسجدوا إلاّ إبليسُ عصى وكانَ من الكافرين»[٣].

---

٣) سورة البقرة ٣٤

«فإنْ كانَ السجودُ عبادةً لا محالةَ كقولِك ، فقد أمرَ اللهُ إذن الملائكةَ أن يعبُدوا آدم ، وحاشا للهِ أن يفعلَ ذلك» .

«وإلاّ فليعلمْ أنَّ السجودَ قد يكونُ على وجهِ الكرامة ، وليكفَّ عن هزئِهِ بالنصارى ، حيثُ يَراهم يسجدونَ لأساقفتِهم ، وليذكرْ أنَّهُ يقولُ أيضاً إن يعقوبَ وبنيهِ خرّوا ليوسفَ سُجَّداً[٤] . فلا يَعيبنَّ على من يفعلُ فعلَ الأنبياء» (٩/٣٥ - ٣٩) .

٢ - شفاعةُ القدّيسين

يقولُ أبو قُرَّة : «إنَّ من سجدَ لصورةِ قدّيسٍ أنهضَ القدّيسَ للصلاةِ عنهُ ، وإنَّ القدّيسينَ وسطاءُ بين اللهِ والناس ، يُرضونَه عن الناس في حياتِهم وموتِهم (١/١٤) ... لأنَّ اللهَ بطيبه قد جعل القديسين وسطاء بينَهُ وبينَ عبادهِ ، إكراماً للقدّيسين ، وترغيباً لغيرِهم في أن يَحظَوا عندَهُ حظَّ أولئك (٤/١٤) .

فما للقديسينَ من مقدرةٍ على الشفاعةِ هو من فضلِ طيبِ اللهِ الذي أرادَ أن يُشركَهم في عطائِهِ وجودِهِ ، وذلكَ إكراماً للقدّيسين الذين أرضَوْه في طاعتِهم ، وترغيباً للناس للإقتداءِ بهم . فكأنَّ اللهَ يُمسكُ رحمتَهُ وجودَهُ عنِ البشرِ حتى يَستعطفَهُ الأولياءُ والقدّيسون . والشهادةُ على ذلك ما جاءَ في العهدِ القديمِ من شفاعةِ موسى ببني إسرائيل بعدَ أن عَبدوا العجل ، فأَصرفَ اللهَ عن غضبِهِ ، ومن تدخُّلِ إبرٰهيمَ لدى اللهِ ليعفوَ عن أهلِ سدوم ، ومن تسلُّطِ النبيِّ إيليّا على إغلاقِ السماءِ وفتحِها . «فقد عدا كرمُهُ الأوهامَ أنَّهُ يحبسُ رحمتَهُ عن العباد حتّى يستنبطَها أحبّاؤُه منهُ لهم ، كأنَّهُ يُوجِبُ لِمُحبِّيهِ من الحمدِ في المثلِ مثلَما يوجبُ لنفسِهِ وأكثر» (٩/١٤) .

وشفاعةُ الأولياءِ لدى الله ليست فقط في أثناءِ حياتِهم ، بل أيضاً بعدَ مماتِهم . وقد ذكرَ العهدُ القديمُ كيفَ صنعَ اللهُ الخيرَ والرحمةَ لشعبِهِ من أجلِ إبرٰهيمَ واسحٰقَ ويعقوبَ ، ومن أجلِ داود . فالقدّيسون يوصلونا إلى الله ، ومن يلتجئُ إلى قدّيسٍ يُنهضُ القدّيسَ للصلاةِ عنهُ . ولا حاجةَ إلى إكثارِ الكلامِ في الصلاة ، لأنَّ القدّيس أعلمُ مِنّا بما نحتاجه .

وهناك مثلٌ مما يجري لدى ملوكِ الأرض . فمن يُكرمُ الوزراءَ وأهلَ الأَثَرَةِ لدى الملكِ يجعلُ لهُ أولئك وكلاءَ ببابِ الملك ، يُنْجزون لهُ منهُ حوائجَه في مغيبِهِ ومشهدِهِ (١٨/١٤) . فشفاعةُ القدّيسين واستشفاعُهم ليس انتقاصاً لمقدرةِ اللهِ وجودِهِ ، بل هي من مظاهرِ هذه المقدرةِ وهذا الجود . وقد

---

٤) سورة يوسف ١٠٠

جرت مُعجزاتٌ جمَّةٌ بفضلِ رُفاتِ القدّيسين وصُوَرِهم. وهذه المُعجزاتُ، منها ما وردَ ذكرُه في الكتابِ المقدّس، ومنها ما لا يزالُ يجري ويُثبتُه الشهودُ العيان (١٦/١١ - ٢٢، ٢١/١٣ - ١٦).

ويُلخِّصُ أبو قُرَّةَ في آخرِ مقالِهِ المَدعاةَ للإتصالِ بالقدّيسين، فذلك «تكرمةً لهم، ومعرفةً بقِصَّتِهم، واستعانةً بصلواتِهم، وتَحَرُّكاً إلى الإقتداءِ بهم» (٢٤/٣٧).

إنّ القدّيسين يستحقّون كلَّ إكرام، لأنّهم أقاموا في نفوسِهم صورةَ اللهِ، بأن سلخوا الإنسانَ القديمَ، ولبسوا الجديدَ الذي يتجدَّدُ بشبهِ خالقِهِ، وأصبحوا أوعيةً للروحِ القدسِ الذي لا يُزايِلُهم لا في حياتِهم ولا في مماتِهم (٢١/١١ - ١٢).

وقد تصلَّبوا بروحِ القدس، فجروا في ميدانِ المسيح، وشاركوهُ في أوجاعِه، وتزيَّنوا صبراً بحِليةِ صليبِه، وصاروا أيمَّةً كِراماً للمؤمنين، ذكرُهم يُهَيِّجُهم إلى الإقتداءِ بهم، والفوزِ بمثلِ إكليلِهم (١/٢).

وأقدسُهم مريمُ، تابوتُ الربّ، التي سكنَتها كلمةُ اللهِ متجسِّدةً، التي أُلّهت فلم تُشوِّشْها الخطيئة، كما أنّ التابوتَ كانَ من عودٍ غيرِ مشوّشٍ، مغشّى بالذهبِ من داخلٍ وخارج (١٥/٧).

٣ - الصُّوَرُ المقدّسة

* الصُّوَرُ تُمثِّلَ حضورَ غيرِ المنظور

إنّ اللهَ روحٌ ولا يَحُدُّهُ مكانٌ. إنّما كانَ يتراءى للأنبياءِ بالأشباهِ. وقد جسَّمَ حضورَهُ عبرَ رموزٍ كان يتراءى للشعبِ من خلالِها كالكروبينِ وعَمُودِ الغَمَام. وكانَ الشعبُ يُقدِّمُ لهُ السجودَ من خلالِ هذه الرموز. «وموسى قد كانَ يسجدُ بين يدَي التابوتِ التي كان عليها الغفرانُ بينَ الكروبينِ، لأنّ اللهَ قالَ لهُ: إنّي من فوقِ الغُفرانِ الذي على تابوتِ الشهادةِ من بينِ الكروبين أُعرَفُ لَكَ»[٥]، (١١/١٠).

«وكانَ إذا دخلَ موسى خيمتَهُ يَنزلُ عمودُ سحابةٍ، فيقفُ ببابِ الخَيمة، فيكلِّمُ اللهَ من ثَمَّ. وكانَ كلُّ الشعبِ يرى عمودَ السحابةِ واقفاً على بابِ الخَيمة، ويقومون كلُّ الشعبِ ويسجدون كلُّ

---

٥) خروج ٢٥/٢٢

واحدٍ من بابِ خَيمتِه» [٦] . ألا ترى أنَّ اللهَ ، لأنَّهُ يُكلِّمُ موسى من عمودِ السَّحابة ، إنَّما كانَ يسجدُ بنو إسرائيلَ تجاهَ العمودِ لله؟ وكانَ لا يخفى على عقلائِهم أنَّ اللهَ ليس محدوداً في ذلك العمود. وكانت سجدتُهم مقبولةً منهم على نحو عَمْدِ نيَّتِهم.

فكيفَ لا يُقبَلُ من النصارى استقبالُهم صورةَ المسيحِ وقدّيسيهِ ، كلٌّ على الوجهِ الذي يستحقُّهُ (١١/٢١ – ٢٥)؟

إنَّ أبا قُرَّة يربطُ بينَ الصُّورِ وما يُجسِّمُ حضورَ اللهِ في العهدِ القديم. إنَّها وساطةٌ لتقريبِ اللهِ والقدّيسين إلى الإنسانِ المجبولِ بالحِسّ: «إنَّ أَصنامَ وصُورَ القِدّيسين إنّما تُرسَمُ وتُمثَّلُ للتذكرةِ فقط ، لا لشيءٍ آخَر» (١٦/٨). كيفَ يُلامُ النصارى أن يُصَوِّروا وجهَ المسيحِ في تَنقُّلِ تدبيرِه ، ووجوهَ القِدّيسين في أشكالِ أفعالِهم ، تذكرةً تُحرِّكُهم إلى إحداثِ الشُّكرِ للمسيحِ بما تجشَّمَ شأنَ خلاصِهم ، وإلى الإقتداءِ بالقدّيسين في ما لَقوا في حُبِّهِ، **وكأنَّهم ينظرونَ إلى أولائك بنظرِهم إلى صُورِهم**» (١٢/١٤ – ١٦).

وهناكَ وجهُ شَبَهٍ بينَ الصُّورِ المرسومةِ والكِتاب: «هل الصُّوَرُ إلاّ كتابٌ بَيِّنٌ يفهمُهُ من يقرأُ ومن لا يقرأ؟ فلذلك هي أفضلُ من الكتابِ في وجهٍ، لأنَّ الكتابَ والصورةَ تذكرةٌ للأشياءِ التي تدلُّ عليها. والصُّوَرُ في التذكيرِ أبلغُ من الكتاب ، لإفهامِها من يقرأُ ومن لا يقرأ ، ولأنَّها أثبتُ إفهاماً من الكتاب» (١٢/١٩ – ٢٠).

ان الصورةَ بمعناها الماديّ هي ما يُرسَمُ بالألوان على الدفّ. ولا يتعمَّقُ أبو قُرَّة في تقنيَّةِ رسمِ الأيقونةِ أكثرَ من ذلك. وهو يُشيرُ أيضاً إلى التماثيلِ والأصنامِ التي تُصنَعُ من نُحاسٍ أو مرمر. إلاّ أنَّهُ يُدخلُ في نطاقِ الصورةِ بحسبِ المفهومِ الفلسفيِّ للصورة الاسمَ الملفوظَ والمكتوبَ والرمز ، ويُطبِّقُ على الصُّورِ المرسومةِ ما جاءَ في العهدِ القديمِ عن الأسماءِ والرُّموز.

إنَّ أسماءَ بني إسرائيلَ كُتِبَت على اثني عشرَ حَجَراً ، ووُضِعَت على صدرِ هٰرون حتّى يدخلَ بها أمامَ الربّ [٧] . «ألا ترى الربَّ العليمَ بالأشياءِ كلِّها قبلَ كونِها قد أرادَ بانحطاطِهِ أن تكونَ أسماءُ بني إسرائيلَ تذكرةً بينَ يَدَيهِ ، كأنَّ بني إسرائيلَ بنظرِهِ إلى أسمائِهم وقوفٌ بينَ يدَيْهِ يبتهلونَ إليهِ ، فيعطِفُ عليهم برحمتِه» (١٢/١٢ – ١٣). ويقولُ أبو قُرَّة : إن قالَ قائلٌ : إنَّ الأسماءَ ليست كالصُّور ، فهو إنَّما يقولُ هذا لجهلِهِ بالأُمور ، حيثُ لا يعلمُ أنَّ الأسماءَ المكتوبةَ أشباهٌ وأصنامٌ للألفاظ ،

---

٦) خروج ٣٣/٧ – ١٠

٧) خروج ٢٨/٢٩ – ٣٠

والألفاظَ أشباهٌ للأوهام، والأوهامَ أشباهٌ للأشياء، كما تقولُ الفلسفة» (١٢/١٧ – ١٨).

ولوحا الناموسِ وتابوتُ العهدِ هي أيضاً صورة. وكُرِّمت لأنَّها صورةٌ لتجسُّدِ الكلمةِ وللعذراءِ مريم. «كيف تَنْسَى الصورةَ العُظمى المشهورة، لوحَي الناموسِ اللذين وُضِعا في تابوتِ الربّ، المصوَّرةِ فيها العشرُ كلماتٍ التي كلَّمَ اللهُ بها بني إسرائيل، بإصبعِ الربّ. أَفهل هٰذا إلاّ صورةُ كلمةِ اللهِ العنصريَّةُ التي تجسّدت من روحِ القدسِ ومن مريمَ العذراءِ في آخر الزمان» (١٥/٢ – ٣)... «وتابوتُ الربِّ هي مريمُ التي سكنَتْها كلمةُ اللهِ متجسّدةً، التي أُلِّهت فلم تُشَوِّشْها الخطيئةُ، كما أنَّ التابوتَ من عودٍ غير مُشوّشٍ، مغشًّى بالذهب من داخل وخارج. وليس هذا موضعٌ ينبغي أن نُلَخِّصَ دلالاتِ هذه الصُّوَرِ ونرفعَها إلى مثالاتِها التي منها استُقِيَت. ولكنَّ اليهودَ يظنُّونَ ما نذكرُ من هذهِ الآياتِ هذياناً لغلظِهم، ولا يعلمونَ ويحَهُم أنَّهُ إذ قد تحقَّقَ على تلكَ الأشياءِ أنّها صورةٌ لغيرِها، كما قالَ اللهُ لموسى أنِ اصنَعْ كلَّ شيءٍ شبهَ المِثالِ الذي أريتُك في الجبل [8]، فلها دلالاتٌ ومعانٍ لا محالة» (١٥/٧ – ٩). «وإن افترَيْتَ أنَّ هذه الأشياءَ الغيرَ متنفِّسةٍ صورةٌ لأشياءَ حيَّة، فكيفَ نصنعُ بيشوعَ بنِ نونٍ؟ إنّهُ أخذَ حجراً عظيماً فأقامَهُ تحتَ البطمةِ قدّامَ الربِّ، وقالَ لِبني إسرائيل: هذا يكونُ لكم للشهادة، لأنَّهُ هوَ سَمِعَ كلَّ شيءٍ قيلَ لكمُ اليومَ من الربّ، وهو يكونُ لكم للشهادةِ في آخرِ الأيّامِ إذا كذبتم بالربِّ إلٰهكم [9]. أفترى الحجرَ يا يهوديُّ سمعَ كلامَ الربِّ، وهو شهدَ لهُ في آخرِ الأيّامِ على بني إسرائيل؟ إنَّ هذا الجنونُ الصِّرفُ، إنْ لم يكن صورةً يُعنى بهِ غيرُهُ حيٌّ سامعٌ شاهد. إذن الأمرُ كما قلنا في الكلامِ الذي صُوِّرَ على اللوحَين أنّهُ صورةٌ لتجسُّدِ كلمةِ اللهِ الأزليّة (١٥/١٨ – ٢٢). والعجبُ من مجانينِ النصارى الحائدينَ عن تقريبِ السجودِ لصورةِ المسيحِ وصُوَرِ القدّيسين أنّهم لا يَشكُّونَ أنَّ هذهِ الصورةَ التي أثبتناها من العتيقةِ على ما قد تأوّلناها، ويرونَ الصورةَ العتيقةَ بلغت هذه الغايةَ في الكرامةِ، ويُفرُّونَ هم من إكرامِ الصُّوَرِ المقدَّسة» (١٥/٢٦ – ٢٧).

* إكرامُ الصُّوَرِ يعودُ لِمَا تُمَثِّلُهُ

إنَّ النصارى يُكَرِّمونَ صورةَ المسيحِ وقدّيسيهِ بسجودِهم أمامَها حتّى مماسّتِها بجباهِهم سجودَ الإكرامِ لا العبادة. والمقصودُ بالإكرامِ ليس الدفَّ والألوان، بل ما تُمثِّلُهُ هذه الصُّوَر.

---

٨) خروج ٢٥/٨ – ٩

٩) يشوع ٢٤/٢٦ – ٢٧

يقولُ أبو قُرَّة للمعترضِ على إكرامِ الصُّوَر: أخبِرْنا، السجودُ إنَّمَا تجعلُه للشيءِ الذي تقعُ الركبتانِ عليهِ والجبهةُ، أَم لِمَا تريدُهُ النِّيَّةُ بوقوعِ الركبتينِ والجبهةِ وبالإنحناء؟

فإنْ قالَ: إنَّ السجودَ إنَّما هو لِمَا تماسُّهُ الركبتان والجبهة، أو لما شاكل ذلك مما تماسُّه ركبتا الساجد وجبهته إذا ركع، ولأدنى ما يستقبله إليهِ إذا انحنى ساجداً من حائطٍ أو غيره، فقضيَّتُهُ نافذةٌ على نفسِهِ لا علينا، وحسبُهُ ذلك من المذمّةِ أنْ قد جعلَ نفسَهُ لم يزلْ ساجداً لِمَا ذكرنا ولا يَزال. وهذا أسمجُ رأيٍ إعتقدَهُ أحدٌ في السجودِ، وأخلقُ بصاحبِهِ أن يكونَ بهيمةً. فلا بُدَّ للسجودِ من أن يكونَ لِمَا تُريدُهُ النيّةُ بثني الركبتين ووقوعِ الجبهةِ والموضعِ المستقبَلِ» (١١/٤ - ٨)... «كذلك ونحنُ النصارى، إذا سجدنا بينَ يدَيْ صورةِ المسيحِ والقدّيسين، إنَّمَا سجدتُنا ليس لتلك الدفوفِ والألوان، بل إنّمَا للمسيحِ المستوجِبِ السجودَ لهُ في كلِّ نحوٍ، والقدّيسين المستوجبةِ على وجهِ الكرامة» (١١/١٢).

«وإنْ قالَ أحدٌ إنَّ النصارى لا يقتصرونَ على السجودِ قدّامَ هذه الصُّوَرِ حتّى يُماسُّوها بسجدتِهم، فليذكُر ما قد أخبَرْنا قديماً من سجودِ يعقوبَ على طرفِ عصا يوسفَ ومماسَّتِهِ إيّاها بسجدتِهِ، أنَّهُ إنَّما يُحمَلُ ذلك منهُ على ما أرادَ من إكرامِ يوسف. وليذكُرْ أيضاً ما قد ذكَرْنا من أنَّ كلَّ ساجدٍ لله إنَّما يُماسُّ بركبتَيهِ أرضاً أو بساطاً، وإنَّما تُحمَلُ سجدتُهُ على ما ينوي لله من السجودِ. كذلك والنصارى إنَّمَا تُحمَلُ مُماسَّتُهم هذه الصُّوَرَ بسجودِهم على ما يُريدون بذلك من إكرامِ المسيحِ إلهِهم وقدّيسيهِ والأنبياء والسَّلِيحيِّين والشهداءِ وغيرهم» (١١/٢٦ - ٢٩).

ولذا لا يمكنُ نعتُ إكرامِ الصُّوَرِ بعبادةِ الأوثان: «ليس سجودُنا للصُّوَر كعبادةِ الأوثان، بل إنَّمَا نُبدي سجودَنا للصُّوَر وللصليبِ بالوجهِ الذي الصورةُ لهُ حُبًّا وعشقاً إيّاهُ. من أجلِ هذا إذا دَرَسَتِ الصورةُ كثيراً ما نحرقُ ذلك الذي كان مرّةً صَنماً كالعود. وكما أنَّ يعقوبَ إذا دنا من الموت سجدَ على طرفِ عصا يوسف، ليس ليكرمَ العصا، ولكن للذي كانَ يُمسِكُها بيدِه، كذلك ونحنُ المؤمنين لا لسببٍ غيرِ هذا نُكرِمُ الصُّوَرَ ونُماسُّها مثلَ ما نُقبِّلُ البنينَ والآباءَ، مظهرين ذلك الحُبَّ الذي لهم في أنفسِنا، كما اليهوديُّ في قديمِ الدهرِ كانَ يسجدُ لِلَوحَي الناموسِ وكروبَي الذهبِ المسبوكَينِ، ليس مُكرِّماً لطبيعةِ الذهبِ والحجرِ، ولكن للربِّ الذي أمرَ أن يُصنَعَ هذا» (٤/٨ - ٩).

«إنَّ ما يُصنَعُ بالصورةِ من كرامةٍ أو هوانٍ يَصِلُ منهُ السرورُ والحزنُ إلى من هي صورتُهُ» (٢٢/٣).

«إنّ كرامةَ صورةِ المسيحِ واصلٌ إليهِ سرورُها ، وهو مكافئٌ لِمَن يسجدُ لها من الخيرِ ما يَعدِلُ ما تصنعُ أنت من الشرِّ بمن يبزُقُ في وجهِ صورةِ أبيك وأكثرَ ، بمِقدارِ كرمِهِ الذي لا يُحيطُ بهِ وهمٌ» (٢٣/٨ – ٩).

ولذا فإكرامُ الصُّوَرِ هو إكرامُ القدّيسين بأعيانِهم (١٢/٢٧ ، ١٣/٦ .)» ولا يعجبنَّ أحدٌ من قولِنا إنَّ الصُّوَرَ تستحقُّ الكرامة ، وإنَّنا كأنَّنا نرى المسيحَ والقدّيسينَ بصُوَرِهم التي نراها ، إذ نسمعُ مار بولسَ يقولُ : إنَّ الصُّوَرَ هي الأعيان» (١٦/٢٣).

وما كانتِ الرموزُ والصُّوَرُ تُكرمُ لو لم يكنِ المقصودُ بالإكرامِ ما تَدُلُّ عليهِ . «وما كانَ داودُ وغيرُهُ من الأنبياءِ يُكرمونَ هذه التابوتَ بالسجودِ قدّامَها والزفنِ والتسبيحِ إلاّ وهم يُكرِمونَ شيئاً باطناً يتوهّمونَهُ في عقولِهم ، كانت هذه التابوتُ صورتَهُ»...

إذن لا يُنكَرُ للنصارى أن يتوهَّموا في عقولِهم المسيحَ وقدّيسيهِ ، فيكرمونَهم بصُوَرِهم ، كما كان الأنبياءُ يُكرِمونَ المِثالَ بصورتِهِ الظاهرةِ للعين» (١١/٣٩ و ٤١).

* **حَظْرُ الصُّوَرِ في العهدِ القديمِ ليس مُطلَقاً ولا نِهائيًّا**

جاءَ في سفر الخروج (٢٠/٢ – ٥) : أنا الربُّ إلٰهُكَ الذي أخرجتُكَ من أرضِ مصرَ ، من بيتِ العبوديَّة . لا يكنْ لكَ آلِهَةٌ سواي . ولا تصنعنَّ لكَ وثناً ولا شبهَ كلِّ ما في السماواتِ فوقُ ، وما في الأرضِ أسفل ، وما في الماءِ تحتَ الأرض ، فتَسجُدَ لها ولا تعبدْها ، فإني أنّا الربُّ إلٰهُك» (٩/٧).

إلاّ أنَّ هذا الحَظْرَ ليس مطلقاً . فإنَّ اللهَ أمَرَ موسى بأن يصنعَ قُبَّةَ الزمانِ شِبهاً للتمثالِ الذي أراهُ في الجبل[١٠] . وطلبَ إليهِ أن يجعلَ كروبَيْنِ من ذهبٍ ، مخروطَيْنِ ، ويضعَهُمَا على جانِبَي الغُفران[١١] ، كما أمَرَهُ أن يصنعَ حيَّةَ النُّحاسِ في البريّة[١٢] . وسليمَانُ صوَّرَ في البيتِ نخلاً وسوسناً ، وصنعَ فيهِ تماثيلَ أسدٍ وثيران[١٣] (١٠/٣ – ١٤).

إذاً قولُ اللهِ لإسرائيل : لا تصنعْ لكَ شبهَ كلِّ ما في السماءِ وما في الأرض وفي الماء ، «ليس يريدُ

---

١٠) خروج ٢٥/٨ – ٩

١١) خروج ٢٥/١٨

١٢) عدد ٢١/٨ – ٩

١٣) ١ ملوك (٣ ملوك) ٦/٢٩ و ٧/٢٣ – ٢٥

بِهِ ألاَّ يصنعَ لهم المؤمنون بهِ أشباهاً وتماثيلَ بتّةً ، بل إنَّما نهاهم عنِ الأشباهِ التي كانوا يصنعونَها ويعبدونَها ، وتَحيدُ بهم عن معرفةِ اللهِ وعبادتِه» (١٠/١٠).

وقد أصدرَ اللهُ نهيَهُ بشكلٍ عامٍّ لأنَّ «بَني إسرائيلَ قد كانوا كَلِبُوا على عبادةِ الأوثان. فلو أفصحَ اللهُ لهم بالإذنِ في السجودِ للصُّوَر لتعلّلوا بقولِ اللهِ، وجمَحوا في عبادةِ الأوثان» (١٨/٣). «فلمعرفتِهِ بأنَّ بني إسرائيلَ لا يُطيقونَ أن يُميِّزوا سجدتَهم للصُّوَرِ فيصرفوها في الوجهِ الحَسَنِ عن الوجهِ الضارّ، منعَهم من السجودِ لكلِّ صورةٍ، وأثبتَ في كتبهِ المقدّسةِ هذا السجودَ تغيُّباً، حتى يجيءَ النصارى الذين أُعطوا فهماً ولطافةَ عقلٍ بروحِ القدسِ، فيغوصونَ عليهِ ويعرفونَهُ ويعبدون به» (١٨/٦ - ٧).

«هذا سببُ منعِ اللهِ بني إسرائيلَ من السجودِ للصُّوَرِ كلِّها في ظاهرِ قولِهِ، الذي يسمعُهُ على حَرفِهِ من لا فهمَ لهُ. فعرفَ السِّلّيحيّون ذلك، وأذِنوا في الصُّوَرِ أن تجريَ في كنائسِ النصارى، فتُكرَّمَ ويُسجَدَ لها، معرفةً بأنَّهُ لا يُخافُ على النصارى ما كانَ يُخافُ على بني إسرائيل» (١٨/٩ - ١٠).

«إذن ليسَ للبهائمِ منّا نحنُ النصارى، الذين لا يسجدونَ لِصُوَرِ القدّيسين، أن يتعلّلوا بقولِ اللهِ لبني إسرائيلَ ألاَّ تصنعْ لكَ شِبْهَ كلِّ ما في السماواتِ وفي الأرضِ والأمياه. لا تسجدْ لها ولا تعبدْها. لأنَّ إفسالَهُ السجودَ لهذهِ الأشباهِ في العلانيةِ كإفسالِهِ في العلانيةِ ما حرَّمَ من الحيوان، وزعمِهِ أنَّها نجسةٌ، وأنَّها تُدنِّسُ مَن أكَلَها. وكما بيَّنَ لأهلِ الفهمِ في كتبِهِ أنَّهُ ليس شيءٌ دنسٌ في كلِّ ما خلَقَ، ودلَّهم أنَّهُ إنَّما أوقعَ اسمَ الدَّنسِ على ما قد حرَّمَ لسببٍ ما، لا لأنَّهُ دَنِسٌ، كذلك أوضحَ في كتبِهِ للعقلاءِ أنَّهُ حسَّنَ السجودَ لصورةِ ما يستأهِلُ السجودَ، كما قد حقّقنا، وأعلمَهم أنَّه سمَّجَهُ ونَهى عنهُ لسببٍ ما، لا لأنَّهُ سَمِجٌ» (١٩/١٢ - ١٦).

فَحظْرُ اللهِ لرسمِ الصُّوَرِ وتكريمِها، الذي وردَ في التوراة، لم يكن مطلقاً ولا نِهائيًّا.

* **الصُّوَرُ تُكرَّمُ عن حقٍّ في العهدِ الجديد**

يعتقدُ أبو قُرَّة أنَّ إكرامَ الصُّوَرِ في النصرانيَّةِ يعودُ إلى الرُّسُلِ أنفسِهم. فَهِمَ الرسلُ بإلهامٍ من اللهِ معنى حَظْرِ الصُّوَرِ في العهدِ القديمِ وأسبابَه، فأذِنوا للنصارى بالصُّوَرِ لأنَّهُ لا يُخافُ عليهم ما كانَ يُخافُ على اليهود (١٨/١٠، ١١)، بل هوَ المسيحُ نفسُهُ الذي، كما سمحَ بما حُرِّمَ قديماً من مأكولات، «أذِنَ للسِّلّيحيّينَ في السجودِ للصُّوَرِ، وكشفوا الأمرَ الذي كان مستوراً بالألغازِ عن عوامِّ الأوّلين» (١٨/٣٠).

ولكن كيف نعلمُ أنَّ السجودَ للصُّورِ نشأَ في الكنيسةِ على عهدِ السِّليحيِّين، ونحنُ لا نجدُ كتاباً ينطقُ بهِ؟ (٧/٣).

يُجيبُ أبو قُرَّة على هذا الاعتراض: إنّ كثيراً من عظيمِ ما في أيدينا، إنَّمَا أصبناهُ ووصلَ إلينا توارُثاً من غيرِ أن نجدَ لهُ ثَبتاً في مِصحَفٍ من مصاحفِ العتيقةِ والحديثةِ، التي أسلمَ إلينا التلاميذ (٧/٤). فعدمُ ذكرِها في الكتبِ المقدّسةِ لا يعني أنَّهُ يجبُ إبطالُها، وإلاَّ فقد لَزِمَنَا إبطالُ الكثيرِ مِمّا وردَ للكنيسةِ عن طريقِ التوارث. وما يُثبِتُ أنَّ الصُّوَرَ تعودُ إلى عهدِ الرسل هو تعميمُها في مختلفِ الكنائسِ، وشهادةُ الآباءِ القدّيسين.

«لا شيءَ من تلك الأنواعِ (الواردةِ بالتوارثِ) بأعمَّ في الكنيسةِ من الصُّوَر. فما من بلادٍ لعمري إلاَّ وفي كنائِسها صُوَرُ القدّيسين، وإنْ كانَ عمومُها لا يُحقِّقُ أنَّها جرت من الأَصلِ فأوشَكَ أن يَبْطُلَ وغيرُها مِمّا قد عمَّ عمومَها، ويُزعَمُ أنَّها دخيل. وإن ثَـلَمَتْ هذه الثلمةُ في النصرانيّةِ فقد فَنِيَتْ كلُّها. وحاشى للمسيحِ أن يخذلَها لذلك» (٧/٨ - ١٠).

يشهدُ أبو قُرَّة بأَنَّ إكرامَ الصُّورِ يَعُمُّ سائرَ البلاد. فلو كانَ هذا الأمرُ بدعةً لكانَ المسيحُ خذلَ كنيستَهُ، وهو قد وعدَ بأن يكونَ معَها ويصونَها من الضلالِ. فإذاً لا بدَّ من أنْ يكونَ السماحُ بالصُّورِ يعودُ إلى الرُّسل.

والآباءُ القدّيسونَ، الذين يتمتّعونَ بمكانةٍ عاليةٍ في الكنيسة، يشهدونَ لِصحّةِ إكرامِ الصُّوَر. ولِشهادةِ أوسابيوسَ القيصريِّ طابعٌ خاصٌّ، إذ إنَّهُ يتحدَّثُ عن التمثالِ الذي صنعتَه للمسيحِ في بانياسَ نازفةُ الدمِ التي شُفِيت، وعن الصُّوَرِ التي رُسِمَت للرسلِ أنفسِهم: «والتمثالُ يُشبِهُ مخلِّصَنا في ما يقولون. وقد بقيَ حتّى أيّامِنا، وأبصرناهُ بأعينِنا حيثُ ذهبنا إلى هذه المدينة [14]. وليس عظيماً أنْ

١٤) أوسابيوس القيصريّ (٢٦٥ - ٣٣٩) هو أوّلُ من تحدّثَ عن تمثالِ بانياس. يقولُ في تاريخهِ الكنسيّ (الكتاب ٨، الفصل ١٨) إنَّ نازفةَ الدمِ التي شفاها المخلِّصُ من دائِها وُلِدَت على ما يبدو في بانياس. ويدلُّونَ في المدينة على بيتِها. ولا يزالُ قائماً فيها ما يَشهدُ بشكلٍ رائعٍ لإحسانِ المخلِّص إليها. فإنَّهُ بالقربِ من بابِ بيتِها ينتصبُ فوقَ قاعدةٍ من حجرٍ تمثالُ هذه المرأة، من نحاسٍ، وهي جاثيةٌ تَمدُّ يدَيْها إلى الأمام بهيئةِ الإبتهال، وأمامَها تمثالٌ آخرُ من المعدنِ ذاتِهِ يُمثِّلُ رجلاً يرتدي بحشمةٍ وشاحاً، ويُشيرُ بيدِهِ نحو المرأةِ المبتهلةِ بشكلِ المُستجيب. وعندَ أقدامِهِ على القاعدةِ الحجريّةِ تنمو نبتةٌ غريبةٌ ترتفعُ حتى أهدابِ الرداءِ النحاسيّ، وهي دواءٌ ناجعٌ لكافّةِ الأمراض.

والتمثالُ يُشبِهُ مخلِّصَنا في ما يقولون. وقد بقيَ حتى أيّامِنا، وأبصرناه بأعيننا حيث ذهبنا إلى هذه المدينة

صَنعَ هذا الذين كانوا من الأُممِ وانتفعوا من مخلِّصِنا ، إذ نراهم قد صوَّروا بالألوانِ السِّلْحيِّين مار بولس ومار بطرس ، والمسيحَ نفسَهُ صُوَراً باقيةً هوذا هيَ حتّى اليوم» (٨/٢٥ - ٢٦). فالمسيحُ والرسلُ قد سمحوا إذاً بأن تُرسَمَ صُوَرُهم.

وهناكَ برهانٌ آخرُ على صِحَّةِ رسمِ الصُّوَرِ وإكرامِها ، وهو ما يجري بواسطتِها من مُعجزاتٍ. «فالذينَ لِغلظِ عقولِهم استطالةً يمتنعونَ عنِ السجودِ للصليبِ وتماثيلِ القدّيسين ، فليُخبرونا ما بالُ أصنامِ صُوَرِ القدّيسينَ مراراً كثيرةً ينبعُ منها الميرونُ بقوّةِ اللهِ القادرِ على كلِّ شيءٍ. وكيف عمودُ سوطلّةَ لا نفسَ لها نفذَتْ فيها نشّابةٌ ، فجرى منها دمٌ جرياً عجيباً كمثلِ طبيعةِ الجسَدِ ، وكيف قبورُ وعظامُ وصُوَرُ القدّيسين مراراً كثيرةً تطردُ الشياطين بالصياحِ والولولة» (٨/١٠ - ١٢).

إنَّ النصارى ليسوا بحاجةٍ إلى هذه الأعاجيبِ ليؤمنوا ، وذلك لأنَّهم أُعطُوا البصيرةَ بروحِ القدس ، وأسرارُ الديانةِ المسيحيّةِ خفيّةٌ لا يظهرُ عليها الرعبُ والجلالُ كمقدَّساتِ العهدِ القديم. ومع ذلك فمن أجلِ البرّانيِّين ولِغلظِ سَفَلَةِ النصارى في الدين ربَّما أظهرَ اللهُ جلالَ أسرارِ النصرانية ، «كما قد نسمعُ كلَّ يومٍ من الأحاديثِ التي لا يَشُكُّ العقلُ فيها إذا أحسنَ تدبيرَها ، وكما قالَ مار أثناسيوس فوقَ إنَّهُ أُري في عظامِ القدّيسينَ وصُوَرِهم. وقد رأينا نحنُ بركاً من الميرون الذي ينبعُ من عظامِهم ويشفي الأمراضَ التي تفوقُ الطبَّ الأُنسيّ» (١٦/١١ - ١٣). ويستشهدُ أبو قُرَّة بحادثةِ مار أنطونيوس رُوحَ القُرَشيّ معاصِرِه الذي آمنَ بالنصرانيّةِ من عَجَبٍ رآهُ في صورةٍ للقديسِ

(P. G., t. 20, col. 680) . وقد ترجمَ أبو قُرَّة نصَّ أوسابيوس هذا بشيءٍ من التصرّف في ٨/١٩ - ٢٥.

وهناكَ شهاداتٌ لاحقةٌ تؤيِّدُ قولَ أوسابيوس ، فالمؤرِّخانِ فيلوستورج وسوزومين يرويان أنَّ الامبراطورَ جوليانوس الجاحدَ حطَّمَ المجموعةَ النُّحاسيَّة ، وأنَّ المسيحيِّينَ التقطوا حطامَها وأعادوا تركيبَها في مكانٍ خفيٍّ. ويروي المؤرِّخ والرحّالة يوحنا مالالاس : «لا يزالُ التمثالانِ يُشاهَدانِ في المدينةِ ليسَ حيثُ كانا منتصبَيْن أوّلاً في الساحةِ المركزيّةِ ، ولكن في بيتِ المعبدِ ، المقدّسِ حيثُ نُقِلا. وقد عاينتُهما في المدينة».

إنَّ أوسابيوس ، الذي لا يصدِّقُ كلَّ ما يُقال ، لا يجزمُ بأنَّ التمثالَ يمثِّلُ المسيحَ ونازفةَ الدم. فإذا كان جوليانوسُ الجاحدُ حطَّمَهُ فلأنَّ المسيحيِّين اعتبروه كذلك.

ويرى بعضُ النقّادِ أنَّ التمثالَ من وحيٍ وثنيٍّ ، وهو يمثِّلُ مقاطعةَ اليهوديَّةِ عندَ أقدامِ الامبراطورِ هادريان ، أو إلهَ الطبِّ اسكليبوس وهو يستجيبُ طلبَ ابنتِهِ باندكيرا ، ويُريها النبتةَ التي تشفي جميعَ الأمراض (ر. ايسلر). ويردُ ذكرُ هذا التمثالِ في المجمعِ النيقاوي الثاني (٧٨٧). والجديرُ بالذكر أن بانياس هذه هي بانياسُ الجبلِ في الجولان (وليس بانياس الساحل) ، وهي مدينة قيصريةِ فيلبّس القديمة.

ثاوذورس (١٦/١٥ – ١٦)، وبالصورةِ التي طعنَها اليهودُ في طبريّة، فجرى منها دمٌ وماء. وكانَ هناك أعمى إمتَسحَ من الدمِ والماءِ وأمرَّهما على عينَيْهِ فانفتحا[١٥] (١٦/١٧ – ٢٢). كما يستشهدُ بالمُعجزاتِ التي تجري عند قبرِ النبيِّ أليشع في قرية سلقين (٢١/١٣ – ١٥)، وبقصَّةِ الراهبِ الذي أخذَ الشيطانُ يُعذِّبُهُ لأنَّهُ كانَ يُكرِمُ أيقونةَ العذراء (٨/١٣ – ١٥)، وأخيراً ظهرَ لهُ وقالَ لهُ: إن أردتَ ألاَّ أُقاتِلَكَ فلا تسجدْ لهذهِ الصورة وأنا ابتعدُ عنك. وتلك الصورةُ كانت صورةَ سيِّدتِنا والدةِ الإلٰهِ مرتمريم» (٨/١٣ – ١٥). وهذه القِصَّةُ مأخوذةٌ من كتابِ بستانِ الرهبان، ومعروفةٌ في أوساطِ القُدس[١٦].

إنَّ إكرامَ الصُّوَرِ ليسَ شرعيًّا فحسبُ، بل يَجلِبُ البركةَ والنِّعم. «إعلم أنَّ كرامةَ صورةِ المسيحِ واصلٌ إليه سُرورُها، وهو مكافئٌ لِمَن يسجدُ لها من الخيرِ ما يَعدِلُ ما تصنعُ أنتَ من الشرّ بمن يَبزقُ في وجهِ صورةِ أبيك وأكثر، بقدرِ كرمِهِ الذي لا يُحيطُ به وَهْمٌ» (٢٣/٨ – ٩).

إذاً «طوبى لِمَن صوَّرَ ربَّنا وسجدَ لصورتهِ بالسببِ الذي ذكرنا، وصُوَرِ قدّيسيه، وسجدَ لِصُوَرِهم تكرمةً لهم، ومعرفةً بقصّتِهم، واستعانةً بصلواتِهم، وتحرُّكاً إلى الإقتداءِ بهم. والويلُ لِمن تركَ ذلك» (٢٤/٣٦ – ٣٨).

ثانياً: أصول اللاهوت – الكتاب والتقليد

يَستندُ أبو قُرَّة لِدعمِ شرعيّةِ إكرامِ الصُّوَر، وهو موضوعُ الميمرِ الأساسيُّ، إلى ما يقولُهُ العقلُ بشأنِ العلاقةِ الطبيعيَّةِ القائمةِ بينَ الصورةِ وما تَدُلُّ عليه. إلاَّ أنَّهُ يُركِّزُ بشكلٍ خاصٍّ على ما يقولُهُ الوحيُ بهذا الشأن. والوحيُ، الذي هو كلامُ اللهِ وسُنَّتُهُ، نجدُهُ ليس فقط في الكتابِ المقدّسِ، بل أيضاً في التقليدِ الكنسيّ.

١ – الكتاب المقدس

يبدو أبو قُرَّة متضلِّعاً من الكتابِ المقدَّس. وإنَّ الرجوعَ إلى فهرسِ النصوصِ الكتابيَّةِ الواردةِ في المقال (ص ٢٢٣–٢٢٧) يُظهِرُ كم يُعطي مؤلِّفُنا من الأهمِّيَّةِ لكتابِ اللهِ في دعمِ ما يُريدُ إثباتَهُ.

---

١٥) وردَ ذكرُ هذه الحادثةِ في الجلسةِ الرابعةِ من المجمع النيقاوي الثاني (٧٨٧).

١٦) تردُ هذه القصّةُ في مقالاتِ القدّيس يوحنّا الدمشقيّ الثلاثِ في الدفاعِ عن الأيقونات، وهو يَنسبُ روايتَها إلى القدّيس صفرونيوس بطريركِ القدس (+ ٦٣٨)، بينما هي ليوحنا موسخوس.

ويتوقّفُ أبو قُرّة بالأخصّ عندَ العهدِ القديمِ، الذي يُحرِّمُ في الظاهرِ إكرامَ الصُّورَ، ليُبيِّنَ الموقفَ الحقيقيَّ لكتابِ اللهِ في هذا المَجال.

ويعترفُ أبو قُرّة بقيمةِ العهدِ القديمِ أُسوةً بالجديد. فهو لا يدّعي، مثلَ ابنِ محرومة، أنَّ العهدَ القديمَ منحولٌ أو مُحرَّف[١٧]، بل يُحاولُ تفسيرَهُ بعُمق، «وفهمَهُ على معانٍ حسنة». يقول: فأمّا نحنُ النصارى فإنّا بنعمةِ الروحِ القدسِ نؤمنُ بالعتيقةِ والحديثةِ، ونعلمُ أنَّ مناهجَها ومأخذَهما واحدٌ، ونفهمُ كلَّ شيءٍ فيهما على جهتِه» (٥/٢١).

«وإنَّ النصارى مُصيبونَ حيثُ يَقبلونَ العتيقةَ والحديثةَ، ويفهمونَها على معانٍ حسنة» (٥/٣).

إلاّ أنَّ العهدَ الجديدَ هو الذي يُثبتُ قيمةَ العهدِ القديمِ، ويفسِّرُ غوامضَهُ ويُكمِّلُ نقصَهُ.

١) يقولُ أبو قُرّة: «قد وضعنا... ميامرَ... حقّقنا بها أنَّهُ لا كتابَ يَثْبُتُ من العقلِ الحقَّ بَتَّةً اليومَ إلاّ الإنجيلُ، وكلُّ ما يُحقِّقُهُ الإنجيلُ لِتحقيقِ الإنجيلِ إيّاه» (٥/٦). في نظرِهِ لا يُمكنُ البرهانُ على صحّةِ العهدِ القديمِ بدونِ الرجوعِ إلى الإنجيل. وهذا هو الموقفُ الذي اتّخذَهُ في الميمرِ «في وجودِ الخالقِ والدينِ القويم»: «إنَّهُ من قِبَلِ تثبيتِ العقلِ لم يكن عندَنا موسى مقبولاً أنَّهُ من عندِ اللهِ، ولا ما جاءَ بهِ غيرُهُ، وذلكَ لِمَا أَتوا به من النقصانِ والخلافِ لما علّمتنا طبيعتُنا... فأمّا من وجهٍ آخر، فإنّنا نقبلُ موسى والأنبياءَ وحدَهم أنّهم من اللهِ، وذلكَ أنّنا حيثُ عرفنا أنَّ الإنجيلَ من اللهِ وقبلناهُ وصدّقنا جميعَ ما فيه، أخبرَنا الإنجيلُ أنَّ موسى والأنبياءَ المسمّينَ في العتيقةِ من اللهِ بُعِثُوا، فصدّقناهم وقبلناهم»[١٨].

٢) ويقولُ أيضاً: «إنَّ كتبَ اليهودِ، لولا تزيينُ النصارى إيّاها بلطافةِ عقولِهم الروحانيّة، لكانت ضحكةً لجميعِ الناس» (٥/٢٣). ويستفيضُ في تفصيلِ ما في أسفارِ العهدِ القديمِ من تشبيهٍ وتجسيمٍ، «مِمّا يقشعرُّ العقلُ الجسدانيُّ في سمعِهِ أشدَّ الإقشعرار» (٥/٤ - ١٥). فالعهدُ الجديدُ يُساعدُ على تفسيرِ القديمِ، وفيهِ يتحقّقُ ما في العهدِ القديمِ من رموزٍ غامضة.

٣) إنَّ وحيَ العهدِ القديمِ وتشريعَهُ ناقصانِ، لأنَّ اللهَ راعى ضعفَ فهمِ اليهودِ وغلاظةَ

---

١٧) راجع المطران حبيب باشا، حواشي ابن المحرومة على كتاب تنقيح الأبحاث للملل الثلاث لابن كمّونة، الحاشيتان ١٧ و٢٣.

١٨) ميمر في وجود الخالق والدين القويم ٤/١٥ و ٦، ديك ص ٢٥٥.

قلوبهم، وهم لم يُعطوا الروحَ القدسَ الذي لم يُمنَح للمؤمنين إلاَّ بعدَ تمجيدِ المسيح (١٨/ ١٩ - ٢١).

فاللهُ أخفى سرَّ الثالوثِ عن اليهود، ولم يكشفْ عن ابنهِ وروحِهِ المساويَيْنِ لهُ في الجوهرِ والمستحقَّينِ السجودَ مثله «لكي لا يكونَ ذلك عِلَّةً لهم ليتَّخذوا آلِهَةً مع الله، لِكَلَبِهم على عبادةِ آلهةٍ شتّى والسجودِ لها، ودَفَنَ معرفةَ ذلك في كتبهِ لتَظْهَرَ في زمانِه» (١٨/ ٢٤ - ٢٥).

وقد حدَّدَ وصاياهُ لِبني إسرائيل، «بقدرِ ما كانوا إذ ذاكَ يُطيقون، لا على الحقيقةِ التي هي عليهِ إرادتُه» (١٨/ ٣٦، ١٩/ ٢). ولذا قالَ في حزقيال: «إنّي أعطيتُهم وصايا غيرَ حسنةٍ وحقوقاً لا يَحيَون بها» (١٩/ ٣). فتشريعُ العهدِ القديمِ تشريعٌ تدبيريٌّ مؤقَّتٌ يُراعي كونَ بني إسرائيلَ مثلَ الأطفالِ. وقد بَطَلَ لمَّا بلغَ كمالُ العهدِ الجديد. ومن أبرزِ تشريعاتِ العهدِ القديمِ التي أُبطلت حَظْرُ المأكولاتِ المحرَّمةِ، وحَظْرُ إكرامِ الصُّورِ، والسماحُ بالطلاق.

ويُظهِرُ أبو قُرَّة براعةً كبرى في التفسير، وتعمُّقاً في مغزى الشرعِ وقصدِ المُشرِّعِ، يجعلانِه قريباً جدًّا من عصرِنا. وهو يُعطي ويُقدِّمُ أمثلةً بليغةً تُفهِمُ المعترضين كيفَ أنَّ اللهَ الكاملَ أعطى تشريعاتٍ ناقصةً نُسِخَت في العهدِ الجديد، وما هو المعنى الحقيقيُّ للحَظْرِ القديم:

«صنعَ اللهُ ببني إسرائيلَ كما يصنعُ الوالدُ الحكيمُ بابنٍ يكونُ لهُ صعبٍ جاهل، يَعلمُ منهُ أنَّهُ إنْ تمكَّنَ من سيفٍ ضربَ إخوتَهُ وأهلَ بيتِه. وكانَ الملكُ يُحِبُّ أن يُمكِّنَ ابنَهُ من سيفٍ يقاتِلُ به أعداءَهُ، ولكن يَعلمُ أنَّ السيفَ إنْ وقعَ بيدِه إنَّما يضربُ بهِ أهلَ بيتِهِ. فهو يأمُرُه أن لا يُمسِكَ سيفاً بيدِهِ بتَّةً. كذلكَ اللهُ لِمعرفتِه بأنَّ بني إسرائيلَ لا يُطيقونَ أن يُميِّزوا سجدتَهم لِلصُّوَرِ، فيصرفوها في الوجهِ الضارِّ، منعَهم من السجودِ لكلِّ صورة. وأثبتَ في كتبهِ المقدَّسةِ هذا السجودَ تغيُّباً حتى يجيءَ النصارى الذين أُعطوا فهماً ولطافةَ عقلٍ بروحِ القدسِ، فيغوصونَ عليهِ ويعرفونَهُ ويعبدونَ بهِ» (١٨/ ٤ - ٧).

«وإنَّما يُشبهُ اللهُ فيمَا بينَهُ وبينَ بني إسرائيلَ ملكاً لهُ ابنٌ قد وُلِعَ باللعبِ، لا يقدرُ أن يَكفَّ عنهُ نفسَهُ، لا من أنَّه لا يُطيق، بل من استرخاءِ هواهُ. فهو يلعبُ بالسكاكينِ، وأبوهُ يَخافُ عليهِ أن يُصابَ بسكِّينٍ يوماً فتقتلَهُ. والغلامُ لا يَحتملُ أن يُنهى عن اللعبِ أصلاً. من أجلِ ذلك يقولُ لهُ أبوهُ: يا بُنيَّ لا تلعبْ بالسكِّينِ، ولكن إلعبْ بالكرة، ثم يزيِّن في عينيهِ لعبَ الأكَرَةِ، ويُحبِّبُهُ إليه، ومعلومٌ أنَّ إرادةَ الأبِ بالإبنِ ليست أن يلعبَ بالأكَرَةِ، بل أن يتركَ اللعبَ كلَّه، ويُقبِلَ على الأدبِ والحكمةِ وأُمورِ الرزانةِ والمنفعة. فهذا الأمرُ من الأبِ للإبنِ غيرُ حَسَنٍ في حدِّ الحقيقة، وقد

يجتنبُهُ في زمانِ كمالِ عقلِهِ. فهكذا فعلَ اللهُ ببني إسرائيل» (١٩/٦ - ١٠).

«بنو إسرائيلَ كانوا صبياناً بعدَ طولِ دهرٍ ثوَوا في التعليم. فكيف لا يُصدَّق أنَّ اللهَ إنَّما كلَّمهم كما يُكلِّمُ الصبيانَ الحدثانَ كما دعاهم. وكما أنَّ الأمَّ إذا أرادت أن تفطمَ صبيَّها من لَبَنِها فهي تُسمّي اللبنَ أسماءً سمجةً، لا لإستحقاقِهِ تلكَ الأسماء، ولكن لتُزهِدَ الصبيَّ فيهِ وتصدَّهُ عنه، لأنَّهُ لا يُلائِمُهُ في الحالِ التي هو فيها، كذلك أوقعَ اللهُ أسماءً سمجةً على السجودِ للصُّوَرِ، وعلى ما حرَّمَ من الحيوانِ، لا لأستحقاقِ ذلكَ تلكَ الأسماء. ولكن لأنَّهُ لم يكن يلائِمُ بني إسرائيل في حياتِهم إذ ذاك.

فلما جاء الكمالُ أفصحَ ربُّنا المسيحُ في إنجيلِهِ بخلافِ قولِهِ قديماً في الناموس، وقالَ للعامّة: «ليس ما يَدخلُ الفمَ يُدنِّسُ الإنسان». وأذن للسِّلِيحيِّينَ في السجودِ للصُّوَرِ، وكشفوا الأمرَ الذي كان مستوراً بالألغازِ عن عوامِّ الأوّلين» (١٩/٢٤ - ٣٠).

وفي العهدِ القديمِ نفسهِ خالفَ الأنبياءُ أوامرَ اللهِ، لأنّهم فهموا بُعْدَها النِّسبيَّ، وأنَّها غيرُ ثابتةٍ، ولا تُعبِّرُ عن إرادةِ اللهِ الصحيحة: «إنّ اللهَ وإنْ كانَ قالَ في العلانيةِ لبني إسرائيلَ ألاَّ يصنعوا كلَّ شبَهٍ، فقد أمرَ موسى أن يصنعَ الكروبينَ والحيَّةَ، ودلَّ بذلك **أنَّ ذلك النهي إنَّما كانَ منهُ تدبيراً عن غايةِ إرادتِهِ**» (٢٠/٢ - ٣).

«إنّ اللهَ أمرَ في العلانيةِ أن لا يُسجدَ لغيرِهِ، فسجدَ الأنبياءُ للناسِ من غيرِ أن يأمرَهم اللهُ مواجهةً أن يسجدوا للناس، **لأنّهم فَهِموا معنى قولِه في نهيِهِ**» (٢٠/٥).

«صنعَ داودُ وسليمانُ ما صنعا من (تماثيل) لأنَّهما فهِمَا معنى قولِ اللهِ ألاَّ يُصنعَ شبَهٌ، وعلما أنّه لم يكن منهُ عن غايةِ إرادتِهِ» (٢٠/٨).

أكلَ داودُ خبزَ التقدمةِ الذي لا يَحِلُّ لهُ، وسمحَ المكابيّونَ بالقِتالِ يومَ السبت. «وإنّما أَحَلَّ هؤلاءِ القدّيسونَ الوصيَّةَ في هذا الحينِ وفي حفظِ السبت، معرفةً بأنَّ اللهَ إنَّما كانَ أمرَ بذلك العامَّةَ في العلانيةِ تدبيراً، **لا لأنَّهُ ثابتٌ عندَهُ**» (٢٠/١٣).

ويختمُ أبو قُرَّة بحثَهُ الكتابيّ: «فقد أُوضِحَ لعمري أنَّ القدّيسينَ خالفوا علانيةً أمرَ اللهِ لمعرفتِهم بأسبابِ ما أمرَ بهِ. وقد ثبتَ ما مضى من قولنا في أنَّ السجودَ لِصُوَرِ القدّيسين واجبٌ على كلِّ من لهُ معرفةٌ بكتبِ الله» (٢٠/٣١ - ٣٢).

٢ - التقليدُ الكنسيّ

* الكتابُ المقدّسُ ليس المصدرَ الأوحدَ للوحي

إنَّ عدمَ ورودِ ذكرِ الصُّوَرِ في الكتبِ المقدّسةِ ليس حُجَّةً للقولِ بأنْ لا أصلَ لها في النصرانيَّة: «لعلَّ قائلاً من أولئك يقول: وكيفَ لنا أن نعلمَ أنَّ السجودَ للصُّوَرِ نشأَ في الكنيسةِ على عهدِ السَّليحيِّين، ونحنُ لا نجدُ كتاباً يَنطقُ به؟ فنحنُ نقولُ لهُ: إنَّ كثيراً من عظيمِ ما في أيدينا إنَّمَا أصبناهُ ووصلَ إلينا توارثاً من غيرِ أن نجدَ لهُ ثَبتاً في مِصحفٍ من مصاحفِ العتيقةِ والحديثةِ التي أَسلمَ إلينا التلاميذ. وأوَّلُ ذلكَ الكلامُ الذي نقولُهُ على قربانِنا وبهِ يصيرُ لحمَ المسيحِ ودمَهُ، وقدّاسُ المعموديَّةِ والميرونِ، وتقديسُ الهياكل، والشرطونيَّةُ، وضربُ الناقوسِ، وسجودُ الصليبِ وما شاكلَ ذلك. فمَن لا يقبلُ منا السجودَ لِصُوَرِ القدّيسين حتّى يجدَ لهُ ثَبتاً في مصاحفِ العتيقةِ والحديثةِ المسمّاة، فليُعَطِّلْ ما قد ذكرنا من غيرِ هذا أجمع، ولينظرْ حينئذٍ أيَّ شيءٍ يبقى في يدَيْهِ من النصرانيَّة» (٣/٧ - ٦).

إنَّ التقليدَ الكنسيَّ، أي ما وصلَ إلينا توارثاً من الرسلِ ولم يردْ ذكرُهُ في الكتب، يتَّضحُ لنا عبرَ السُّنَّةِ الكنسيَّةِ أي حياةِ الكنيسةِ في مختلفِ الأصقاع، وعبرَ أقوالِ الآباءِ القدِّيسين.

* السُّنَّة الكنسيّة

إنَّ ما يُجرى عليهِ في الكنيسةِ في مختلفِ الأرجاءِ يعودُ إلى الأصل، ولا يمكنُ أن يكونَ بدعةً دخيلةً، وإلاَّ فقد يكونُ السيّدُ المسيحُ خذلَ كنيستَهُ، إذ سمحَ أنْ تَحيدَ عن الصوابِ بكاملِ مجموعتِها، مع أنَّهُ وعدَها بأن يصونَها من الضلال. وهذا البرهانُ يستعملُهُ أبو قُرَّة لِيُثبتَ أَصالةَ إكرامِ الصُّوَرِ إنطلاقاً من تعميمِها في سائرِ أنحاءِ الكنيسة: «لا شيءَ بأعمَّ في الكنيسةِ من الصُّوَر. فما من بلادٍ لعمري إلاَّ وفي كنائسِها صُوَرُ القِدِّيسين. وإنْ كانَ عمومُها لا يُحقِّقُها أنَّها جرَتْ من الأصلِ فأوشكَ أن يَبْطُلَ وغيرُها مِمَّا قد عمَّ عمومَها، ويزعمُ أنَّهُ دخيل، وإن ثُلِمَتْ هذه الثلمةُ في النصرانيّة، فقد فَنِيَتْ كلُّها. وحاشى للمسيحِ أن يخذلَها لذلك» (٨/٧ - ١٠).

* الآباءُ المعلّمون

إنَّ تعليمَ الآباءِ المعلِّمينَ صدىً للتقليدِ الرسوليّ. «وإنَّ مرتبةَ المعلِّمينَ ثابتةٌ عالياً في الكنيسة، وإنَّهُ لا محالةَ يَلزمُ النصارى أن يُطيعوهم» (١/٨). «ومَنْ مِن النصارى يَرُدُّ شيئاً من تعليمِهم إلاَّ كانَ نفياً

من النصرانيّةِ، مُقصىً عن خيرِ الكنيسة» (٨/٣٤). ويذكرُ أبو قُرَّة من بينِ الآباء: أثناسيوس الاسكندريّ، وغريغوريوس «قوّالَ الإلهيّات»، وأُوسابيوس القيصريّ.

ويُظهرُ أبو قُرَّة بتشبيهٍ بليغٍ العلاقةَ الصحيحةَ القائمةَ بين تعليمِ الآباءِ والكتابِ المقدّس: «إنَّ قولَ السّليحيِّينَ والأنبياءِ إنّما يُشبِهُ القمحَ الذي لا ينتفعُ بهِ الناسُ ما دامَ صحيحاً. ويُشبِهُ المعلِّمونَ رجلاً عمدَ إلى هذا القمحِ، فطحنَهُ وعجنَهُ وخبزَهُ وأبدى قوّتَهُ الخفيّةَ كانت عن مَن كانَ يراهُ صحيحاً مِمَّن لا خبرَ لهُ أنَّهُ حيثُ هيَّأَهُ ينتفِعُ بهِ. من أجلِ ذلك فضَّلَ اللهُ مرتبتَهم وسمّاهم المؤمنونَ آباء» (٨/٣٥ - ٣٧).

ويختمُ أبو قُرَّة برهانَهُ في إكرامِ الأيقوناتِ المستندَ إلى التقليدِ قائلاً: «وكفى من العزاءِ مَن سجدَ من النصارى لهذهِ الصُّوَرِ المقدّسة أنْ يعلمَ أنَّهُ يتبعُ لهؤلاءِ المعلِّمينَ في سجودِهِ لها. وحسبُ هؤلاءِ الغِلاظِ المجتنِبين سجودَها من العارِ مخالفتُهم إيّاهم التي تُحقّقُ عليهم البراءةَ من النصرانيّةِ كلِّها. وكانت لنا هذه بحقٍّ غايةً نَرُدُّ بها النصارى جميعاً إلى السجودِ لهذه الصُّوَر» (٨/٣٨ - ٤٠).

ثالثاً: الإيمانُ المسيحيّ

في سِياقِ دفاعِهِ عن إكرامِ الصُّوَرِ استناداً إلى الكتابِ المقدّسِ والتقليد، يتطرّقُ أبو قُرَّة إلى أمورٍ لاهوتيَّةٍ هامَّةٍ، ويظهرُ فيها شاهداً لإيمانِ الكنيسةِ في عصرِهِ، ولاهوتيًّا دقيقاً ومتزناً.

هناك أوّلاً المسألةُ التي شغلَتْهُ طيلةَ حياتِهِ، والمتّصلةُ بعلاقةِ الإيمانِ بالعقل: إنَّ الديانةَ المسيحيّةَ تَثبُتُ صِحّتُها بالعقلِ وحدَها دونَ سائرِ الأديان. إنّما تبقى حقائقُها أسراراً تفوقُ حكمةَ العالمِ وإدراكَ العقلِ البشريّ. ويتطرّقُ أبو قُرَّة بشكلٍ خاصٍ إلى أهمّ أسرارِ الديانةِ المسيحيّة: كَسِرَّي التثليثِ والتجسّد في حقلِ العقيدة، وسرَّي القربانِ والمعموديّةِ في حقلِ العبادة.

* صِحّةُ الدينِ المسيحيِّ تثبتُ بالعقل

«يحقُّ على كلِّ نصرانيٍّ أن يكونَ في جميعِ ما يدينُ بهِ ثابتاً على بصيرةِ الإيمان» (٦/١). لا يستفيضُ أبو قُرَّة في هذا المقالِ في البرهانِ عن صِحّةِ الدينِ المسيحيِّ. فقد تطرّقَ إلى ذلك في مقالاتٍ سابقةٍ كانت تبحثُ مباشرةً في الموضوع، ويُرجعُ إليها القارئَ: «وقد وضعْنا نحنُ أهلَ الجسارةِ ميامرَ ممّا استفدنا من دقائقِ تعليمِ آبائنا القدّيسين، حقّقنا به أنّهُ لا كتابَ يَثبُتُ من العقلِ الحقِّ بتّةً اليومَ إلاّ الإنجيل، وكلُّ ما يُحقّقُهُ الإنجيلُ لتحقيقِ الإنجيلِ إيّاه» (٦/٥).

لكنّه يذكرُ باقتضابٍ كبرهانٍ على صِحَّةِ الدينِ المسيحيِّ الأعاجيبَ التي قامَ بها الرسلُ باسمِ يسوعَ المسيحِ ، وشهادةَ الأنبياء : «إنَّ النصرانيَّةَ إنَّمَا تحقَّقت عند قابلِيها بالأعاجيبِ التي عملَها التلاميذُ باسمِ يسوعَ المسيح ، وبها قضى لهم العقلُ بالاستقامةِ أنَّهم يستوجبونَ أن يُقبَلَ منهم كلُّ ما علَّموا ، مع شهادةِ الأنبياءِ الذين كتُبُهم بأيدي اليهودِ أعداءِ دعوتِهم على ما كرزوا من أمرِ المسيح» (٦/٢ ، ٣).

يُركِّزُ أبو قُرَّة على مُعجزاتِ الرسلِ دونَ مُعجزاتِ المسيحِ وقيامتِهِ ، لأنَّهُ في آخرِ الأمرِ لا تُعرَفُ تعاليمُ المسيحِ ومعجزاتُه ، إلاَّ من خلالِ شهادةِ الرسلِ. ومعجزاتُ الرسلِ هي التي تدلُّ على صدقِ شهادتِهم بشأنِ المسيح. وقد لاحَظْنا أنَّ أبا قُرَّة يأخذُ هنا الموقفَ نفسَهُ الذي أخذَهُ في مقالِهِ «في وجودِ الخالقِ والدينِ القويم»[19].

إنّ العقلَ إذ يُبرهِنُ صحَّةَ الدينِ المسيحيِّ ، لِكونِ ناشريهِ مستحقِّينَ التصديق ، يَحمِلُنا على قبولِ محتوى الدينِ المسيحيِّ بكاملِ تعليمِهِ ، وإنْ لم يَستوعبِ العقلُ هذه التعاليم ، ويُدركْها بحدِّ ذاتِها. «لازمٌ للخَلقِ القنوعُ بكلِّ ما في الإنجيلِ ، عرفَتْهُ عقولُهم أو لم تعرفْه» (٦/٦). إنَّنا نضطرُّ من قانونِ العقلِ إلى الإقرارِ بكلِّ ما يستشنِعُهُ اليهودُ وغيرُهم من النصرانيّةِ بعماءِ قلوبهم» (٦/٧).

لذا لا يجوزُ قبولُ بعضِ التعاليمِ المسيحيَّةِ ورفضُ بعضِها : «فمن جعلَ يَقبلُ من ذلكَ بعضاً ويَرُدُّ بعضاً ، وكانَ ما قَبِلَ وردَّ واحداً في إنكارِ العقلِ الجسدانيِّ إيّاهُ ، فقد حقَّقَ على نفسِهِ أنَّهُ لا بصيرةَ لهُ بدينِهِ ، وأنَّهُ لا يَدري لأيِّ سببٍ هو مُقيمٌ عليه» (٦/٩).

* **حقائقُ الدينِ المسيحيِّ تفوقُ الإدراكَ ، ولا تُنالُ إلاّ بالروحِ القُدُس :**

«إنَّ النصرانيَّةَ حكمةٌ إلهيَّةٌ يَجهلُها عقولُ حكماءِ العالم ، ولأنَّ أولئك يَظُنُّونَ بجهلِهم أنَّ حكمتَهم هي غايةُ الحِكَم سَمَّوا النصرانيَّةَ حمقاً لمخالفتِها حِكْمتَهم» (٣/١).... «ولا يُنكِرنَّ النصارى تحميقَ أهلِ العالمِ أمانتَهم ، وليَعْلَموا أنَّ أولائكَ بحمقِهم يُحمِّقونَ النَّصرانيَّةَ لأنَّها الحكمةُ الكاملةُ التي قد عجزَتْ عقولُهم عن الإفضاءِ إليها ، لأنَّها لا تُنالُ إلاّ بروحِ القدسِ ، كما قالَ مار بولس : إنَّهُ ليسَ أحدٌ يستطيعُ أن يقولَ إنَّ يسوعَ ربٌّ إلاّ بروحِ القدسِ. وروحُ القدسِ لا يُستَحَقُّ حلولُهُ إلاّ بالخشوعِ وطُرُقِ العَجَبِ الشامل» (٣/٥ — ٦).

---

١٩) ميمر في وجود الخالق والدين القويم، ديك ص ١٥٤، ٢٥٩ — ٢٧٠.

«إنَّ أَسرارَ الديانةِ المسيحيّة إنّما تُقبَلُ بالإيمانِ (عنوان/٣)، وعلى كلِّ مسيحيٍّ لم يبلغْ قامةَ الرجالِ في فهمِ الروحانيّاتِ أن يبنيَ على أساسِ الإيمانِ، ويستسلمَ لكلِّ ما جرى في الكنيسةِ من السّلِيحيّين... بإيمانٍ وبصيرةٍ» (٦/٨).

ففي وجهة نظر أبي قُرَّة لا ينفصلُ الإيمانُ عن البصيرة: «يَحِقُّ على كلِّ نصرانيٍّ أن يكونَ في جميعِ ما يُدينُ بهِ ثابتاً على بصيرةِ الإيمان» (٦/١). وإنَّ بلوغَ المسيحيّينَ وقوّةَ إيمانهم تجعلُهم لا يحتاجونَ إلى الظواهرِ الخارجيّةِ والأعاجيب: «إنَّ الله، لِغلَظِ الأوّلين، إنما كانَ يُحِلُّ أسرارَهُ عندهم بما كانَ يُري أعينَهم من الأعاجيبِ فيها... فأمّا نحنُ النصارى الذين أُعطينا البصيرة بروحِ القدسِ، فليست بنا إلى ذلكَ حاجةٌ» (١٦/١ و٦).

* الأسرارُ المسيحيّة

يتعرّضُ أبو قُرَّة في هذا المقالِ لأهمِّ الأسرارِ المسيحيّة، لا لِيُقرِّبَها إلى العقلِ كما يفعلُ في سائرِ مقالاتِه، بل لِيُظهِرَ سموَّها وصعوبةَ تقبُّلِها. فإنْ كنّا نذعنُ لهذهِ الأسرارِ ولا نرفضُها، رغمَ معارضةِ غيرِ المؤمنينَ لها، فلِمَ نتوقّفُ عندَ اعتراضاتِ غيرِ المؤمنينَ على إكرامِ الصُّوَرِ، وهي أخفُّ بكثيرٍ من معارضتِهم لتلك الأسرار؟

وأوّلُ هذهِ الأسرارِ سرُّ التثليثِ، الذي يبدو جنوناً لِغيرِ المؤمنين. ويُحدِّدُ أبو قُرَّة فحوى هذا السرِّ بتعابيرَ مقتضبةٍ: «إنَّ للهِ ابناً هو عدلُهُ من جوهرِهِ... وهذا الابنُ المولودُ من اللهِ، ليس اللهُ بأقدمَ منهُ... وإنَّ الآبَ والابنَ وروحَ القدسِ، كلُّ واحدٍ منهم إلهٌ كاملٌ، وليسوا ثلاثةَ آلهةٍ بل إلهٌ واحدٌ» (٢/٧ - ٩). «للهِ ابنٌ وروحٌ، كلُّ واحدٍ منهُما إلهٌ تامٌّ مثلَهُ ومن جوهرِه، يستحقّانِ السجودَ مثلَهُ.. للهِ ابنٌ وروحٌ، كلُّ واحدٍ منهُما إلهٌ مثلَ اللهِ ومن جوهرِه» (١٨/٢٣ - ٢٦).

والسرُّ الثاني هو انحطاطُ اللهِ برحمتِهِ لأجلِ خلاصِ الإنسان: «ونخلصُ في عقولِنا للهِ الصفةَ الطاهرة، ونعرفُ انحطاطَهُ برحمتِهِ إلى غيرِ ما يُشاكِلُ تجرُّدَ جوهرِهِ، مِمّا فيه خلاصُنا» (٥/٢٢). وهذا الانحطاطُ قد تحقّقَ في شخصِ الابنِ الأزليِّ الذي حلَّ في بطنِ مريم، وتجسّدَ ووُلِدَ منها (٢/١٠)، وتنقّلَ في مختلفِ مراحلِ الإنسان، وذاقَ الموتَ على الصليب، وكأنَّ اللهَ خذلَهُ» (٢/١٠ - ١١).

ثم يتطرّقُ أبو قُرَّة إلى سرَّي الافخارستيّا والمعموديّة، اللذينِ تفوقُ مفاعيلُهُما إدراكَ غيرِ المؤمنين. ويتبيّنُ لنا إيمانُ أبي قُرَّة بحقيقةِ الإستحالةِ الجوهريّةِ في سرِّ الإفخارستيا، رغمَ بقاءِ ظاهرِ الخبزِ كما

كان. ويعودُ أبو قُـرَّة إلى سِرِّ الافخارستيّا في مواضعَ عِدَّةٍ من مقالِهِ. «وماذا تظنُّ يكونُ قولُهم إذا أبصروا النصارى يُدخِلونَ مذابحَهم خبزاً وشراباً، ويقولونَ عليهِ كلاماً، ثم يتقرّبونه ويقولونَ هذا لحمُ المسيحِ ودمُهُ، وهم يرونَهُ لم يتغيّر، وإنما يخرجُ كما وُضِع. وإذا رأونا نُفرِغُ ماءً في حوضٍ، ونقدِّسُهُ بكلماتٍ، ثم نصبغُ فيهِ إنساناً، فنُطلِعُهُ منهُ ونقولُ إنَّ هذا الإنسانَ كانَ عتيقاً فاسدَ الخلقةِ قبلَ اصطباغِهِ بهذا الماء، وإنَّهُ بعدَ اصطباغِهِ قد صارَ جديداً صحيحَ الخلقةِ وصارَ ابناً لله بعدَ أن كانَ ابنَ لحمٍ» (٢/١٢ - ١٣).

«إنَّ كثيراً من عظيمِ ما في أيدينا أصبناهُ توارُثاً... وأوّلُ ذلك الكلامُ الذي نقولُهُ على قربانِنا، وبهِ يصيرُ لحمَ المسيحِ ودمَهُ وقدّاس المعموديّة والميرون» (٧/٤ - ٥).

«إذ أعطى ربُّنا جسدَه ودمَه تلاميذَهُ في الغُرفةِ بأورشليم، إنَّمَا ناولَهم خبزاً وشراباً وقالَ لهم: هذا لحمي ودمي. فنفذَ عقولَهم اليقينُ بقولِهِ، من غيرِ أن يروا جلالاً ظاهراً على ما ناولَهم. فلم يزلْ ذلك يَجري عندَ النصارى، يتقرَّبونَ هذا القربانَ، موقنينَ أنَّهُ لحمُ المسيحِ ودمُه، من غيرِ أن يَروه بعدَ تقديسِهِ إلاّ كما أدخلوه قبلَ أن يتقدّس. وكذلك سائرُ أسرارِهم» (٧/١٦ - ٩).

إنَّ أبا قُرَّة، الفيلسوفَ الواثقَ بالعقل، مؤمنٌ صادقٌ، وإيمانُهُ إيمانُ الكنيسة. وهو على يقينٍ من أنَّ المسيحَ لا يخذلُ كنيستَهُ، ويحفظُها دوماً في الحقّ (٧/١٠).

ملحق: الشواهد التاريخيّة

علاوةً على القيمةِ اللاهوتيّةِ التي يتحلّى بها المقالُ في إكرامِ الأيقونات، فإنَّهُ يشتملُ على فوائدَ تاريخيَّةٍ طريفة.

فإنَّهُ يُطلِعُنا على ذِهنيّةِ اليهودِ والمُسلمين واعتراضاتِهم، وتأثُّرِ بعضِ المسيحيّينَ بها. كما أنَّهُ يأتي بشواهدَ تتعلَّقُ بالعبادةِ وسِيَرِ القدّيسين، إستقى بعضها من المصادرِ القديمة، وتفرَّدَ ببعضِها الآخر، وكان شاهداً لها، وهو مصدرُنا الأوحدُ لمعرفتِها.

* المعارضةُ لِلصُّوَر

إنّ كثيراً من النصارى أخذوا يتراجعونَ عن إكرامِ صورةِ المسيحِ وصُوَرِ قدّيسيه، «لأنَّهُ لا يزالُ مُخالفو النصرانيّةِ، ولا سيّمَا من يدّعي أنَّ بيدِهِ كتاباً مُنزلاً من الله، يُعَنِّفُونَهم لسجودِهم

لهذهِ الصُّوَر، وينحلُونهم لذلك عبادةَ الأوثان، ومخالفةً لِمَا أمرَ اللّٰهُ بهِ في التوراةِ والأنبياءِ، ويتهزّؤونَ بهم» (١/١، ٣).

إنَّ المخالفينَ يعترضونَ حتّى على رسمِ الصُّوَرِ للأشياءِ الحيَّة، ويدَّعونَ «أنَّ من صوَّرَ تمثالَ شيءٍ حيٍّ كُلِّفَ أن ينفُخَ فيهِ الروحَ يومَ القيامةِ في صُوَرِ تماثيله» (١٠/١٦). وهم يرسمونَ صُوَرَ الأشجارِ مع أنّها هي أيضاً حيَّةٌ (١٠/١٨ — ٢٢).

إنَّ أبا قرّة، من حيث لا يدري شاهد هنا لسنّة الإسلام. فقد ورد في صحيح البخاري: «مَن صوَّرَ صورة فإنَّ اللّٰهَ معذِّبُهُ حتى ينفخَ فيها الروحَ وليس بنافخٍ فيها أبداً»[٢٠] «قال محمّد: مَن صوَّرَ صورة في الدنيا كُلِّف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ»[٢١] وإشارة أبي قرّة ضمناً إلى هذين الحديثين يثبت أن مضمونهما كان معروفاً خمسين سنة على الأقلّ، قبل عهد البخاري (٨١٠ — ٨٧٠).

هناك بعض المستشرقين، مثل الأب لامنس، يرتأون أنّ حظر التصوير لم يكن ثابتاً في فجر الإسلام إذ لم يرد صراحة في القرآن الكريم، وكان التصوير لم يزل شائعاً في عهد الأمويين. ويستند الأب لامنس إلى شهادة أبي قرّة هذه ليقول ان تحريم الصوَر والتماثيل في الإسلام بدأ في الجزء الأخير من القرن الثامن الميلادي، بينما القديس يوحنا الدمشقي الذي يكتب في الربع الثاني من ذلك القرن لا يشير إلى هذا التحريم. إلاّ أنّ سكوت الدمشقي ليس برهاناً على أنّ تحريم الإسلام للصور لم يكن قائماً في عهده. فقد كان يخاطب الأباطرة البيزنطيين، وهم غير معنيين بشؤون الإسلام، بينما يتوجّه أبو قرّة إلى المسيحيين المقيمين في الديار العربية وإلى المسلمين بالذات الذين كانوا يلومون النصارى لرسمهم الصوَر[٢٢].

---

٢٠) صحيح أبي عبدالله البخاري، الجزء الثاني، ص ١٩.

٢١) صحيح أبي عبدالله البخاري، الجزء الرابع، ص ٣٢.

٢٢) إنّ أحمد تيمور باشا في كتابه، التصوير عند العرب، (القاهرة، ١٩٤٢) لا يوافق هو أيضاً الأب لامنس على رأيه. إلاّ أنّه يعزو سكوت يوحنا الدمشقي لجهله أحكام الدين الإسلامي، لا سيّما وأن الأمويين لم يكونوا متمسّكين بالشريعة الإسلامية وكانوا يسمحون بالتصوير. بينما أبو قرّة الذي اتصل ببيئة الفقهاء في العراق وكان يتقن العربية كان أدرى من أستاذه بحكم التصوير عند المسلمين. وقد وقع أحمد تيمور باشا في خطأين تاريخيّين إذ جعل من يوحنا بطريرك دمشق ومكان ترهّبه وترهّب تلميذه أبي قرّة «أحد أديرة دمشق». والمعروف أن الدمشقي ترهّب في دير مار سابا قرب القدس ومات فيه كاهناً بسيطاً، وأبو قرّة عاش فترة في الدير نفسه ثم أصبح أسقفاً على حرّان.

وما يُزعِجُهم أكثرَ هو السجودُ للصُّوَر (١١/٢)، لا سيَّمَا وأنَّ النصارى لا يقتصرونَ على السجودِ قدَّامَ هذه الصُّورِ «حتى يُمَاسُّوها بسجدتِهم» (١١/٢٦). والمُماسَّةُ هي «بوضعِ الجبهة» (١١/٤ و ٥ و٨).

وتساءلتُ هل في مُمَاسَّةِ الجَبهةِ من مغزىً غير السجودِ العاديّ؟ وتبيَّنَ لي ذلكَ عندَ مطالعةِ تفسيرِ الجلالَينِ للآيتينِ اللتينِ وردَ فيهمَا السجودُ للبشرِ في القرآنِ الكريم. فالسجودُ حتى مُمَاسَّةِ الجَبْهة هو أكثرُ من مجرَّدِ الإنحناءِ التكريميِّ، ويأخذُ معنى العبادة. فقد وردَ في سورة البقرة (الآية ٣٤): «وإذ قُلنا للملائكةِ اسجُدوا لآدمَ، فسجدوا إلاَّ إبليس». وجاءَ في التفسير: «سجودَ تحيَّةٍ بالإنحناء»[٢٣].

ونرى من المفيد أن ننقل إلى القرّاء ما جاء في كتاب أحمد تيمور باشا المذكور ص ١٢٦ – ١٢٧.

«وثمَّةَ دليل آخر يسوقه القائلون بإباحة التصوير في فجر الإسلام، ولا سيَّمَا الأب لامنس والاستاذ كريزول. ذلك أنّ يوحنا بطريرك دمشق (كذا) St. Jean Damascène لم يذكر في كتاباته أن المسلمين كانوا من أعداء الصوَر والتماثيل. وقد كان يوحنا هذا من بني سرجون المسيحيين الذين خدموا بني أُميّة في الإدارة الماليّة زهاء نصف قرن. وكان من ندماء يزيد بن معاوية، ولكنه عاش بعده طويلاً واعتزل في أحد الأديرة بدمشق، وعكف على التأليف في محاسن المسيحية ومزاياها على الأديان الأخرى إلى أن مات نحو سنة ٧٥٠ ميلادية. ومما عُرف عن هذا العالِم المسيحي أنه كان من ألدّ أعداء المسيحيين القائلين بتحريم التماثيل والإيقونات. فلو أنه عرف عن المسلمين أنهم من القائلين بهذا التحريم، لما أغفل ذكره فيمَا كتبه عنهم، ولأخذه عليهم فيمَا أخذ. بينما نرى أن أحد تلاميذه في الدير الذي اعتزل فيه بدمشق ذاعت شهرته وأُتيح له بعد وفاة أستاذه بنحو خمسين عاماً أن يذكر عن المسلمين أنهم يحرّمون الصوَر والتماثيل. ذلك هو تيودور أبو قرّة، الذي امتدَّ به العمر حتى عاصر الرشيد والمأمون، والذي كان أوّل من كتب بالعربية من آباء الكنيسة. وكان كذلك من ألدّ أعداء المسيحيين القائلين بتحريم التماثيل والإيقونات. على أنّ أبا قرّة لم يُشر إلى المسلمين صراحة، ولكنه تحدث عن «أولئك الذين يؤكدون أن الذي يصوِّر شيئاً حيًّا يُلزم يوم القيامة أن ينفخ فيه روحاً». ويرى الأب لامنس في كتاب له إلى الأستاذ كريزول أنّ ذِكرَ ألفاظ الحديث النبويّ تثبت أنّ أبا قرّة يشير إلى المسلمين.وأنّ هذا الحديث كان منتشرًا بينهم في عصره ،ممايمكن ان يستنبط منه أن تحريم الصوَر والتماثيل في الإسلام بدأ في الجزء الأخير من القرن الثامن الميلادي.

ولكنّا لا نؤمن بهذا الدليل. وعندنا أنّ يوحنا بطريرك دمشق (كذا) لم يذكر أن الصوَر والتماثيل كانت محرَّمة عند المسلمين لأنه عاش في الشام، وعرف البيئة الأمويّة، وشاهد القصور المزيّنة بالصوَر والتُحف والألطاف عند خلفاء بني أميّة...

أمّا أبو قرّة فقد اتصل ببيئة الفقهاء في العراق وكان يُتقن العربية؛ فلا عجب إذا كان أدرى من أستاذه بحكم التصوير عند المسلمين».

٢٣) تفسير الجلالين، دمشق ١٩٦٠، ص ٨.

وورد في سورة يوسف (الآية ١٠٠) في الحديث عن إخوة يوسف: «وخرّوا له سُجّداً». وجاء في التفسير «سُجّداً: سجودَ انحناءٍ لا وضعُ جبهةٍ، وكان تحيّتهم في ذلك الزمان»[٢٤].

وهاتانِ الآيتانِ يستشهدُ بهما أبو قُرّة ليقولَ إنّهُ يجوزُ السجودُ لغيرِ اللهِ سجودَ الإكرامِ لا العِبادة. وهو يعلّمُنا أنّ المُسلمينَ كانوا «يهزأُونَ بالنصارى حيثُ يرونهم يسجدونَ لأساقفتِهم» (٩/٣٨).

والنصارى يكتفونَ بالانحناءِ أمام رؤسائِهم الدينيِّين. وإذا انحنوا أمامَ الصُّوَرِ حتّى مماسَّتِها بجباهِهم فذلك بمعنى التودّدِ والإكرام، كما يقبّلُ الآباءُ أبناءَهم (٨/٨)، وليس على سبيلِ العِبادة (١١/٢٧).

* صورة الرُّها

وفي سياق دفاعِهِ عن شرعيَّةِ إكرامِ الصُّوَر، يؤكّدُ أبو قُرّة شيوعَ الصُّوَرِ في الكنائسِ في أيّامِه. «إنَّ الصُّوَرَ لها أصلٌ ثابتٌ في النصرانيّةِ لعُمومِها الكنائسَ كلَّها (١/٧)... لا شيءَ بأعمَّ في الكنيسةِ من الصُّوَر. فما من بلادٍ لعمري إلاّ وفي كنائسِها صُوَرُ القدّيسين» (٨/٧).

ويُشيرُ أبو قُرّة بشكلٍ خاصٍّ إلى صورةِ السيّدِ المسيحِ المكرّمةِ في الرُّها: «فأمّا صورةُ المسيحِ إلٰهنا المتجسّدِ من مريمَ العذراء فإنّا إيّاها نذكرُ من بينِ الصُّوَرِ هاهنا، لأنّها تُكرَّمُ بالسجودِ في مدينتِنا الرُّها المباركة، خاصّةً في أوقاتٍ وأعيادٍ وحجوجٍ تكونُ لها» (٢٣/٢) وكانت الصورةُ تُكرَّمُ في كنيسةٍ تُسمّى كنيسةَ صورةِ المسيح (٢٣/٣). كانَ لهذهِ الصورةِ مكانةٌ كُبرى لدى المسيحيّينَ، حتى إنَّ الامبراطورَ البيزنطيَّ رومانوسَ وضعَ بينَ شروطِ الصلحِ معَ العربِ نقلَ أيقونةِ الرُّها إلى القسطنطينيّة. وتمَّ ذلك عام ٩٤٤، وأُقيمَ عيدٌ خاصٌّ لهذا الحدثِ في الكنيسةِ البيزنطيّة يوم ١٦ آب. وكان من المُتعارَفِ عليهِ أنَّ هذه الصورةَ غيرُ مصنوعةٍ بيدٍ، وحِيكَ حولَها العديدُ من القِصص. وأشهرُها ما جاءَ في تعليمِ أدّاي (وهو مؤلَّفٌ سريانيٌّ يعودُ إلى القرنِ الرابع)، وهو يُفيدُ بأنَّ مَلِكَ الرُّها الأبجر، لمّا سمعَ بأخبارِ يسوعَ وبمعارضةِ الفرّيسيّين له، أوفدَ إليهِ المدعوَّ حنّان يستدعيهِ إلى مملكتِهِ. وكان الأبجرُ مريضاً ويأملُ الشفاءَ على يدِ يسوع. وأخبرَ يسوعُ الموفدَ أنّهُ لا يستطيعُ أن يأتيَ شخصيّاً إلى الرُّها، ووعدَ بأن يُرسِلَ إليها أحدَ تلاميذِه. وتوجَّهَ إليها بالفعلِ أدّاي (أو تدّاوس). وتقولُ الروايةُ إنَّ حنّانَ رسمَ حينئذٍ صورةَ يسوعَ، وأخذها معهُ إلى الرُّها. وفي روايةٍ أُخرى (تردُ عند المؤرِّخِ الأرمنيّ موسى خورين) مسحَ يسوعُ وجهَهُ بمنديلٍ، وطبعَ صورتَهُ عليهِ وقدَّمَهُ إلى حنان.

---

٢٤) تفسير الجلالين، دمشق ١٩٦٠، ص ٣٢٤.

إنّ أوسابيوسَ القيصريَّ الذي يروي قصّةَ الوفدِ الذي أرسلَهُ الأبجر[٢٥]، لا يأتي على ذكر الصورة. لا نُناقِشُ الآنَ مدى الصحّةِ التاريخيّةِ لوفدِ الأبجرِ الأوّل، ويرى بعضُهم أنَّ هذه القصّةَ وُضِعَت في فترةِ اعتناقِ الأبجرِ التاسعِ النصرانيّةَ حوالى عام ٢٠٠. أمّا الصورةُ فهي فِعلاً تعودُ إلى زمنِ المسيح، ولكنَّها ليست من رسم يد حنّان، ولا من رسم أيّ يدٍ بشريّة. إنّها صورةُ المسيحِ نفسهِ انطبعت على كَفَنِه. وصورةُ الرُّها التي تُسَمّى أيضاً المنديلَ المقدّس ما هي إلاّ كفنُ المسيحِ الأصيلُ الذي طُبِعت صورةُ المسيحِ عليهِ، والذي وصلَ إلى مدينة توران الإيطاليّةِ، ولا يزالُ يُكرَّمُ فيها. كان الكفنُ مطويّاً في كنيسةِ الرُّها، ولا يظهرُ منهُ إلاَّ صورةُ وجهِ المسيح. وبقيَ عالقاً في ذكرِ المسيحيِّين أنَّ الصورةَ تعودُ إلى المسيح، وإنْ نَسَوا ما هو أصلُها الحقيقيّ، فنسَجوا قصّةَ حنان المصوِّر، وقصّةَ المنديلِ الذي مسحَ بهِ يسوعُ المسيحُ وجهَهُ فانطبعت عليه صورتُه[٢٦].

ويستشهدُ أيضاً أبو قُرَّة، بالاستنادِ إلى أوسابيوسَ القيصريّ، بالتمثالِ الذي أقامتهُ للمسيحِ في مدينةِ بانياسَ نازفةُ الدم، شُكراً لهُ على شفائِها. كما يَروي لنا نقلاً عن بُستان الرهبانِ، قصّةَ الراهبِ الذي ظهرَ لهُ الشيطانُ وطلبَ إليهِ أن يكفَّ عن إكرامِ إيقونةِ العذراء (٨/١٣ – ١٥).

* المُعجزات الجارِيةُ بواسطةِ الصُّوَر – قصّة حنانيا

ويَشهدُ أبو قُرَّة على أنَّ هناكَ مُعجزاتٍ كثيرةً تجري بواسطةِ الصُّوَر، ويركِّزُ على المَيْرونِ الذي ينبعُ من الصُّوَرِ المقدَّسةِ وبقايا القدّيسين، ويَشفي المرضى (٨/١٠ – ١٢، ١٦/١١ – ١٤). ويشهدُ أنَّهُ رأى ذلكَ بعينَيْهِ: «وقد رأينا نحنُ بِركاً من المَيْرونِ الذي ينبعُ من عظامِهم، ويَشفي الأمراضَ التي تفوقُ الطِّبَّ الأُنسيّ» (١٦/ ١٣). ويَروي المُعجزةَ التي حدثَتْ في طبريّةَ، إذ صوَّرَ اليهودُ المسيحَ مصلوباً، وطعنوا صورتَهُ مستهزئينَ، فجرى منها دمٌ وماء، وقد امتسحَ أحدُ الحاضرينَ بالدمِ والماءِ، وأمرَّهُ على عينَيْهِ، وكان أعمى، فانفتحَت عيناهُ. «وهذه القصّةُ مشهورةٌ معروفةٌ في جميعِ كنائسِ النصارى» (١٦/ ١٧ – ٢٢). وقد وردَ ذكرُها في أعمالِ المجمعِ السابع. ويفيدُنا أبو قُرَّة أنَّ الأعمى الذي حصلَ على نعمةِ الإيمانِ والشفاءِ كان يُدعى حنانيا، وأنَّهُ أخذَ ما قدرَ عليهِ من الدمِ والماءِ، ونقلَهُ إلى مواضعَ شتّى. «وهوذا دياراتٌ وهياكلُ في تلك المواضعِ على تلك البَرَكةِ تَظهرُ فيها الأعاجيبُ، كما قد نسمعُ من كثيرٍ من البرّانيّينَ والنصارى. وإنَّ ديراً من هذه الدياراتِ

---

٢٥) أوسابيوس القيصريّ، التاريخ الكنسيّ، الكتاب الأول، الفصل ١٣ .(P.G., t. 20, col. 121)

٢٦) I. an Wilson, *Le suaire de Turin linceul du Christ*, ed. ALBIN MICHEL 1978.

في كورةِ حلب يُسمّى ديرَ حنانيا، على الاسمِ الذي يُسمّى بهِ ذلك اليهوديُّ المؤمنُ الذي نقلَ البَركَة» (١٦/٢١).

إنَّ أبا قُرَّة هو وحدَهُ، على ما أعرفُ، يَذكرُ هذا الديرَ في منطقةِ حلب، ولم يُكتشَفْ بعدُ موقعُهُ بالضبط.

* مقامُ النبيِّ أليشع في سَلْقين

وينفردُ أبو قُرَّة أيضاً بذكرِ مقامِ النبيِّ أليشع في سَلْقين: «والشاهدُ على ذلك أليشعُ النبيّ. إنَّ عظامَهُ أقامَت ميتاً بعدَ موتِهِ، وهي حتّى اليوم بيدِ النصارى، ينبعُ منها ميرونٌ يُنقّي البُرصَ، كما قد رأينا نحنُ بأعيُنِنا. وهذهِ العظامُ القدّيسةُ في قريةٍ يُقالُ لها سَلْقين، من كورةِ أنطاكيةَ، وفي غيرِها» (١٣/٢١ – ١٥). إنَّ بلدةَ سَلْقين بلدةٌ سوريَّةٌ لا تزالُ عامرةً، جنوبي غربي حلب، وغيرُ بعيدةٍ عن أنطاكيةَ. ولكننا ما عثرنا على ذكرٍ لمقامِ النبيِّ أليشعَ فيها إلاَّ في هذا النصِّ من مقالِ أبي قُرَّة. ولا نستغربنَّ إكرامَ عظامِ النبيِّ أليشعَ في سَلْقين، فقد كانَ رأسُ يوحنّا المعمدانِ يُكرَّمُ في مدينةِ حمص، في العصرِ البيزنطيّ. وكان مقامُهُ الأساسيُّ في مدينةِ سَبَسْطية (السامرة القديمة)، المدينةِ نفسِها التي دُفِنَ فيها النبيُّ أليشع.

* إستشهادُ انطونيوس رُوَح

وهناكَ شهادةٌ أُخرى تردُ في المقالِ بخصوصِ شهيدٍ معاصرٍ يُقالُ لهُ مار أنطونيوس. يقولُ أبو قُرَّة: «وقد كانَ في زمانِنا هذا شهيدٌ من البرّانيّين، من أهلِ الشرفِ الأعلى، مستفاضٌ حديثُهُ، ذَكرَنا اللهُ بصلواته، يُقالُ لهُ مار أنطونيوس. وكانَ يُخبرُ لِكُلِّ مَن لَقيَهُ أنَّهُ إنَّما آمنَ بالنصرانيَّةِ من عَجَبٍ رآهُ في صورةٍ كانت لمار ثاوذرُس الشهيد» (١٦/١٥ – ١٦).

إنَّ هذا الشهيدَ ما هو إلاَّ نسيبُ هارونَ الرشيد، مار أنطونيوس رُوَح القُرَشيّ، الذي آمنَ بالمسيحِ على أثرِ مُعجزٍ ظهرَ لهُ في صورةِ القدّيسِ ثاوذورس، واستُشهِدَ في الرَّقَّة، وقد نشرنا سيرتَهُ في مجلّة الموزيون (٢٧). وقد شكَّكَ بعضُهم في الصِّحَّةِ التاريخيَّةِ لهذه السيرة، إلاَّ أنَّ شهادةَ أبي قُرَّة، وهو معاصرٌ للأحداث، تؤكّدُ لنا صِحَّةَ ما جاءَ في السيرة.

(٢٧) I. Dick, *La passion arabe de St Antoine Ruwah, néo-martyr de Damas* (+ 25 Décembre 799), dans *Le Muséon* 74 (1961) p. 109-133.

الخُلاصة

لقد استهدفَ أبو قُرَّة في مقالِهِ أن يُظهِرَ شرعيَّةَ إكرامِ الصُّوَرِ ومغزاهُ الحقيقيّ، وأنْ يُبيِّنَ لِمعارضي هذا الإكرامِ أنَّ اعتراضاتِهم ناجمةٌ عن جهلِهم لحقيقةِ أسرارِ النصرانيّة.

وجاءَ دفاعُهُ محكَماً ومتسلسلاً وشاملاً لجميعِ جوانبِ القضيّة. ولم يترك منفذاً ليهربَ منهُ الأخصامُ، إذ فكَّرَ بكلِّ اعتراضٍ مُمكنٍ وردَّ عليه. وقد أظهرَ سداداً في المنطقِ وبراعةً في استعمالِ التشابيهِ التي تقرّبُ الأمورَ للفهم، ومعرفةً للتقليدِ الكنسيِّ وتعاليمِ الآباء، وتضلُّعاً من الكتابِ المقدّسِ في مختلفِ أسفارِه، وتعمُّقاً في تفسيرِ مغزى التشريعِ الواردِ في العهدِ القديم.

وإنَّ أُسلوبَ أبي قُرَّة ينبضُ بالحيويَّة، فهو حوارٌ متواصلٌ مع الخصمِ، يتصوَّرُ أسئلَتَهُ، فيجيبُ عليها. ثم يطرحُ عليهِ الأسئلة، ويناقشُ الأجوبة التي قد يُدلي بها (راجع على سبيلِ المثال ١١/٢ – ٩). ولا يستعملُ أبو قُرَّة الكلماتِ النابية، فهو يحترمُ خصمَهُ، ويُناقشُ جميعَ آرائِهِ بهدوء، ولم يخرجْ عن طورِهِ إلاَّ مرَّتين، وما عادَ يسعُهُ أن يمتلكَ نفسَه.

فبعدَ أن ناقشَ رأيَ من يقولُ إنَّ السجودَ هو لِمَا تُماسُّهُ الركبتانِ والجبهةُ (وليس لما تُريدُهُ النيّة)، يقول: «وهذا أسمجُ رأيٍ اعتقدَهُ أحدٌ في السجودِ، وأخلقُ بصاحبِهِ أن يكونَ بهيمةً» (١١/٧). وفي نهايةِ براهينِهِ على شرعيّةِ إكرامِ الصُّوَرِ يقولُ: «وكفى بهذا تحقيقاً من العتيقةِ والحديثةِ لِمَا تستحقُّ صُوَرُ القِدّيسين من السجود على وجهِ الكرامة، ومن لا يقنعُ بهِ من النصارى فأحرى بهِ أن يكون يهوديًّا لِغِلَظِ عقلِهِ» (١٦/٢٩).

وفي مقالِهِ هذا لا يلجأُ أبو قُرَّة إلى الفلسفةِ إلاَّ نادراً. فهو يتبعُ خطَّةَ الآباءِ القدّيسين. وهو مدافعٌ عن الإيمانِ وشاهدٌ لهُ أكثرَ مِمَّا هوَ من أصحابِ المنطق. وهو يسيرُ على خُطى يوحنّا الدمشقيّ في مقالاتِهِ الثلاثِ في الدفاعِ عن الصُّوَرِ المقدّسة. وقد اقتبسَ منهُ الكثيرُ إلاَّ أنَّهُ طبعَهُ بطابعِهِ الخاصّ، وزادَ عليهِ، وقرَّبَهُ من المُحاورينَ العربِ الذين يتحدّثُ إليهم، وعرفَ أن يُناقشَ المسيحيّينَ واليهودَ والمُسلمينَ على السواء.

وقد أوضحنا ما يربطُ هذا المقالَ بسائرِ مؤلّفاتِ أبي قُرَّة، فلكاتبنا آراءٌ متماسكَةٌ ونظرةٌ لا يَحيدُ عنها. وبيّنّا ميزاتِ هذا المقالِ الأدبيّةَ وفوائدَه التاريخيّة، وقيمتَهُ اللاّهوتيَّة التي تتخطّى موضوعَ المقالِ الخاصّ.

فالنصُّ الذي نُقدِّمُهُ لِقُرّائِنا هو من خيرةِ ما تركَهُ لنا أسلافُنا العربُ النصارى، ويتبوَّأُ فيه أبو قُرَّة مكانَةَ كبارِ القدّيسينَ اللاهوتيّين.

القسم الثاني

نصّ الميمر
في إكرام الأيقونات»

ب ١٩٨ جـ
س ٣١٥ جـ

بسمِ الآبِ والابنِ وروحِ القُدُسِ ، إلٰهٍ واحدٍ ، قوّتي ومُنيري[١]

آ ١

[العنوان]

١ ميمرٌ[٢] قالَهُ ⌐أنبا ثاوذوروسُ[٣] أُسقفُ حرّانَ المُقدَّسُ ، ⌐وهو أبو قُرّة[٤] ، يُثبتُ فيهِ أنَّ السُّجودَ لِصورةِ المسيحِ إلٰهِنا ، الذي تجَسَّدَ من روحِ القُدُسِ ومن مريمَ العذراءِ[٥] المُطَهَّرةِ ، وصُورِ[٦] قِدِّيسيهِ واجبٌ على كلِّ نصرانيٍّ ،

٢ وأنَّ كُلَّ[٧] من عطَّلَ منَ النَّصارى[٨] السجودَ لهذهِ الصُّوَرِ[٩] إنَّمَا تعطيلُهُ[١٠] جَهْلٌ بِمَا في يدَيْهِ من شرفِ النَّصرانيَّةِ .

---

(١) س : – قوّتي ومنيري

(٢) س : هذا ميمر. وكلمة «ميمر» ، من السريانية ممرو ، تعني مقالاً او عظةً.

(٣) س : تيادروس.
ب : أنباتذروس.

(٤) س : – وهو أبو قرّة.

(٥) ب : العذرى (وهكذا في سائر المقال).

(٦) س : وصوره

(٧) س : – كل

(٨) س : النصارا

(٩) س : الصوره

(١٠) س : يعطله

وأَنَّهُ يلزمُهُ، إنْ وقفَ على ذلكَ، تعطيلُ أكثرِ سرائرِ النَّصرانيَّةِ *، التي ⌐بالإيمانِ المُهذَّبِ[١١] كانَ قبولُ النَّصارى[٨] إيَّاها[١٢] من السَّلِيحيِّينَ المُقَدَّسين[١٣].

س ٣١٥ ظ ٣

(١١) س : بايمان المقرب

(١٢) س : – اياها

(١٣) س : – المقدّسين.

(المقدّمة)

الرأسُ الأوّل

[الإهداءُ]

[والباعثُ على تأليفِ المَقال]

[إبتعادُ الكثيرينَ من المسيحيّينَ عن إكرامِ الصُّوَرِ بسببِ اعتراضاتِ غيرِ المؤمنين].

١ إنَّكَ أخبرتَنا يا أخانا[١] أبا يَنَّه ˹المُقَدَّس، وأنتَ عندَنا بالرُّها[٢]، أنَّ كثيراً من النصارى يَتركونَ السجودَ لِصورةِ المسيحِ إلاهِنا، الذي أمكنَ أن يكونَ لهُ صورةٌ لِتجسُّدِهِ من روحِ القُدُسِ ومن مريمَ العذراءِ برحمتِهِ من أجلِ[٣] خلاصِنا،

٢ وصُوَرِ قِدِّيسيهِ الذين تَصَلَّبُوا[٤] بروحِ القُدُسِ، فَجَرَوا في

---

(١) ب : يا خونا. آ: يا خانا

(٢) ب وآ : – المقدس، وانت عندنا بالرها.

(٣) ب : منجل. س: في شأن

(٤) س : نطقوا

ميدانِهِ وشاركوهُ[٥] في أوجاعِهِ، وتزيَّنوا صبراً بحِليَةِ[٦] صليبِهِ، وصاروا أَئِمَّةً كِراماً للمؤمنينَ، ذِكرُهم يُهيِّجُهم إلى الإقتداءِ بهم، * والفوزِ بمثلِ إكليلِهم.

ب ١٩٨ ظ

٣ ذلك لأنَّهُ لا يزالُ[٧] مُخالِفو[٨] النَّصرانيَّةِ، ولا سيّما مَن يدَّعي أنَّ بيدِهِ كتاباً مُنزَلاً منَ اللهِ، يُعنِّفونَهم لِسُجودِهم لهذهِ الصُّوَرِ[٩]، ويَنحلونَهم[١٠] لذلكَ عبادةَ الأوثانِ، ومخالفةً لِمَا أمرَ اللهُ بهِ في التوراةِ والأنبياءِ، ويتهزَّأُونَ[١١] بهم.

[الأنبا يـنَّه يَطلبُ من أبي قُرَّة وضعَ ميمرٍ للردِّ عليهم]

آ ٢

٤ وسألتَ أن نضعَ في هذا ميمراً نردُّ بهِ العارَ * على[١٢] من يُعيِّرُنا بما لا عارَ فيهِ،

٥ وَنرُدُّ قلوبَ المذعورينَ[١٣] عن السجودِ لهذهِ الصُّوَرِ المقدَّسةِ إلى تقريبِ السُّجودِ لها *، على الجهةِ المستقيمةِ التي أسَّسَها واستحسَنَها[١٤] آباؤُنا المُباركون[١٥]،

س ٣١٦ جـ

---

(٥) س وب : واشركوه
ليس هذا على ما يبدو خطأ النسّاخ بل استعمال خاص لأبي قرّة ويرد أيضاً اشرك بمعنى شارك في ١٨/١٦ و١٤/٢٤ و١٦
(٦) س : بجيلة
(٧) ب : يزل
(٨) س وب : مخالفي
(٩) س : الصورة
(١٠) س : ونحلوا ينحلوانهم
(١١) س وآ : ويتهزون، ب : ويتهزوا
(١٢) س : عن
(١٣) س : + منا
(١٤) ب وآ : أسّسوها واستحسنوها.
(١٥) س وب : المباركين

٦ بروحِ القُدسِ الذي علَّمهم الحِكمةَ السماويَّةَ المُحتجِبةَ بالظُّلمةِ الكثيفةِ دونَ عُقولِ حكماءِ العالمِ الذين أفضلُ حكمتِهم حمَقٌ صرفٌ عندَ أدنى [١٦] تلك وأوضَعِها.

[إستجابةُ أبي قُرَّة معتمِداً على صلواتِه]

٧ فحمدتُ عنايتَكَ، ورأيتُ [١٧] إجابتَكَ، لا ثِقةً بنفسي أنّي أُقيمُ أدنى [١٨] غرضٍ لأحدٍ من النَّصارى [١٩] في دينِهِ، أو أَزبُرُ [٢٠] عنهم أذى [٢١] من حرَّكَ الشيطانُ لسانَهُ لتشكيكِهم، منَ البرّانيّينَ، أهلِ الخِسارةِ والضَّلالةِ والفَظاظَة.

ب ١٩٩ جـ ٨ ولكنْ ثقةً بصلواتِكَ الغيرِ مرذولةٍ، لا شكَّ، من المسيحِ *، لا [٢٢] شيءَ إلاَّ لِكَلَفِكَ [٢٣] بكنيستِهِ المفكوكةِ منهُ بسفكِ دمِهِ، وتنبيهِك إيّانا من نومِ غفلتِنا بألاَّ نُبطِلَ [٢٤] بضاعتَهُ فنستوجبَ سَخْطَتَهُ.

٩ بل يَسطَعُ لي منهُ ضَوْؤُه المخزونُ لَمَعُهُ، يَنفي عنّي [٢٥] الظلمةَ المتجلِّلةَ من خَطيئتي.

---

(١٦) س وب : ادنا
(١٧) س : وأريت
(١٨) س : اودا. ب : ادنا
(١٩) س : النصارا
(٢٠) س : ازبير
(٢١) س : أذا
(٢٢) س وب وآ : لولا.
(٢٣) س : كلفتك.
(٢٤) ب وآ : الا تبطل

(٢٥) س : فتستوجب صوطته، بل يصدع لي منه ضوءه المخزون لمعه ينفي عني. ب وآ: فتستوجب لمة تنفي عنك – ان النصّ هنا مضطرب وقد افسده النساخ ولا نجد له معنى واضحاً.

(الجزءُ الأول)

[ردٌّ مبدأي : لا مجالَ للتوقُّفِ عندَ اعتراضاتِ غيرِ المسيحيّين]

[١ – النَصرانيَّةُ تفوقُ إدراكَ غيرِ المؤمنين]

الرأسُ الثّاني

[لو اعتبرنا اعتراضاتِ غيرِ المسيحِّيينَ لوجبَ رفضُ أعظمِ أسرارِ النصرانيّة]

[لِمَ نقبلُ أسرارَ النصرانيّةِ الكبرى التي يرفضُها غيرُ المسيحيّين، ونتأثَّرُ لاعتراضِهم على إكرامِ الصُّوَر؟]

١ ⌐إنَّهُ كانَ ينبغي [١] لِمَن امتنعَ منَ السجودِ لِلصُّوَرِ لِقُبحِهِ عندَ البرّانيّين أن يرفضَ وغيرَ ذلكَ من أسرارِ النصرانيّةِ لِسماجتِه عندَ أولائك [٢] *.

س ٣١٦ ظ

٢ وأنا أبدأُ قبلَ كُلٍّ بالتعجُّبِ من هؤلاءِ [٣] النصارى، الذين

---

(١) آ : انه ان كان كذلك ينبغي
ب : إنه كان ينبغي

(٢) ب : اوليك

(٣) ب : هاولى. س : هولاى

نفذَ (٤) في قلوبِهم هزْءُ الغُرَباءِ ، فصدَّهم (٥) عن إكرامِ هذه الصُّوَرِ والسجودِ لها ،

٣ كيفَ لم يجعلوا لِغيرِ هذا الجزءِ من كمالِ النصرانيّةِ أُسوةً به ، لإفسالِ أولائك (٦) إيّاهُ .

٤ وأقاموا مغتبطينَ بهذا ، وإنْ أَفرطَ أولائِك في استقباحِهِ ، إغتباطَهم (٧) بغيرِهِ مِمَّا يَستَسْمِجُهُ (٨) أولائك ، ليسَ بدونِ استسماجِهم (٩) هذا .

٥ وكفى (١٠) دلالةً على خطإِ هؤلاءِ النصارى واستحكام العماءِ على عقولِهم (١١) أَنَّهم ليسوا (١٢) بِعُدُلٍ ، حيثُ لم (١٣) يُنزِلوا الأُمورَ المستويةَ بالسواءِ عند أنفسِهم .

٦ وما لي أقولُ مستويةً؟ لا بل غيرُ هذا من النصرانيّةِ عندَ مخالِفيها (١٤) أشنعُ من هذا كثيراً * .

[أسرارُ التثليثِ والتجسُّدِ والفِداءِ هذيانٌ في أعينِ البرّانيّين]

٧ فمَنْ من أولائِك (١٥) يَسمعُ النصارى (١٦) يَقولونَ * إنَّ لله ابناً — ب ١٩٩ ظ / آ ٣

(٤) آ : يقر (ويعترف آ في الحاشية ان قراءته مشكوكٌ فيها : (lectio dubia
س : نفذَ
(٥) ب : فيصدّهم
(٦) س : هوليك
(٧) آ : اغتباطاً
(٨) ب وس : يستسمجونه
(٩) آ : استماجهم
(١٠) س : وكفا
(١١) س : عقولكم
(١٢) س وب : ليس
(١٣) س : — لم
(١٤) س : مخالفتها
(١٥) س وب : اوليك
(١٦) س : النصارا

هو عدلُهُ من جوهرِهِ إلاَّ قالَ إنَّ هؤلاءِ (١٧) مَجانين.

٨ وإذا (١٨) سمعَهم يقولونَ إنَّ هذا الابنَ المولودَ من اللهِ، ليسَ اللهُ بأَقدمَ منهُ، أَليسَ يَظُنُّهم (١٩) أشدَّ الناسِ مكابرةً؟

س ٣١٧ جـ ٩ وقولُهم إنَّ الآبَ والابنَ وروحَ * القُدسِ، كلُّ واحدٍ منهم إلٰهٌ كاملٌ، وليسوا ثلاثةَ آلِهةٍ، بل هم إلٰهٌ واحدٌ، أليسَ هذا موقِعُه عندَ أولئِكَ (١٥) موقِعُ جُنونٍ؟

١٠ وإذا ذكرَ النصارى حُلولَ هذا الابنِ الأزليِّ في بطنِ مريمَ في آخرِ الأيَّامِ، وتجسُّدَهُ ومولدَهُ (٢٠) منها، ثُمَّ ساقوا القولَ في مناقِلِهِ (٢١) مِن (٢٢) رضوعِهِ وهربِهِ من هيرودسَ (٢٣) إلى مصرَ وخضوعِهِ (٢٤) لأبيهِ وصومِهِ وصلاتِهِ،

١١ وطلبتِهِ إلى أبيهِ أن يُجيزَ عنهُ كأسَ الموتِ، وأَخْذِ اليهودِ إيَّاهُ، وما تناوَلُوهُ بهِ، وصلبِهِم إيّاهُ، وقولِهِ وهوَ على الصليبِ (٢٥): إلٰهي إلٰهي (٢٦) لِمَ خذلتَني؟ أليس يَرى (٢٧) البرَّانيّونَ (٢٨) أنَّهم يَهْذُون وأنَّ هَذَيانَ النومِ أقربُ إلى السَّدادِ من كلامِهِم؟

---

(١٧) س : هاولى
(١٨) س : او اذا
(١٩) س : يظنّوا انهم
(٢٠) ب : وولوده
(٢١) آ : مناقلة
(٢٢) آ : في
(٢٣) آ : هـــرذس.
س : هرودس.
ب : هروذس
(٢٤) س : وخوضعه
(٢٥) س : على الخشبة
(٢٦) ب : الاهي الاهي
(٢٧) س وب : يرا
(٢٨) ب : البرانيين

[مفاعيلُ سِرَّي الإفخارستيّا والمعموديّةِ تفوقُ إدراكَ غيرِ المؤمنين]

ب ٢٠٠ جـ **١٢** وماذا ⌐تظنُّ يكونُ قولُهم (٢٩) إذا أَبْصَرُوا * النَّصارى يُدخِلُونَ مذابِحَهم خبزاً وشراباً، ويقولونَ عليه كلاماً، ثم يتقرَّبونَهُ (٣٠) ويقولون: هذا لحمُ (٣١) المسيحِ ودمُهُ، ⌐وهم يرونه (٣٢) لم يتغيَّرْ، وإنَّما يخرجُ كما وُضِع (٣٣)؟

س ٣١٧ ظ **١٣** وإذا رأونا نُفرِغُ ماءً في حوضٍ (٣٤)، ونقدِّسُهُ بكلماتٍ، ثمَّ * نصبُغُ فيه إنساناً، فنُطلِعُهُ منهُ ونقول: إنَّ هذا الإنسانَ كان عتيقاً فاسدَ الخلقةِ قبلَ اصطباغِهِ بهذا الماءِ، ⌐وإنَّهُ بعدَ اصطباغِهِ (٣٥) قد صارَ جديداً صحيحَ الخلقةِ، وصارَ ⌐أبناً لله (٣٦) بعدَ أن كانَ ابنَ (٣٧) لحمٍ.

١٤ وأشباهُ ذلك مِمَّا يُنَفِّرُهم من النصرانيَّةِ ويُبعِدُهم عنها أشدَّ بُعدٍ.

[مبادئُ النصرانيّةِ حمقٌ في أعيُنِ غيرِ المؤمنين]

١٥ وقد كانَ ينبغي لِمَن ⌐يُنكِرُ عقلُهُ (٣٨) جنونَ (٣٩) كلامِ أولائك (١٥) من النصارى، والسجودَ (٤٠) لهذهِ الصُّوَرِ المقدَّسةِ، أن يَزهدَ لعيبِهم وفي غيرِ هذا من النصرانيّةِ مِمّا ذكرنا كما قُلنا.

---

(٢٩) س : نظن قولهم يكون
(٣٠) ب وآ : يتقرّبون
(٣١) س : لخم
(٣٢) ب وآ : ويرونه
(٣٣) ب وآ : دخل
(٣٤) س : خوض

(٣٥) ب وآ : — انه بعد اصطباغه
(٣٦) س : ابن الله
(٣٧) س وب : بن
(٣٨) ب وآ : يكره
(٣٩) س : جبون
(٤٠) س : السجود

١٦ ولكن[٤١] ليس باطلاً ⌐ قالَ مار[٤٢] بولسُ : إنَّ كلمةَ الصليبِ للهَلْكى[٤٣] حمقٌ[٤٣مكرر]. وكيفَ لا تكونُ[٤٤] عندَهم حَمَقاً وقد[٤٥] خالفَت ما هو مستقيمٌ عندَ عقولِ جاهلِهم وحكيمِهم[٤٦] ؟

١٧ فمن أجلِ[٤٧] هذا صرخَ[٤٨] مار[٤٩] بولسُ وقالَ : أينَ الحكيمُ وأينَ الفقيهُ ، وأينَ * مدارسُ العالمِ؟ أليسَ قد حَمَّقَ اللهُ حكمةَ العالمِ *⌐؟ فلأَنَّ العالمَ[٥٠] بحكمةِ اللهِ لم[٥١] يعرفِ اللهَ بالحِكمة ، أحبَّ[٥٢] اللهُ ، بحَمَقِ الدعوة ، أن يُحيي الذين يؤمنون[٥٣] .

آ ٤ ،ب ٢٠٠ ظ

---

(٤١) س : ولا كن
(٤٢) آ : ما قال ماري.
ب : قال ماري
(٤٣) س وب : للهلكا
(٤٣) «مكرّر» ١ كورنتس ١/٨
(٤٤) س وب : يكون
(٤٥) س : وهي قد
(٤٦) س : وخليمهم
(٤٧) س : منجل.
ب : فنجل.
آ : فنجل
(٤٨) آ : صرح
(٤٩) ب وآ : ماري
(٥٠) س : — فلأن العالم.
ب : فالان العالم
(٥١) س وب : — لم
(٥٢) س : خب.
(٥٣) ١ كورنتس ١/٢١

الرأسُ الثّالث

[للنصرانيّةِ حكمةٌ تفوقُ حكمةَ العالم]

[النصرانيَّةُ حكمةٌ فائقة تبدو حمقاً لِمن لا يُدرِكُها، وحكمةُ العالمِ حمقٌ إزاءها]

س ٣١٨ جـ **١** إنّ النصرانيةَ حِكمةٌ إلٰهيّةٌ[١] * يجهلُها عقولُ حكماءِ العالم. ولأنَّ أولائكَ يَظُنُّونَ، بجهلِهم، أنَّ حكمتَهم هي غايةُ الحِكَم، سمَّوا النصرانيَّةَ حَمَقاً لمخالفتِها حِكمتَهم.

٢ ألا ترى أنَّهُ يُسمّي دعوةَ النصرانيّةِ حَمَقاً[٢]؟ وإنّما سمّاها كذلك لا لأنَّها كذلك، ولكنَّ[٣] حكمةَ العالمِ سمَّتْها هكذا.

٣ وحكمةُ العالمِ لم تُسَمِّ[٤] هذه الدعوةَ حَمَقاً حتى حمَّقَها اللهُ، وإنَّما تحميقُ اللهِ إيَّاها لأنَّها[٥] قد كانت فاقت، وبرزَ فضلُ عقولِ أهلِها على عقولِ جميعِ الناسِ، وأقرّتِ العامَّةُ لهم باسمِ الحكمة. فلما أظهرَ اللهُ دعوةَ النصرانيّةِ، وهيَ مخالِفةٌ لحكمتِهم التي كانوا يرونَ أنَّهُ لا حكمةَ وراءَها، إستحقَّ

---

(١) ب وآ : الاهية

(٢) س : – لمخالفتها حكمتهم، الا ترى أنه يسمي دعوة النصرانية حمقا.

(٣) س : ولاكن لأن

(٤) ب وس : تسمي

(٥) س : هو أنها

عندَهم أن تُسمّى (٦) حَمقاً، لأَنَّ كلَّ ما خالَفَ الحِكمةَ هو حَمَقٌ.

٤ فأمّا بالحقيقةِ فإنَّ دعوةَ النصرانيّةِ هي الحكمةُ (٧) الحقُّ التي (٨) حكمةُ العالمِ حَمَقٌ صرفٌ (٩) إذا قِيْسَتْ إليها، كما قالَ ⌐مار بولس (١٠) : «إنَّنا نَنطِقُ بالحكمةِ في أهلِ الكمالِ، لا كحكمةِ (١١) هذا * العالمِ. بل نتكلَّمُ بحكمةِ اللهِ في السرِّ (١٢) ». وقالَ: «إنَّ حكمةَ العالمِ هي حَمَقٌ عندَ الله» (١٣).

ب ٢٠١ ج

س ٣١٨ ظ

٥ فإنْ كانَ كذلك، فلا يُنكِرَنَّ النصارى * تحميقَ أهلِ العالمِ أمانتَهم، وليعلموا أنَّ أولائكَ بحَمَقِهم يُحَمِّقون النصرانيّةَ، لأَنَّها الحكمةُ الكاملةُ، التي قد حُجِزَت عقولُهم عن الإفضاءِ إليها.

[حكمةُ النصرانيّةِ لا يُدرِكُها إلاّ مَن نالَ الروحَ القدس]

٦ لأَنَّها لا تُنالُ إلاّ بروحِ القُدُس، كما قالَ مار (١٤) بولس: «إنَّهُ ليسَ أحدٌ يستطيعُ أن يقولَ إنَّ يسوعَ ربٌّ إلاّ بروحِ القُدُسِ» (١٥) .⌐وروحُ القُدُسِ (١٦) لا يُستَحَقُّ حلولُهُ إلاّ بالخُشوعِ وطَرْفِ العَجَبِ الشامل.

---

(٦) س وب : تسما
(٧) ب وآ : حكة
(٨) س : الذي
(٩) ب وآ : – صرف
(١٠) ب : ماري فولس،
آ : ماري بولس
(١١) س : حكمة
(١٢) ١ كورنثس ٢/٦ – ٧
(١٣) ١ كورنثس ٣/١٩
(١٤) ب وآ : ماري
(١٥) ١ كورنثس ١٢/٣
(١٦) س : – روح القدس

٧ لا محالةَ كلُّ مَن كانَ حاذِقاً بحكمةِ العالمِ يرى[١٧] أنَّهُ لا حكمةَ فوقَها، كما قالَ مار[١٤] يعقوبُ السليح: «ألا مَن كانَ فيكم * حكيماً عالماً، فليُظهِرْ[١٨] فضلَهُ من التقلُّبِ الحسَنِ بخشوعِ الحِكمة. فأمّا إنْ كانَ في قلوبِهم حسدٌ وملاطةٌ مُرَّةٌ فلا تَفْخَرُوا[١٩] على الحقّ، فإنَّ هذه الحكمةَ ليست من فوقُ نازلةً، بل هي أرضيَّةٌ، نفسانيَّةٌ، شيطانيَّةٌ»[٢٠].

آ ٥

٨ ألا ترى[٢١] أنَّ الحكمةَ الأرضيَّةَ نفسانيَّةٌ، والنفسانيَّ لا يفهمُ الروحانيّاتِ، بل الروحانيّاتُ عندهُ حمَقٌ، كما قالَ مار[١٤] بولس:

٩ «إنَّا نحنُ ليسَ روحَ العالمِ أخذْنا، بل الروحَ التي * هي من اللهِ، لنعرفَ[٢٢] نِعَمَ اللهِ علينا، التي ننطقُ بها، لا بتعليمِ كلامِ الحكمةِ الإنسانيّةِ *، ولكن بتعليمِ روحِ القدسِ نَقيسُ الروحانيّات. فأمّا الإنسانُ النفسانيُّ فليسَ قابلاً لتعليمِ روحِ اللهِ، لأنَّهُ حمَقٌ عندهُ[٢٣].»

ب ٢٠١ ظ

س٣١٩ جـ

(١٧) س : يرا
(١٨) س : فليبدِ
(١٩) س : يفخروا
(٢٠) يعقوب ١٣/٣ – ١٥

(٢١) س : ترا
(٢٢) ب : لتُعرف
(٢٣) ١ كورنتس٢ ١٢/٢ – ١٤

[الخاتمة : لا عجبَ أن يُحمِّقَ البرّانيّونَ أسرارَ النصرانيّةِ ، وعلى النصارى أن لا يتأثَّروا بهمزِ أولئك فيمتنِعوا عن إكرامِ الصُّوَر]

١٠ إذن لا يُنكِرنَّ النصارى(٢٤) تحميقَ البرّانيّينَ أسرارَ النصرانيّةِ الروحانيّة ، لأنَّ أحذقَ أولئك(٢٥) بحكمتِهم إنَّمَا هو نفسانيٌّ ، شيطانيٌّ ، أحمقُ .

١١ وليسَ ينبغي للنصارى في شأنِ همزِ مَن كانَ كذلك ، أن تَنْبُوَ(٢٦) أنفسُهم عن السجودِ لِصورةِ المسيحِ إلهِنا المتجسِّدِ ، وصُوَرِ قدّيسيهِ التي أُسِّسَتْ وجرَتْ في الكنيسةِ بروحِ القُدُسِ ، كما سنُبيِّنُ إن شاءَ الله .

---

(٢٤) س : النصارا
(٢٥) ب وس : اوليك
(٢٦) ب وس : تنبوا

[٢ – سائرُ الدياناتِ لا تخلو أيضاً من أسرارٍ وغرائب]

الرأسُ الرّابع

[لماذا يرفضُ اليهودُ الأسرارَ المسيحيَّةَ وغوامضَها ، وهم يقبلونَ ما يُشابهُها في العهدِ القديم]

[لِمَ ينكرُ اليهودُ الأسرارَ النصرانيَّةَ لمناقضتِها العقولَ الجسدانيّة ، وهم يقبلونَ في كتبِهم ما يبدو أبعدَ منها عن العقل]

١ نعجبُ من البرّانيّينَ ˹الذين يؤمنونَ˺[١] بكتُبِ العتيقةِ ، حيثُ يُعيِّبونَ أسرارَ النصارى لإنكارِ العُقولِ الجسدانيّةِ إيّاها ، وأكثرُ ما في كُتُبِهم يُنكِرُهُ العقلُ الجسدانيُّ إنكارَهُ تلك ، ولا يَشُكُّونَ فيها .

٢ ولكنَّ[٢] العجبَ من هؤلاءِ[٣] البرّانيّينَ المؤمنينَ ببعضِ الكتبِ المُنزلةِ من اللهِ ، أنَّ في كتبِهم شكيلاً لِمَا ذكرنا من أُمورِ النصرانيّة ، مِمَّا تُحَمِّقُهُ * حكماءُ العالمِ الذين لا تُذَلُّ عقولُهم * للإيمانِ بتّةً ، أكثرَ من تحميقِهم إيّاهم ما

ب ٢٠٢ جـ
س ٣١٩ ظ

(١) س : المؤمنين
(٢) س : ولاكن
(٣) س و ب : هاولى

يستشنعونَهُ من النصرانيّة، وقد قَنَعَتْ عقولُهم بهِ، مع إنكارِهم مثلَهُ في النصرانيّة.

[أمثلةٌ عن الأسرارِ والمُعجزاتِ في العهدِ القديم]

٣ فمَنْ مِمَّن [٤] يزهو عقلُه عن الإيمان لا يضحكُ، إذا سمعَ أنَّ اللهَ خلقَ الأشياءَ من * لاشيء، وأَنَّهُ إذا أرادَ أن يصنعَ شيئاً، إنَّمَا يقولُ له: كُنْ [٥]، فيكون [٥ مكرّر].

آ ٦

٤ ومَنْ مِن أولائك [٦] لا يتهزَّأُ إذا سمعَ أنّ حواءَ خرجَتْ من ضلعِ [٧] آدم [٧ مكرّر].

٥ وكيفَ يَنْزِلُ عندَ عقولِهم قولُ الكتاب [٨]: إنَّ الحيَّةَ تكلَّمت [٨ مكرّر]، وتكلَّمت حمارةُ بلعام [٩]، وتحوَّلت [١٠] امرأةُ لوطٍ عمودَ مِلح [١٠ مكرّر]، وتحوّلت [١٠] عصا موسى ثُعباناً [١٠ ٣]،

---

(٤) ب : فمن، آ: فن الذي

(٥) ب : كون.

(٥ مكرّر) تكوين ٣/١

(٦) س وب : اوليك

(٧) س : طلع.

(٧ مكرّر) تكوين ٢/٢١–٢٢

(٨) س : الكتات.

(٨ مكرّر) تكوين ١/٣

(٩) س : وأتان بلعام تكلمت. عدد ٢٨/٢٢

(١٠) س : وتحويل.

(١٠ مكرّر) تكوين ٢٦/١٩.

(١٠ ٣) خروج ١٥/٤

٦ وأنَّ سارةَ ولدَت، وهي عاقرٌ بعدَ ما هَرِمَت، من رجلٍ قد عدا وقتَ الإحبال[١١].

٧ وانفراجُ البحرِ بعصا موسى[٢١١]، وتفجّر الأنهارِ من الحجر[٣١١]، وعلّيقةٌ ⌐ تشتعلُ بالنار، اللهُ فيها[١٢] وليسَ[١٣] تحترق[٢١٣].

٨ ورجالٌ طُرِحوا في أتُّون[١٤] النارِ فلم يحترقوا[٢١٤]، وكينونةُ يونسَ في بطنِ الحُوتِ ثلثةَ أيّامٍ وثلثةَ ليالٍ[١٥]، ولفظُ الحوتِ إيّاهُ بعدَ ذلك ⌐ حيًّا سليماً[١٦].

س ٣٢٠ جـ ٩ وتساقُطُ بَرَصِ[١٧] نعمانَ[١٨] السريانيّ بعدَ * اغتسالِهِ ⌐ في ماءِ[١٩] الأردنّ بقولِ أليشعَ[٢٠] النبيّ[٢٢٠]، وغرَقُ العودِ في الماء، وطفوُ[٢١] الحديدِ[٢٢١]، ووقوفُ

ب ٢٠٢ ظ الشمسِ ورجوعُها، وكثيرٌ * مثلُ هذا[٢٢].

---

(١١) ب : الاجيال، تكوين ٢١/٢.

(٢١١) خروج ١٤/١٦.

(٣١١) خروج ١٧/٦.

(١٢) س : تشتعل النار فيها

(١٣) س : فلا.

(٢١٣) خروج ٣/٢

(١٤) ب : تون.

(٢١٤) دانيال ٣/٥٠

(١٥) س : ليالي

(١٦) ب : سليمًا حيا. يونان ١/٢ و١١

(١٧) س : برس

(١٨) ب : سمعان

(١٩) س : فيما

(٢٠) ب : اليسع.

(٢٢٠) ٢ ملوك (٤ ملوك) ٥/١٤

(٢١) س وب : طفو.

(٢٢١) ٢ ملوك (٤ ملوك) ٦/٥-٧.

(٣٢١) يشوع ١٠/١٤

(٢٢) س : هذه العجائب

[على اليهودِ أن لا يقبَلوا ما في كتبِهم ، أو لا يَعيبوا على النصارى أسرارَهم]

١٠ أما يَعلمُ ⌐ليتَ شعري [٢٣] المؤمنونَ [٢٤] بهذهِ الأشياءِ أنَّ حكماءَ العالَمِ المتعظِّمينَ عن الإيمانِ يُحمِّقونَهم في قبولِهم [٢٥] إيّاها أكثرَ مِمَّا يُحمِّقونَ همُ النصارى في قبولِهم [٢٥] ما يُنكِرونَه هم.

١١ وكانَ يحقُّ عليهم ألاَّ يَقبَلوا مثلَ الذي يَعِيبون [٢٦] ⌐أو لا [٢٧] يَعِيبُوا مثلَ الذي يقبَلُون [٢٨].

---

(٢٣) آ : – ليت شعري
(٢٤) س وب : المؤمنين
(٢٥) ب وآ : قولهم
(٢٦) س وب : يعيبوا
(٢٧) آ : ولا
(٢٨) س وب : يقبلوا

الرأسُ الخامسُ

[أوصافُ اللهِ الغريبةُ عندَ غيرِ المسيحيّين من أهل الكتاب]

[ما يقولُهُ العهدُ القديمُ في اللهِ أصعبُ قبولاً مِمَّا نقولُهُ في المسيح]

١ إنَّهُ يُقالُ[١] في العتيقةِ في اللهِ ما هو أشنعُ عندَ عقولِ مُعَطِّلي[٢] الإيمانِ مِمَّا أنَّهُ[٣] يُقالُ في المسيح.

٢ يزعمُ أهلُ العتيقةِ أنَّهُ لا ينبغي أن يكونَ إلهاً، وتوبيخُ مثلِ ذلك لِمن يدّعي الإيمانَ من غيرِ اليهود.

٣ وإنَّ النصارى[٤] مُصيبونَ حيثُ يقبلون[٥] العتيقةَ والحديثةَ ويفهمونَها على معانٍ حَسَنَةٍ.

٤ وقد غفلَ الذين يؤمنونَ بالأنبياء، ويستسمِجونَ ما في الإنجيلِ عما[٦] تقولُ كتبُ الأنبياءِ في اللهِ نفسِهِ * ، مِمّا يقشعِرُّ[٧] العقلُ الجسدانيُّ من سمعِهِ أشدَّ الإقشعرارِ[٨]. آ ٧

---

(١) آ : يقول

(٢) آ : يشير خطأً في الحاشية أنه يرد في ب : معطل.

(٣) ب وس وآ : لأنّه

(٤) س : النصارا

(٥) س : يقولون، ب : يقبلوا

(٦) ب وآ : عن ما، س : عنما

(٧) ب : + منه

(٨) ب : الاقشعار

س ٣٢٠ ظ

٥ فمَنْ من ذوي العُقولِ المُعَطِّلة * الإيمانَ يَقبلُ قولَ الكتابِ : إنَّ اللّهَ مَشَى [٩] في الفردوس [٢٩] ، وإنَّهُ اشتمَّ ريحَ رَطْلَي شحمٍ [١٠] ، فرضيَ بهِ عنِ الدُّنيا. [٢١٠]

٦ وإنَّهُ ندمَ على خلقِهِ آدم [٣١٠] ، وإنَّهُ نزلَ لتفريقِ الألسُنِ ببابل [٤١٠] .

ب ٢٠٣ جـ

٧ وإنَّهُ نزلَ بإبرٰهيمَ فأكلَ وشرب. وقولَهُ لإبرٰهيم : «إنَّ صريخَ سدومَ قد [١١] طلعَ إليَّ ، فنزلتُ * لأعلمَ إن كانَ الأمرُ على ما وصلَ إليَّ ، وإلاَّ علمتُ [٢١١] .

٨ وإنَّ اللّهَ [١٢] وقفَ فوقَ سُلَّمٍ وكلَّمَ [١٣] يعقوبَ من هناك [٢١٣] .

٩ ونزولَ اللّهِ [١٤] على طورِ سينا [٢١٤] ، وقولَهُ : إنَّهُ ليس أحدٌ يَراني فيحيا [١٥] . وتكليمَهُ موسى مع ذلك مواجهةً ، كما يُكلِّمُ الرجلُ صاحبَهُ [٢١٥] . ونزولَهُ في عمودِ سحابةٍ على قُبَّةِ الزمان [٣١٥] .

---

(٩) س وب : مشا.

(٢٩) تكوين ٣/٨

(١٠) س : رطلي شحم ، آ: ريح ركي شحم.

(٢١٠) تكوين ٨/٢٠–٢١.

(٣١٠) تكوين ٦/٦.

(٤١٠) تكوين ١١/٧–٩

(١١) ب وآ : – قد.

(٢١١) تكوين ١٨/٢٠

(١٢) س : وأنّه

(١٣) س : فكلّم.

(٢١٣) تكوين ٢٨/١٣

(١٤) س : ونزوله.

(٢١٤) خروج ١٩/٢٠

(١٥) آ : فيحيى. خروج ٣٣/٢٠.

(٢١٥) خروج ٣٣/١١.

(٣١٥) خروج ٤٠/٣٤

١٠ وقولَ موسى : إنَّ إلهنا (١٦) نارٌ آكِلَةٌ (١٦²) . وقولَهُ أيضاً : إنَّ اللهَ يَمشي في عسكرِ بني إسرائيل، وتقديمَهُ إليهم أن يُنظِّفوهُ (١٧) من العُذرةِ لِمَمْشاهُ فيهِ (١٧²) .

١١ وقولَ دانيالَ (١٨) في الله : إنَّهُ عتيقُ الأيَّام، وإنَّ شعرَهُ مثلُ الصوفِ النقيّ (١٨²) .

١٢ وقولَ حزقيالَ فيه إنَّهُ جالسٌ على كرسيٍّ يُشبِهُ الإنسان (١٨³) ، وإنَّ من خصرِهِ إلى (١٩) فوقُ كالأزورد (٢٠) ، ومن خصرِهِ (٢١) إلى أسفل نارٌ (٢١²) .

١٣ وقولَ عاموصَ (٢٢) النبيِّ إنَّهُ رآهُ واقفاً على صورِ نهرٍ ماشٍ .

س ٣٢١ جـ ١٤ وقولَ * النبيِّ (٢٣) حزقيالَ أيضاً إنَّهُ تزوَّجَ أورشليمَ وإنَّها زنتْ عليهِ فطلَّقَها (٢٣²) . ووعدَها (٢٤) في يوشيَّا (٢٥) النبيِّ أنَّهُ سيخطبُها ثانيةً (٢٥²) ، وما شاكلَ ذلكَ .

---

(١٦) س وب : الاهنا.
(١٦²) تثنية ٤/٢٤.
(١٧) س : شطفوا.
(١٧²) تثنية ٢٣/١٤
(١٨) ب وآ : دانيل.
(١٨²) دانيال ٧/٩.
(١٨³) حزقيال ١/٢٦
(١٩) س : إلا
(٢٠) س : كالأزور
(٢١) س : وسعط (وسط؟)
(٢١²) حزقيال ٨/٢
(٢٢) آ : يقترح قراءة **دانيال** بدلا من **عاموص**، اذ ليس في عاموص ما يشير الى مثل هذه الرواية والنصّ مختل كذلك في س.
(٢٣) ب وآ : – النبي.
(٢٣²) حزقيال ١٦/٠٠٠٧
(٢٤) آ : ووعده
(٢٥) هو النبي هوشع.
(٢٥²) هوشع ٢/١٩

١٥ ألاَ ذكرتَ هذا يا يهوديُّ، فغطَّيتَ رأسَكَ قبلَ أن تهزأَ بأُمورِ النصارى؟

[ما جاءَ لدى المُسلمينَ من أوصافٍ مجسِّمةٍ للهِ يجبُ أن تقرّبَ لهم فهمَ ما نقولُه في المسيح]

١٦ وإنْ قالَ غيرُكَ مِمَّن يدَّعي الإيمانَ: إنَّهُ لا يَقبَلُ هذا كلَّهُ، فذاكَ يقولُ لا محالةَ: إنَّ اللهَ جالسٌ على العرشِ، ويقولُ إنَّ للهِ[٢٦] يداً ووجهاً ونحوَ[٢٧] ذلكَ مِمَّا لا نتفرَّغُ[٢٨] هاهُنا لتَتَبُّعِهِ *.

ب ٢٠٣ ظ

آ ٨

١٧ فإذا أُدخلَ[٢٩] على اللهِ الجسدانيَّةَ في * هذهِ الأقاويل، فقد سُوِّغَ أن يُقالَ في اللهِ وغيرُ هذا من لواحقِ الجسدانيّة، إن شاءَ وإن أبى[٣٠]، إنْ[٣١] زعَمَ أنَّ هذه الصفةَ إنَّما وقعَتْ صرفاً على اللهِ لا على معنىً[٣٢] حَسَنٍ[٣٣].

١٨ وإنْ قالَ: إنَّ هذا إنَّمَا قيلَ في اللهِ على معنىً[٣٢] حَسَنٍ، فقد أذِنَ أن يُقالَ في اللهِ على معنىً[٣٣] حَسَنٍ وغيرُ هذا مِمّا يُنكِرُهُ هو.

١٩ وهذا القولُ يضمُّ اليهوديَّ وغيرَهُ ممَّن يدّعي الإيمانَ فيمَا قبلهم من صفاتِ اللهِ.

---

(٢٦) س : الله
(٢٧) س و ب : ونحوا
(٢٨) ب و آ : نفرغ
(٢٩) س : دخل
(٣٠) س و ب : ابا
(٣١) س : وان
(٣٢) س : معنا
(٣٣) س و ب : — حسن

٢٠ فكيفَ استحسنتُم أن تَعيبوا على النصارى ما في أيديكم (٣٤) نظيرٌ لهُ وأشنعُ منهُ، إلاّ من الجفاءِ * والغَلَط.

س ٣٢١ ظ

[تأويلُ النصارى الروحيُّ للكتاب]

٢١ فأمّا نحنُ النصارى فإنّا بنعمةِ روحِ القدسِ نؤمنُ بالعتيقةِ والحديثةِ، ونعلمُ أنّ (٣٥) منهاجَها ومأخذَهما واحدٌ. ونفهمُ كلَّ شيءٍ فيهما (٣٦) على جهتِهِ.

٢٢ ونُخلِصُ في عقولِنا للهِ الصفةَ الطاهرةَ، ونعرفُ انحطاطَهُ برحمتِهِ إلى غيرِ ما يُشاكِلُ تجرُّدَ جوهرِهِ، مما فيهِ (٣٧) خلاصُنا، ونحمدُهُ على ذلك.

[نعجبُ من النصارى الذين يتأثّرونَ باعتراضاتِ اليهودِ وغيرِهم]

٢٣ فالعجبُ من جُهّالِنا (٣٨) أنّ كتُبَ اليهودِ، لولا تزيينُ النصارى إيّاها بلطافةِ عقولِهم الروحانيّةِ، لكانت ضَحِكةً لجميعِ الناسِ. واليهودُ لا يشكّون فيها لتحميقِ الناسِ إيّاها (٣٩) *، وهم يَصرفونَ وجوهَهم عن السجودِ للصُّوَرِ المقدَّسة، لاستقباحِ اليهودِ وغيرِهم إيّاها.

ب ٢٠٤ ج

---

(٣٤) س : بيدكم، ب : في يدكم

(٣٥) س : – انّ

(٣٦) ب وآ : فيها

(٣٧) س : به كان

(٣٨) س : جهالتنا

(٣٩) ب وآ : اياهم

الرأسُ السَّادس

[٣ – الديانةُ المسيحيَّةُ ثَبتَت صحَّتُها بالبراهين]

[دعائم الإيمان المسيحيّ]

١ إنَّ النصرانيَّةَ إنَّمَا قُبلَت بالأعاجيبِ، وإنَّهُ ⌐لا يزالُ يُنَوِّرُ اللهُ منها[(١)] من يُحقِّقُها من العقلِ والكتابِ. وإنَّهُ يَحِقُّ على كلِّ نصرانيٍّ أن يكونَ في[(٢)] جميعِ ما يَدينُ بهِ ثابتاً على بصيرةِ الإيمان.

٢ ألَا يَعلمُ كلُّ[(٣)] من فعلَ ذلكَ من النصارى أنَّ النصرانيّة إنما تحقَّقت عندَ قابليها بالأعاجيبِ التي عملَها التلاميذُ باسمِ يسوعَ المسيحِ، وبها * قضى[(٤)] لهمُ العقلُ بالاستقامةِ أنَّهم يَستوجبونَ أن يُقبَلَ منهم كلُّ ما علَّموا[(٥)]،

س ٣٢٢ جـ

٣ مع شهادةِ الأنبياءِ الذين كتُبُهم بأيدي[(٦)] اليهود، أعداءِ دعوتِهم على ما كرزوا من أمرِ المسيح،

٤ سوى[(٧)] ما كانت تغوصُ عليهِ أذهانُ المُستحقِّينَ * السَّدادَ من

آ ٩

---

(١) ب : لا يزل يثور الله منها،
آ : لا يزال يثوّر بها
(٢) آ : – في
(٣) س : – كلّ
(٤) س وب : قضا
(٥) س وب وآ: عملوا
(٦) س وب : بيد
(٧) س وب : سوا

اللهِ لطلبِهم الحقَّ بالنيَّةِ العادلةِ من أهلِ الفلسفةِ ، من لطيفِ ما كانَ أولائك[٨] يتلونَ ويكتبُون ، كما كانَ ذيونيسيوسُ[٩] واقليمِسُ وايروثاوسُ[١٠] ونظراؤُهم .

[أبو قُرَّة وضعَ ميامرَ توسَّعَ فيها في إثباتِ صِحَّةِ الدينِ المسيحيِّ بالعقل]

٥ وقد وضَعْنا نحنُ ، أهلَ الجسارةِ ، ميامرَ مِمَّا استفدنا من دقائقِ[١١] تعليمِ آبائِنا القِدِّيسين[١٢] ، حقَّقنا بها أنَّهُ لا كتابَ[١٣] يَثبُتُ من العقلِ الحقَّ بتَّةَ اليومَ ، إلاَّ الإنجيلُ ، وكلُّ ما يحقِّقُهُ الإنجيلُ[١٤] لتحقيقِ الإنجيلِ * إيَّاه . ب ٢٠٤ظ

٦ وأنَّهُ لازمٌ للخلقِ القَنوعِ[١٥] بكلِّ ما[١٦] في الإنجيلِ ، عرفَتْهُ عقولُهم أو لم تعرفْهُ .

٧ وعلِمْنا أنَّ روحَ القُدسِ لا يزالُ يُبرِزُ[١٧] من النصارى من يُفَسِّرُ الروحانيَّاتِ للروحانيِّينَ ، [١٨] كما قالَ مار[١٩] بولسُ . ونُضطرُّ[٢٠] من قانونِ العقلِ إلى[٢١] الإقرارِ بكلِّ ما[١٦] ذكرنا من فوقُ ، أنَّ اليهودَ وغيرَهم يَستشنِعونَهُ من النصرانيَّةِ بعماءِ عقولِهم .

---

(٨) س وب : اوليك
(٩) س : ديانيسيوس
(١٠) س وب : ايرايتس ،
آ : ترك مكانا فارغا
(١١) س : دائق
(١٢) س : المقدّسين
(١٣) س : كتات
(١٤) س : + فهو مقبول
(١٥) س : للحق وللقنوع
(١٦) ب : بكلما
(١٧) س : يبر، آ: يبرر
(١٨) آ : يقيس الروحانيّات للروحانيات
(١٩) ب : ماري
(٢٠) س : ويطفر
(٢١) س وب : – إلى

[مَن قَبِلَ بصحَّةِ الدينِ المسيحيِّ بنوعِ الإجمالِ لا يجوزُ له أن يتخلّى عن بعضِ حقائقِه]

س ٣٢٢ ظ ٨ وكانَ * ينبغي لِمَن لم يبلغْ[٢٢] قامةَ الرجالِ في فهمِ الروحانيّات، أن يبنيَ على أساسِ الإيمان، ويستسلمَ لِكلِّ ما جرى[٢٣] في الكنيسةِ من السِّلِّيحيِّينَ، من السجودِ لِصُوَرِ القدّيسينَ بإيمانٍ وبصيرةٍ[٢٤].

٩ فأمَّا إنْ جعلَ يقبلُ من ذلك بعضاً ⌐ويردُّ بعضاً⌐[٢٥]، وكانَ ما قَبِلَ وما ردَّ واحداً في إنكارِ العقلِ الجسدانيِّ إيّاهُ، فقد حقَّقَ على نفسِهِ أنَّهُ[٢٦] لا بصيرةَ لهُ بدينِهِ، وأنَّهُ لا يدري لأيِّ سببٍ هو مقيمٌ عليهِ.

---

(٢٢) س : + منهما
(٢٣) س : جرا
(٢٤) س وب : بصيرة
(٢٥) ب وآ : — ويرد بعضا
(٢٦) س : — أنه

(الجزءُ الثّاني)

[البرهانُ المأخوذُ من التقليدِ الكنسيّ]

الرأسُ السّابع

[تمهيد: الكتابُ ليسَ وحدَهُ مصدرَ الأُصولِ النصرانيّة]

[العنوان – عرضُ القضيَّة]

١ تحقيق[1] أنَّ الصُّوَرَ لها أصلٌ ثابتٌ في النصرانيَّةِ لِعمومِها الكنائسَ كلِّها،

٢ وأنَّ من بَطَّلَ السجودَ لها لأَنَّهُ لم يوصِ بهِ الرسلُ[2] في مصاحفِ العتيقةِ والحديثةِ فقد لزمَهُ أن يُبطِلَ غيرَهُ من أسرارِ النصرانيّةِ التي هي كذلك.

[الاعتراض: كيف نقولُ إنّ السجودُ للصُّوَرِ نشأَ في عهدِ الرسلِ ولا نجدُ له ذكراً في الكتبِ المقدّسة]

٣ ولعلَّ قائلاً يقولُ من أولئك: وكيفَ لنا أن نعلمَ أنَّ السجودَ

---

(١) س : تحقق

(٢) س : لم يؤمن به رسلا،
ب وآ : لم يوصي به رسلا

آ ١٠ للصُّوَرِ نشأ في الكنيسةِ على عهدِ السِّلِّيحيِّينَ * ، ونحنُ لا
ب ٢٠٥ جـ نجدُ كتاباً * ينطِقُ بهِ.

[الردّ: هناك الكثيرُ مِمّا جاءَنا بالتوارثِ وليسَ له ذكرٌ في الكتاب]

٤ فنحنُ نقولُ لهُ: إنَّ كثيراً من عظيمِ ما في أيدينا[٣] إنَّمَا أصبناهُ ووصلَ[٤] إلينا توارُثاً ، من غيرِ أن نجدَ له * ثَبتاً[٥] في مُصحفٍ من[٦] مصاحفِ العتيقةِ والحديثةِ التي أسلمَ إلينا التلاميذُ. س ٣٢٣ جـ

٥ وأوَّلُ ذلك الكلامُ الذي نقولُهُ على قربانِنا ، وبهِ يصيرُ لحمَ المسيحِ ودمَهُ ، وقدّاسُ المعموديَّةِ والميرونِ ، وتقديسُ الهياكلِ والشرطونيّةُ ، وضربُ الناقوسِ وسجودُ الصليب ، وما شاكلَ ذلك.

٦ فمن لا يقبلُ منّا السجودَ لِصُوَرِ القدّيسينَ حتى يجدَ لهُ ثَبْتاً في مصاحفِ العتيقةِ والحديثةِ المسمَّاةِ ، فليعطِّلْ[٧] ما قد ذكرنا من غيرِ هذا أجمع ، ولينظرْ حينئذٍ أيَّ شيءٍ[٨] يبقى[٩] في يدَيْهِ من النصرانيّة.

(٣) ب : يدينا
(٤) ب : وصل
(٥) س : ثباتا
(٦) س : – مصحف من
(٧) س : فليعطلوا ، ب : فيعطلوا
(٨) س : ايش ، ب : ايشيء
(٩) س : يبقا

٧ وإنْ قَبِلَ ⌐ما سوى[١٠] ⌐ السجودِ للصُّوَرِ[١١] من هذا النحوِ، فليقبَلْ وسجودَ الصُّوَر.

[تعميمُ عادةِ إكرامِ الصُّوَرِ في سائرِ الكنائسِ دليلٌ على ارتقائِها إلى الأصل]

٨ وليعلَمْ أنَّهُ لا شيءَ من تلك الأنواعِ بأعمَّ في الكنيسةِ من الصُّوَرِ. فما من بلادٍ لعمري إلاَّ وفي كنائِسِها صُوَرُ القِدّيسين.

٩ وإنْ كانَ عمومُها لا يُحقِّقُها أنَّها جرَتْ من الأصلِ[١٢]، فأوشكَ أن يُبْطَلَ وغيرُها مِمَّا قد عَمَّ عمومَها ويُزْعَمُ أنَّهُ دخيلٌ.

س ٣٢٣ظ ١٠ وإنْ ثَلُمَتْ هذه الثُّلمةُ * في النصرانيَّةِ، فقد فَنِيَتْ كُلُّها،
ب ٢٠٥ ظ وحاشى للمسيحِ أن يخذُلَها لِذلك *.

١١ وهذا[١٣] القولُ قد كانت بهِ كفايةٌ أن يَرُدَّ النافرينَ[١٤] عن السجودِ للصُّوَرِ المقدَّسة، إلى ما قد تركوا من ذلك.

---

(١٠) س : هوسوا
(١١) ب : سجود الصور
(١٢) س : الانجيل
(١٣) س : وبهذا
(١٤) س : انافرين

الرأسُ الثّامِن

[شهاداتُ الآباءِ القدّيسين في إكرامِ الصُّوَرِ]

[العنوان – عرضُ القضيَّة]

١ شهادةٌ من المعلِّمينَ تُحقِّقُ أنَّ الصُّوَرَ كانت في الكنيسةِ على عهدِ السِّلِّيحيّين، وأنَّ السجودَ لها واجبٌ، وإنَّ مرتبةَ المعلّمين ثابتةٌ عالياً (١) في الكنيسةِ (٢) ، وإنَّهُ لا محالةَ يلزمُ النصارى أن يُطيعُوهم (٣) .

[شهادةُ القدّيسِ أثناسيوس في جوابِهِ على أسئلةِ أنطيوخوس]

٢ وإن أردتَ أن تعلمَ مع هذا أنَّ السجودَ لصورةِ المسيحِ وصُوَرِ (٤) القدّيسينَ ⌐ أصلٌ ثابتٌ (٥) في كنيسةِ (٦) اللهِ ، فاسمع ماذا يقولُ فيهِ مار (٧) أثناسيوس المشهورُ * القديمُ في المعلّمين، ذو الخمسةِ الأكاليلِ في المجاهدةِ عن

آ ١١

---

(١) س : عاليه
(٢) ب وآ : + شرفها، ويلاحظ آ في الحاشية ان كلمة **شرفها** زيدت في ب بيد أخرى
(٣) س : مطيعونهم
(٤) ب : صوره
(٥) س وب : أصلا ثابتا،
آ : أصلا ثابت
(٦) س : الكنيسة
(٧) ب وآ : ماري

الأرثوذكسيّة[٨] ، الرُّكنُ الوثيقُ من أركانِ الكنيسة ، في مسائلَ كانَ سألَهُ إيّاها أنطياخسُ[٩] الأُركونُ عن أشياءَ يَظُنُّ أنَّ النصرانيَّةَ فيها مُخالِفَةٌ للكنيسة[١٠] .

٣ سألَ أنطياخسُ وقال : ما شأنُنا نسجدُ للصُّوَرِ والصَّليبِ التي ⌐هي صنعةُ[١١] النجّارينَ * كالأوثانِ ، واللهُ قد أمرَ في الأنبياءِ أن لا يُسجَدَ لِصُنعَةِ الأيادي؟[١٢] .

س ٣٢٤ جـ

٤ فأجابَهُ[١٣] مار[١٤] أثاناسيوس وقال : ليسَ سجودُنا لِلّهِ كسجودِنا[١٥] للصُّوَرِ ، نحنُ المؤمنين * ، كعبادةِ الأوثانِ لا يكونُ.

ب ٢٠٦ جـ

٥ بل إنّمَا⌐ نُبدي سجودَنا للصُّوَرِ[١٦] وللصليبِ[١٧] بالوجهِ الذي الصورةُ لهُ ،⌐ حُبًّا وعشقاً[١٨] إيّاهُ.

٦ ⌐من أجلِ[١٩] هذا ، إذا دَرَسَتِ الصورةُ كثيراً ما نُحرِقُ ذلك الذي كانَ مَرَّةً صنماً كالعود.

٧ وكما أنَّ يَعقوبَ إذا دنا من الموتِ ، سجدَ على طَرَفِ عصا

---

(٨) س : الارتدقسية
(٩) س : انطياخوس
(١٠) آ : الكنيسة
(١١) س : هو صنعه
(١٢) س : الايدى
(١٣) س : أجابه
(١٤) ب وآ : مر ، س : — مار
(١٥) س : نسجد
(١٦) ب وآ : نبتدئ بسجودنا للصورة
(١٧) س : والصليب
(١٨) ب : وحبا عشقا
(١٩) ب وس وآ : منجل.

يوسف (١٩') ، ليس لِيُكرمَ(٢٠) العصا ،⌐ولكن للّذي (٢١) كان يُمسِكُها بيدِهِ.

٨ ⌐كذلك ونحنُ(٢٢) المؤمنين، لا لسببٍ غيرِ هذا، نُكرِمُ الصُّوَرَ(٢٣) ونُماسُّها(٢٤) مثلَ ما نُقبِّلُ(٢٥) البنينَ والآباءَ، مظهرينَ ذلك(٢٦) الحبَّ الذي لهم في أنفسِنا.

٩ كما اليهوديُّ في قديمِ(٢٧) الدهرِ كانَ يَسجدُ لِلوَحْيِ الناموسِ وكروبَيِ(٢٨) الذهبِ المسبوكَيْنِ، ليسَ مُكرِّماً لطبيعةِ(٢٩) الذهبِ والحجرِ، ولكن(٣٠) للربِّ(٣١)، الذي(٣٢) أمرَ أن يُصنَعَ هذا.

س ٣٢٤ ظ ١٠ فالذينَ لِغلَظِ عقولِهم استطالةً، يمتنعونَ * من السجودِ للصليبِ وتماثيلِ القِدِّيسينَ، فليُخبِرونا ما بالُ⌐ أصنامِ صُوَرِ(٣٣) القدّيسينَ⌐ مراراً كثيرةً(٣٤) يَنبُعُ منها الميرونُ بقوّةِ اللهِ القادرِ على كلٍّ.

(١٩') تكوين ٤٧/٣١
(٢٠) س : وهو يكرم
(٢١) س : ولاكن الذي
(٢٢) س : وكذلك نحن
(٢٣) ب وآ : الأصنام
(٢٤) ب : ونشـامهـا ،
س : ونسامها
(٢٥) ب : يقبل
(٢٦) س : بذلك
(٢٧) س وآ : – قديم (في ب كلمة **قديم** زيدت بنفس الخط)
(٢٨) ب : كرون
(٢٩) س : طبيعة
(٣٠) س : ولاكن
(٣١) س : الرب
(٣٢) ب : – الذي
(٣٣) س : الاصنام صوره
(٣٤) س : الذي

١١ وكيفَ(٣٥) عمودُ سوطلةَ لا نفسَ لها(٣٦) نَفَذَتْ فيها نَشَّابَةٌ فجرى(٣٧) منها دمٌ جرياً عجيباً، كمثلِ(٣٨) طبيعةِ الجسدِ.

ب ٢٠٦ ظ

١٢ وكيفَ(٣٩) قبورُ وعِظامُ وصُوَرُ * القِدّيسينَ، مراراً كثيرةً تَطردُ الشياطينَ بالصِّياحِ والولولةِ.

[قِصَّةُ الراهبِ، المأخوذةُ من تاريخ الرُّهبان]

١٣ ولنفضح هؤلاءِ(٤٠) الجهّالَ، لا بالكلامِ فقط، ولكن بأحاديثِ(٤١) الآباءِ * . فاسمع(٤٢) كلمةً صادقةً وصلَتْ إلينا من أَبَّهاتِ أورشليم(٤٣)، في حديثٍ بقَوْلِ ناسٍ يستأهلونَ التصديقَ كانوا في الأزمنةِ الماضيةِ.

آ ١٢

١٤ إنَّ رجلاً من(٤٤) العُبَّادِ كانَ يؤذيهِ شيطانُ الزِّنا، ويَكُبُّ(٤٥) عليهِ إكباباً عنيفاً. فذاتَ يومٍ تراءى(٤٦) لهُ ذٰلكَ الروحُ مواجهةً، فقالَ لهُ:

١٥ إن أردتَ(٤٧) ألاَّ(٤٨) أُقاتِلَكَ، فلا تسجدْ لهذهِ الصورة، وأنا

---

(٣٥) س : كيف
(٣٦) ب : — لها
(٣٧) س : فجرا
(٣٨) س : كمن
(٣٩) س : كيف
(٤٠) س : هاولى
(٤١) س : بخاديت
(٤٢) س : — فاسمع
(٤٣) س : اورشلم
(٤٤) س : + الآباء
(٤٥) آ : يكب
(٤٦) ب وس : ترايا
(٤٧) س : أرت
(٤٨) س : ان لا

أبتعدُ(٤٩) عنكَ. وتلك الصورةُ كانت صورةَ سيّدتِنا والدةِ الإله مرتَمَرْيَم(٥٠).

١٦ فيا ليتَ(٥١) شعري، ما نقولُ(٥٢) في هؤلاءِ المُجتنينَ(٥٣) الذين يأمرونا ألاَّ(٥٤) نسجدَ لأصنامِ وصُورِ(٥٥) القِدّيسين، التي إنما تُرسَمُ وتُمَثَّلُ * عندَنا للتذكرةِ فقط، لا لشيءٍ(٥٦) آخر.

س ٣٢٥ ج

١٧ وهذا القولُ في الصُّوَرِ والأصنام بالإيجاز(٥٧). فأمَّا الصليبُ فإنّهُ معروفٌ أنَّا إنَّمَا نسجدُ لهُ ونُسالِمُهُ(٥٨) نحنُ المؤمنينَ في شأنِ المسيحِ الذي صُلِبَ عليهِ. وهذا قولُ مار(٧) أثناسيوس.

[شهادةُ أوسابيوس: تمثالُ المسيحِ في بانياس]

١٨ فأمَّا أوسابيوس(٥٩)، أسقف قيساريَّةِ فلسطين(٦٠)، الذي كتبَ أُمورَ الكنيسةِ من مولدِ مخلِّصِنا * في بيتَ لحمَ(٦١) إلى زمانِ قسطنطينَ الملك الكبير، فإنّه يذكرُ في سِفْرِهِ السابعِ، في

ب ٢٠٧ ج

---

(٤٩) س : اتباعد
(٥٠) س : وذلك الصورة كان للمقدسة سيدتنا والدة الاله
(٥١) س : فليت
(٥٢) آ : يقول
(٥٣) آ : المجتنبون
(٥٤) س : الأمر بأن لا
(٥٥) س : لصور واصنام،
ب وآ : لاصنام صور
(٥٦) س : شيئ
(٥٧) س : بإيجاز
(٥٨) س : ونسـلـه،
آ : ونسلّمه
(٥٩) س : اوسابس
(٦٠) س : فلصطين
(٦١) س : بيت الحم

الرأسِ⌐ السابعَ عشر(٦٢) منه(٦٣) ، المرأةَ(٦٤) التي شفاها(٦٥) ربُّنا(٦٦) من سَيْلِ دمِها.

١٩ ويزعمُ أنَّها كانت من بانياسَ(٦٧) ، ويقول فيها أوسابيوس(٦٨) : ولكن(٣٠) إذ قد ذكرنا(٦٩) هذه المدينةَ ، فإنّهُ ينبغي ألاَّ(٧٠) نجوزَ قِصَّةً تستحِقُّ(٧١) أن تكونَ ذُخراً لِمن بَعدَنا.

٢٠ المرأةُ(٦٤) التي كان يسيلُ دمُها ، التي عرفنا من(٧٢) الإنجيلِ المقدّس ، التي شفاها(٦٥) ربُّنا(٧٣) من هذا الداءِ ، يَزعَمُ أنَّها من هذه المدينةِ كانت ، وبيتُها معروفٌ في المدينةِ.

س ٣٢٥ ظ

٢١ والنعمةُ * التي وصلت إليها من ربِّنا(٧٤) لها آيةٌ(٧٥) عجيبةٌ باقيةٌ حتَّى اليوم.

آ ١٣

٢٢ إنَّ قدّامَ باب بيتِها⌐ صنماً * من نحاسٍ على شكلِ مرأةٍ ، والصَّنَمُ جاثٍ(٧٦) على ركبتَيْهِ ، ويداهُ مبسوطتانِ ، مبتهلاً على شبهِ

---

(٦٢) ب : سبعة عشر ،
س : سبعة أعشر
(٦٣) آ : – منه
(٦٤) ب وس وآ : المرة
(٦٥) ب وس وآ : اشفاها
(٦٦) س : – ربنا
(٦٧) ب : ناميوس
(٦٨) س : هذا اوسابس
(٦٩) س : ذكرا
(٧٠) س : ان لا
(٧١) آ : يستحق
(٧٢) س : في
(٧٣) س : المسيح ربنا
(٧٤) س : + المسيح
(٧٥) س : ايت
(٧٦) س : من نحاس صنم المرأة جاثي ، ب : جاثي.

تلك المرأة (٧٧) ⌉التي كان يسيلُ دمها، التي شفاها (٦٥) ربُّنا يسوعُ المسيحُ (٧٨).

٢٣ ومقابلَهُ ⌉صنمٌ من نُحاسٍ شبهُ رجلٍ (٧٩) منتصبٍ واقفٍ ملتحفٍ برداء، باسطٍ يدَهُ إلى هذه المرأة (٦٤).

٢٤ ومن تحتِ رجلَي° (٨٠) هذا الصنمِ، فوقَ السوطلةِ (٨١)، ينبتُ عقارٌ ما (٨٢)، غريبٌ من منظرِهِ من العقاقيرِ، طالعٌ إلى طرفِ ردائِهِ، وهو دواءٌ لكلِّ وجعٍ *.

ب ٢٠٧ ظ

٢٥ والتمثالُ يُشبِهُ مخلِّصَنا ⌉في ما يَقولون (٨٣). وقد بقِيَ حتّى أيّامِنا، وأبصرناهُ بأعيُنِنا، حيثُ ذهبنا إلى هذه المدينة.

٢٦ وليس عظيماً (٨٤) إنْ صنعَ هذا الذينَ كانوا من الأُمَمِ وانتفعوا (٨٥) من مخلِّصِنا، إذ نراهم قد صَوَّروا بالألوانِ السِّلّيحِيِّينِ مار (٨٦) بولسَ ومار (٨٦) بطرسَ، والمسيحَ (٨٧) نفسَهُ، صوراً ⌉باقيةً هوذا هي حتّى (٨٨) اليوم.»

---

(٧٧) ب : المرة، س : — المرأة
(٧٨) س : — التي كان يسيل دمها التي شفاها ربّنا يسوع المسيح
(٧٩) س : من نحاس صنم رجل
(٨٠) ب وآ : رجل
(٨١) س : النوطلة
(٨٢) س : هو
(٨٣) ب وآ : — فيما يقولون
(٨٤) آ : عجيبا
(٨٥) س : وهم انتفعوا
(٨٦) ب : مر
(٨٧) ب وآ : للمسيح،
س : وللمسيح
(٨٨) س : هي باقية حتا

٢٧ أليسَ قد حقَّقَ أوسابيوسُ[٥٩] لكَ أنَّ هذه التماثيلَ والصُّورَ لم تَزَلْ بيدِ النصارى[٨٩]، منذ زمن السِّلِّيحيّين؟

٢٨ ⌈فدلالةُ قولِهِ لعمري، إنَّ الصُّورَ التي صُوِّرَتْ للسِّلِّيحيّينَ[٩٠] باقيةٌ حتّى[٩١] اليومِ، وصورةَ المسيح، أنّ هذه الصُّوَرَ إنَّما استُقِيَتْ[٩٢] من * وجوهِ السِّلِّيحيّينَ بأعيانِهم ومن وجهِ المسيح. س ٣٢٦ ج

٢٩ وأوعزَ إليكَ مار[٨٦] أثناسيوسُ بالسجودِ لها، وأخبرَ أنَّها كانت عاديَّةً قبلَهُ. فأمرُ هذا نافذٌ على كلِّ نَصرانيٍّ لا محالةَ، لأنَّهُ رأسُ المعلِّمينَ، ليس فيهم أفضلُ منهُ.

⌈شهادةُ غريغوريوسَ اللاهوتيّ]

٣٠ ومار[٨٦] غريغوريوس[٩٣] قائلُ[٩٤] الإلهيّاتِ يأمُركَ، في مَيْمَرِهِ الذي قالَهُ على مولدِ المسيح، أن تسجُدَ للمذودِ الذي كان لربِّنا كالمَهد، وأمرَكَ بالسجودِ للحجرِ لِوَصْلَتِهِ[٩٥] بالمسيحِ الواجبةِ[٩٦] لهُ كلُّ سَجْدةٍ.

٣١ وهذا خلافٌ لِقولِكَ المائقِ إنَّهُ لا يَحِلُّ أن يُسجَدَ لشيءٍ * إلاَّ للهِ[٩٧]. ب ٢٠٨ ج

---

(٨٩) س : النصارا

(٩٠) س : – فدلالة قوله لعمري ان الصورة التي صورت للسليحيين.

(٩١) س : حتا

(٩٢) ب : استيقنت، آ . استوقنت.

(٩٣) س : اغريغوريوس

(٩٤) س : قوّال

(٩٥) س : ولوصلته

(٩٦) ب وآ : الواجب

(٩٧) س : الله

[أهمّيّةُ تعليمِ آباءِ الكنيسة]

آ ١٤ **٣٢** ومن بعدِ هٰذينِ المعلّمَيْنِ اللّذَيْنِ لا يفوقُها * أحدٌ، إعلمْ[٩٨] أنَّ لِلمعلّمينَ مرتبةً[٩٩] عاليةً، درجتُهم في الكنيسةِ فوقَ مراتبِها كلِّها، بعدَ مرتبةِ السّليحيّينَ والأنبياءِ.

٣٣ كما قالَ مار[٨٦] بولس: «إنَّ اللّهَ وضعَ في كنيستِهِ[١٠٠] السّليحيّينَ أوّلاً، وبعدَهم الأنبياءَ وبعدَهم المعلّمين». ثم ⌉تلا المراتبَ[١٠١]، الأوّلَ في الأوّلِ، من عُمّالِ الأعاجيبِ ومَن كانَ[١٠٢] بعدَهم[١٠٣].

س ٣٢٦ ظ **٣٤** ⌉فاذ كانت مرتبةُ المعلّمينَ[١٠٤] لها * هذا الشرفُ في الكنيسةِ[١٠٥]، فمَنْ من النصارى يَرُدُّ ⌉شيئاً من تعليمِهم[١٠٦] إلاَّ[١٠٧] كانَ نَفْياً من النصرانيّةِ، مُقْصًى[١٠٨] عن خيرِ الكنيسة[١٠٩].

٣٥ لأَنَّ[١١٠] قولَ السّليحيّينَ والأنبياءِ إنما يُشبِهُ القمحَ الذي لا ينتفعُ به الناسُ ما دامَ صحيحاً.

---

(٩٨) آ : عُلم، س: واعلم

(٩٩) س وب : راتبة، آ: مراتب

(١٠٠) س : كنيسة، آ: الكنيسة.

(١٠١) ب : بالمراتب

(١٠٢) س : – كان

(١٠٣) : ١ كورنتس ٢٨/١٢

(١٠٤) ب : فاذا كانت مراتب المعلّمين

آ : مراتب المعلمين فلذلك كانت

(١٠٥) آ : يشير خطأ في الحاشية إلى أنّ ب اسقط ال التعريف

(١٠٦) س : شيئا من تعليمهم،

ب : شريعتهم.

(١٠٧) آ : + من

(١٠٨) س وب : مقصيّا

(١٠٩) س : النصرانية

(١١٠) س : لا

٣٦ ويُشبهُ المعلّمونَ رجلاً[١١١] عَمَدَ إلى هذا القمح، فطحنَهُ وعجنَهُ وخبزَهُ، وأبدى[١١٢] قُوَّتَهُ، الخفيّةَ كانت عن من كانَ[١١٣] يراهُ صحيحاً مِمَّن لا خَبَرَ لهُ أنَّهُ[١١٤] حيثُ هيَّأَهُ[١١٥] ينتفعُ بهِ.

٣٧ من أجلِ[١٩] ذلك، فضَّلَ الله مرتبتَهم، وسمَّاهم المؤمنونَ[١١٦] آباءً.

٣٨ وكفى[١١٧] من العَزاءِ مَنْ سجدَ مِن النصارى[٨٩] لهذهِ الصُّوَرِ المقدَّسةِ، أن يعلَمَ أنَّهُ يتبعُ لِهؤلاء[١١٨] المعلّمينَ في سجودِهِ لها.

٣٩ وَحَسْبُ هؤلاءِ[٤٠] الغِلاظِ المجتنبينَ سجودَها منَ العار، مخالفتُهم[١١٩] إياهم التي تُحقِّقُ * عليهم البراءةَ من النصرانيّةِ كلِّها.

ب ٢٠٨ ظ

٤٠ وكانت لنا هذه بحقٍّ غايةً نَرُدُّ بها النصارى جميعاً[١٢٠] إلى السجودِ لِهذهِ الصُّوَرِ.

(١١١) س : رجالا، ب : رجل
(١١٢) س : أبدا
(١١٣) ب وآ : — كان
(١١٤) ب وس وآ : به
(١١٥) س : — هيأه
(١١٦) س : المؤمـــنين،
ب : للمؤمنين
(١١٧) س : كفا
(١١٨) س : لهولاى
(١١٩) س : لمخالفتهم
(١٢٠) س : وكانت هذه لنا نحن عاده نرد بها جميع النصارا

(الجزءُ الثّالث)

[البرهانُ الكتابيُّ]

[ا – دحضُ الاستناداتِ الكتابيّةِ ضدَّ إكرامِ الصُّوَر]

الرأسُ التاسع

[لَمْ يُحظِّرِ اللهُ السجودَ لغيرِهِ. المعاني المختلفة لكلمةِ سجود]

[العنوان]

١ محاورةٌ للبرّانيّينَ، واعتلالُهم بقولِ اللهِ ألاَّ تَصْنَعَ لكَ أشباهاً[١] ولا تسجدَ لها. وتحقيقُ أنَّ اللهَ ليست إرادتُهُ ألاَّ يُسجَدَ لغيرِه.

[المقدّمة]

س ٣٢٧ ج ٢ ولكن قد أَعلَمُ * أنَّ جميعَ أولادِ الكنيسةِ مشتاقونَ[٢] أن يَسمعوا محاورتَنا في ذلك مَنْ كانَ ميتاً لِمخالفتِهِ النصرانيَّةَ

٣ وُجِدَ[٣] من النصارى الذين لتقديمِهم[٤] السجودَ لصوَر

---

(١) س وب : أشباه
(٢) آ : + الى، ب : مشتاقين
(٣) س : واحد
(٤) س : نفد منهم، ب : تقدم منهم

القدّيسين[٥] قد حازوا[٦] الموتَ[٧].

آ ١٥ ٤ وينبغي أن * نفعلَ ذلك لنُقدِّمَ إلى إخوتِنا طُرْفَةً نسرُّهم بها، إن قَدِرْنا عليها بروحِ القُدُسِ.

٥ ولم ننظرْ في خطايانا، أو نُظهرْ[٨] حرصَنا على منفعتِهم، وإنْ منعَنا الفقرُ أن نَقضيَ شهوتَنا[٩]، فنحنُ نُباطِشُ[١٠] أولائك[١١] بعونِ اللهِ، ونقولُ لهم[١٢]:

[الاعتراضُ الكتابيُّ على السجودِ لِلصُّوَر]

٦ أَخبِرونا من أينَ[١٣] أنكرتُم علينا السجودَ لِصورةِ المسيحِ ربِّنا وصُوَرِ قدِّيسيهِ؟

٧ فهم يَقولونَ[١٤]: من قولِ اللهِ في التَّوراةِ[١٥]: «أنا الربُّ إلٰهُكَ الذي أخرجتُكَ من أرضِ مصرَ، بيتِ العُبوديَّةِ، لا يكنْ[١٦] لكَ آلِهَةٌ سواي. ولا تصنعنَّ لكَ وثناً[١٧] ولا شبهَ كلِّ ما في السَّماواتِ فوقُ، وما في الأرضِ أسفلُ، وما في الماءِ تحتَ * الأرضِ. لا تسجدْ[١٨] لها ولا تعبدْها، فإنّي أنا الربُّ إلٰهُكَ[١٩]».

ب ٢٠٩ جـ

(٥) آ : + من
(٦) س : جازوا، آ: حاوروا، ب: جاوزوا.
(٧) آ : الموتى
(٨) س : أن نبدي، آ: ونظهر
(٩) س : نهمتنا
(١٠) س : نطاطش
(١١) س : اوليك
(١٢) ب وآ : له
(١٣) س : منين
(١٤) ب : يقولوا
(١٥) س : + اول
(١٦) س : يكوننّ، ب: يكون
(١٧) س : اوثانا
(١٨) س : تسجدن
(١٩) خروج ٢٠/٢ – ٥

٨ ومن قولِ موسى في الناموسِ الثاني : «للربِّ(٢٠) إلٰهكَ تسجدْ ، وإيَّاهُ وحدَهُ تعبُد(٢١) » .

س ٣٢٧ ظ ٩ ومن أَنَّهُ لم يزلْ يَنْقُمُ في الأنبياءِ على بني إسرائيلَ ، لأَنَّهم كانوا * يَسجدونَ للأَوثانِ وللأَصنامِ .

[الردُّ على اليهودِ ، بالاستنادِ إلى العهدِ القديم]

[١ – أمثلةٌ من العهدِ القديمِ تظهر أنَّ أولياءَ اللهِ كانوا يسجدونَ لغيرِهم]

١٠ فنحنُ نقولُ لهم : حقًّا إنَّهُ قد أمرَ بما ذكرتم(٢٢) ، ولا يُعييكم أن تَجمعوا مثلَ هذهِ الشهاداتِ كثيرةً(٢٣) .

١١ فأَخبِرونا ، قولُهُ لا تسجدْ إنَّمَا أرادَ بهِ أن لا يكونَ(٢٤) غيرُهُ مسجوداً لهُ؟ ولكن(٢٥) إن قلتم هذا فقد صيَّرتم الآباءَ المُقدَّسينَ والأنبياءَ على خطإٍ.

١٢ فكيفَ نصنعُ بإبراهيمَ خليلِ اللهِ؟ إنَّهُ سجدَ لِبني حيثَ عندما(٢٦) طلبَ منهم أن يَبيعوهُ قبراً يدفنُ فيهِ سارة(٢٦') .

١٣ ويعقوبُ سجدَ لأخيهِ عيسو(٢٧) سبعَ مرارٍ(٢٨) على الأرض(٢٨) .

---

(٢٠) س : لرب

(٢١) تثنية ١٣/٦ .

(٢٢) س : قد امر بمَا ذكرتم حقا

(٢٣) س : كثيرا

(٢٤) آ : يشير خطأ الى أنّ ب : يهمل كلمة لا

(٢٥) س : ولاكن

(٢٦) س : حَيْثُ.

(٢٦') تكوين ٢٣/٧

(٢٧) س : لعيبسوا أخيه ،
ب : لأخيه عيسوا

(٢٨) ب وآ : مرارا.

١٤ وإخوةُ يوسفَ قد سجدوا ليوسفَ ⌝على وجوهِهم على الأرض (٢٨٣) ، وإسرائيلُ سجدَ ليوسفَ(٢٩) على طرفِ عصاهُ (٢٩٢) .

١٥ وابنا يوسفَ قد سجدا(٣٠) لإسرائيلَ جدِّهما على وجوهِهما على الأرض (٣٠٢) ، وموسى قد سجدَ لِختَنِهِ (٣٠٣) .

١٦ ولعلَّ قائلاً(٣١) يقولُ بأنَّ هذا السجودَ الذي ذكرتَ إنَّما كانَ قبلَ أن أمرَ اللهُ ألاَّ(٣٢) يُسجدَ لِغيرِهِ.

١٧ ونحنُ نقولُ : إنَّ سجودَ موسى لختنِهِ كانَ تقدَّمَهُ(٣٣) تعليمُ اللهِ إيّاهُ * الناموسَ ، حيثُ أمرَهُ بتحليةِ الماءِ المُرِّ بالعودِ. ب ٢٠٩ ظ

١٨ لأَنَّهُ هكذا هو مكتوبٌ في التوراةِ في مخرجِ * بني إسرائيل ، إنَّ موسى صرخَ إلى الربِّ فأراهُ(٣٤) * الربُّ عوداً ، فطرحَهُ في الماءِ ،فحلّى (٣٥) الماءَ هناكَ ، وصنعَ لهُ اللهُ الحقوقَ والأحكام (٣٥٢) . آ ١٦ / س ٣٢٨ جـ

١٩ ولكن (٢٥) نحن نسوقُكم إلى ما فعلَ بعدَ ما أمرَ اللهُ أن لا يُسجدَ لِغيرِهِ بزعمِكم (٣٦) .

---

(٢٨٢) تكوين ٣/٣٣.

(٢٨٣) تكوين ٦/٤٢

(٢٩) آ : – على وجوههم على الأرض واسرائيل سجد ليوسف.

(٢٩٢) تكوين ٣١/٤٧

س : على وجوههم على الأرض.

(٣٠) س وب : سجدوا.

(٣٠٢) تكوين ١٢/٤٨.

(٣٠٣) خروج ٧/١٨

(٣١) س وب : قائل

(٣٢) س : أن لا

(٣٣) س : بعد

(٣٤) س وب وآ : فاوراه

(٣٥) س : فاحلولى.

(٣٥٢) خروج ٢٥/١٥

(٣٦) آ : بزعمك.

٢٠ أُمُّ سليمانَ بن داودَ سجدت لِداود [٣٦٢] . أليسَ ناثانُ النبيُّ دخلَ على داودَ فخرَّ على وجهِهِ على الأرضِ وسجَدَ له؟ [٣٦٣] .

٢١ ويقولُ أيضاً في سفرِ الملوكِ إنَّ بَتشابَعَ [٣٧] بركَتْ على وجهِها على الأرضِ وسجدَتْ [٣٨] لِلملكِ.

٢٢ وأدونيا بنُ داودَ سجدَ لِسليمَان [٣٩] ، وحيثُ دخلَتْ أُمُّ سليمَانَ عليهِ [٤٠] لِتطلبَ [٤١] إليهِ في أدونيا قامَ الملكُ نحوَها فسجدَ لها [٤١٢] .

٢٣ وفي سِفْرِ النواقصِ يقولُ إنَّ داودَ الملكَ قالَ للكنيسةِ كلِّها [٤٢] : سبِّحوا للربِّ إلٰهِنا. فسبَّحَتْ جميعُ الكنيسةِ للربِّ إلٰهِ آبائِهم ، فركعوا على رُكَبِهم وسجدوا للربِّ وللمَلكِ [٤٣] .

٢٤ وبنو الأنبياءِ أليسَ قد سَجَدوا لأليشَعَ [٤٤] النبيِّ على الأرضِ؟ [٤٤٢] .

٢٥ هذا كلُّهُ يا يهوديُّ ، يُحَقِّقُ أنَّ اللهَ لو كانت إرادتُهُ أن لا يُسجَدَ

---

(٣٦٢) ١ ملوك (٣ ملوك) ١٦/١ ؛

(٣٦٣) ١ ملوك (٣ ملوك) ٢٣/١

(٣٧) ب : بشباع ، س : بتشبع

(٣٨) ب وآ : سجدت

(٣٩) ب وس وآ : لسليمن . ١ ملوك (٣ ملوك) ٥٣/١

(٤٠) س : على سليمن امه

(٤١) س وب وآ : أن تطلب ١ ملوك (٣ ملوك) ١٩/٢

(٤٢) س : – كلها

(٤٣) س : – وللملك . ١ أخبار الأيام ٢٠/٢٩

(٤٤) ب وآ : لليسع ؛

(٤٤٢) (٢ ملوك) ١٥/٢

لِغيرِهِ أصلاً ، قد كانَ هؤلاءِ(٤٥) الأنبياءُ كلُّهم(٤٦) على الخطإِ * ، وحاشا لِلهِ أن يكونَ(٤٧) كذلك. ب ٢١٠ جـ

[٢ – اللهُ نفسُهُ يُنبىءُ بالسجودِ لأجدادِ المسيحِ وللمسيحِ]

٢٦ وأنتَ أيضاً تجعلُ اللهَ ضدًّا لنفسِهِ ، إن أنزلتَ قولَهُ الذي ذكرنا أنَّهُ أوعزَ بهِ إلى بني إسرائيلَ على ظَنِّكَ.

٢٧ لأنَّ إسحٰقَ باركَ على يعقوبَ بالبُنُوَّةِ ، وقالَ له : يَسجُدُ * لكَ الرؤساءُ ، ويَسجُدُ لكَ بنو(٤٨) أبيكَ(٤٨') . س ٣٢٨ ظ

٢٨ فهذا(٤٩) القولُ يا يهوديُّ إن شئتَ على يعقوبَ نفسِهِ ، فخذْهُ(٥٠) ، وإن شئتَ على المسيحِ ، لا نُشاجِرُكَ(٥١) هاهنا.

٢٩ فكيفمَا أخذتَهُ لَعمري ، فهو مُبطِلٌ لرأيِكَ ، إذ تَظُنُّ أنَّ المسيحَ ليسَ هو إلٰهاً(٥٢) ، ولكن(٢٥) إنسانٌ صِرْفٌ(٥٣) .

٣٠ ويعقوبُ هكذا(٥٤) تنبّأَ على يهوذا وهو يعني المسيحَ ، وقالَ لهُ : إنه يَسجُدُ(٥٥) لكَ بنو أُسرتِكَ(٥٦) . وداودُ تنبّأَ على

(٤٥) س : هاولى
(٤٦) س : – كلهم
(٤٧) س : يكونوا
(٤٨) س : بني ، ب : بنوا ؛
(٤٨') تكوين ٢٧/٢٩
(٤٩) س : هذا
(٥٠) س : وخذه
(٥١) س : نشاجرنك
(٥٢) س وب : اله
(٥٣) ب وآ : انسانا صرفا
(٥٤) س : هاكذا
(٥٥) س : يسجدون
(٥٦) ب : بني اسرتك ،
س : بني اسرائيل ،
آ : بنو إسرائيـل ؛
تكوين ٨/٤٩

المسيحِ أنَّهُ يَسجُدُ[٥٧] لهُ جميعُ ملوكِ الأرض[٥٧٢] .

٣١ فأخبِرنا يا يهوديُّ ، إمّا أن تجعلَ المسيحَ إلٰهاً ، إذ قد استحقَّ السجودَ[٥٨] من جميعِ الناسِ * بأمرِ اللهِ ، فإذاً أنتَ قد صرتَ نصرانيًّا ،

آ ١٧

٣٢ وإمَّا أن تقولَ إنَّ المسيحَ إنسانٌ إذاً[٥٩] تُعَلِّمُ أنَّ اللهَ ليست إرادتُهُ أن لا يُسجَدَ لغيرِهِ .

[٣ – معنى السجودِ والنهيِ عن السجودِ في العهدِ القديم]

٣٣ بل إنَّمَا نهى[٦٠] عن السجودِ للأوثانِ[٦١] آلِهةِ الأُمَمِ إذ ذاك[٦٢] ، الذين كانوا شياطين ، كقولِ[٦٣] داودَ النبيّ : إنَّ جميعَ آلِهةِ الأُمَمِ شياطين[٦٣٢] .

٣٤ واعلمْ أنَّ السجودَ قد يكونُ على وجهِ العبادةِ وعلى غيرِ وجهِ العبادةِ * .

[ردٌّ على اعتراضاتِ المُسلمين بأمثلةٍ من كتابِهم]

٣٥ وغيرُكَ يا يهوديُّ مِمَّن يَقولُ إنَّهُ لا يَحِلُّ أن[٦٤] يُسجَدَ إلاَّ للهِ ،

---

(٥٧) ب و س : يسجدون ؛
(٥٧٢) مزمور ٧٢ (٧١)/١١
(٥٨) س : – السجود
(٥٩) س و ب : اذ
(٦٠) س : نها
(٦١) س : لأوثان
(٦٢) س : إذ ذلك
(٦٣) س : كمَا قال .
(٦٣٢) مزمور ٩٦ (٩٥) ٩/٣٣
(٦٤) س : – أن

ويتهزَّأُ بالنصارى (٦٥) في سجودِهم للصُّوَرِ والناس، ويزعمُ أنَّ السجودَ عبادة، ب ٢١٠ ظ

٣٦ قد يَذكرُ أَنَّ اللهَ أمرَ الملائكةَ كلَّهم أن يَسجُدوا (٦٦) لآدمَ، فسجدوا (٦٧) إلاَّ إبليسُ عصى، وكانَ من الكافرين (٦٧').

س ٣٢٩ جـ ٣٧ فإنْ كانَ السجودُ * عبادةً لا محالةَ كقولِكَ، فقد أمرَ اللهُ إذن (٦٨) الملائكةَ أن يَعبُدوا آدمَ، وحاشا لِلهِ أن يفعلَ ذلكَ.

٣٨ وإلاَّ فليعلمْ أنَّ السجودَ قد يكونُ على وجهِ الكرامةِ، وليكفَّ عن هزئِهِ بالنصارى (٦٩)، حيثُ يراهم يسجدونَ لأساقفتِهم.

٣٩ وليذكرْ أَنَّهُ يقولُ أيضاً (٧٠) إنَّ يعقوبَ وبنيهِ خرُّوا ليوسفَ سُجَّداً (٧٠'). فلا يَعيبَنَّ على من يفعلُ فعلَ الأَنبياءِ.

[خلاصة]:

٤٠ وهذا على اليهوديِّ وغيرِهِ يُثبتُ أنَّ اللهَ ليست (٧١) إرادتُهُ أن لا (٧٢) يُسجَدَ لغيرِهِ.

٤١ وإكليلُ (٧٣) النصرانيّةِ أنَّها، لا خلافاً لله، أذنَتْ لأهلِها بالسجودِ لغيرِ اللهِ.

---

(٦٥) س : بالنصارا
(٦٦) ب وس : يسجدون
(٦٧) س : – فسجدوا.
(٦٧') سورة البقرة ٣٤
(٦٨) س : – إذن
(٦٩) ب وآ : هزؤه عن النصارى، س : هزؤه عن النصارا
(٧٠) س : – أيضاً.
(٧٠') سورة يوسف ١٠٠
(٧١) ب وآ : ليس
(٧٢) س : – لا
(٧٣) س : وكلّلت

الرأسُ العاشِر

[لم يُحظِّرِ اللهُ صُنْعَ التماثيلِ والصُّوَرِ بشكلٍ مطلق]

[العنوان : تأكيدُ المبدإ]

١ إنَّ اللهَ ليست إرادتُهُ أن لا يَصنَعَ لهمُ المؤمنونَ[1] بهِ تماثيلَ وصوَراً. وتوبيخٌ للذين يقولونَ إنَّ مَن صوَّرَ شيئاً حيًّا كُلِّفَ يومَ القيامةِ أن يَنفُخَ الروحَ في صورتِهِ.

٢ وقولُ[2] اللهِ في الناموسِ لا تجعلْ لكَ شبهَ كلِّ ما[3] في السماءِ فوقُ، وما في الأرضِ أسفلُ، * وما في الأمياهِ تحتَ الأرضِ[4]، لم يُرِدْ[5] بهِ أن لا يُصنَعَ صُوَرُ شيءٍ في السماءِ أو في الأرضِ أو في الماءِ. ب ٢١١ ج

[اللهُ نفسُهُ أمرَ موسى أن يَصنَعَ قُبَّةَ الشهادةِ شبهَ ما رآهُ في الجَبَل]

س ٣٢٩ ظ **٣** ومن زعمَ[6] أنَّهُ إنَّما أرادَ ذلكَ * بهِ، فقد صيَّر اللهَ يَنقضُ[7] على نفسِهِ من ساعتِهِ، حيثُ أمرَ موسى أن يَصنَعَ قُبَّةَ الزمانِ، شِبهاً للمِثالِ الذي أراهُ في * الجبل. آ ١٨

---

(١) س وب : المؤمنين

(٢) ب وآ وس : وقال

(٣) ب وآ : كلّمَا

(٤) خروج ٢٠/٤

(٥) س : يريد

(٦) س : يزعم

(٧) ب وس : نقض

٤ وقالَ لهُ: تجعلُ لي مقدِساً فأُرى فيكم، وتصنَعُ[٨] مثلَ كلِّ ما أُريكَ[٩] في الجبل، شبهَ القُبَّةِ وشبهَ جميعِ آنيتِها، كذلك تصنعُ[١٠].

٥ وفي موضعٍ آخرَ قالَ لهُ: تصنَعُهُ كما رأيته في الجبلِ، كذلك تصنعُ[١١]. فهذه الأشياءُ أمرَ اللهُ أن تُصْنَعَ[١٢] كما قد تُرى.

[اللهُ نفسُهُ أمرَ موسى بصُنعِ الكروبينِ، ولها وجوهٌ وأعضاء]

٦ وإن أردتَ أن تعلمَ أنَّ اللهَ قد أمرَ أن تُصنعَ[١٣] وجوهٌ[١٤] وأعضاءٌ أخرى، فاسمَعْ أيَّ شيءٍ[١٥] يقولُ لِموسى[١٦].

٧ قالَ لهُ: وتجعلُ كروبَيْنِ من ذهبٍ مخروطَيْنِ، وتصنعُها من جانبَي الغفران[١٧].

٨ وبعدَ قليلٍ يقولُ: وليَمُدَّ[١٨] الكروبانِ[١٩] أجنحتَها من فوقُ، مظلّلَين بأجنحتِها على الغُفران. وليكن[٢٠] وجوهُها

(٨) س : + لي
(٩) س : ما أريت،
ب : كلمّا اوريك
(١٠) خروج ٢٥/٨ – ٩
(١١) خروج ٢٦/٣٠
(١٢) س : اصنع
(١٣) س : يصنع
(١٤) س : وجهوها، ب: وجوها
(١٥) س : ايش، ب: ايشي
(١٦) س : + النبي
(١٧) خروج ٢٥/١٨
(١٨) ب وآ : ولتمد
(١٩) س وب : الكروبين
(٢٠) ب وس : وليكون

مستقبِلاً أحدُهما الآخَر، على الغفرانِ لِتكنْ[٢١] وجوهُ الكروبَيْن[٢٢].

س ٣٣٠ جـ **٩** ألا ترى[٢٣] أنَّ اللهَ قد أمرَ موسى أن يَصنَعَ وجوهاً وأجنحةً وتمثالاً * كاملاً شبيهاً[٢٤] لِمَا رآهُ في الجَبَل؟

ب ٢١١ ظ **١٠** إذن قولُهُ لإسرائيلَ لا تصنعْ لكَ شبهَ * كلِّ ما[٣] في السماءِ وما في الأرضِ وفي الماءِ ليس يريدُ بهِ ألاَّ يصنعَ لهمُ المؤمنونَ[٢٥] بهِ أشباهاً وتماثيلَ بتَّةً،

١١ بل إنّمَا نَهاهم عن الأشباهِ التي كانوا يصنعونَها ويعبدونَها وتحيدُ بهم[٢٦] عن معرفةِ اللهِ وعبادتِه.

[أمثلةٌ أخرى من العهدِ القديمِ عن صُنعِ تماثيلَ لأشياءَ حيَّةٍ]

١٢ وسليمانُ[٢٧] بنُ داودَ، حيثُ بنى[٢٨] بأورشليمَ للهِ البيتَ الذي صارَ لهُ[٢٩] هناك، كما كانت لهُ قُبَّةُ الزمانِ في البريَّةِ، قد صنعَ[٣٠] كروبَيْنِ مثلَ هٰذَين، ويذكرُ في سِفْرِ النواقصِ أجنحتَهما ووجوهَهما[٣١] وأرجلَهما[٣١م].

(٢١) س : ليكن
(٢٢) خروج ٢٥/٢٠، ب: + مقابل الاخر (زيد بيد اخرى)
(٢٣) س : ترا
(٢٤) س : شبها
(٢٥) ب وس : المؤمنين
(٢٦) ب وآ : وتجتذبهم
(٢٧) ب وآ وس : سليمن
(٢٨) س وب : بنا
(٢٩) س : — له
(٣٠) س : + فيه
(٣١) س : ووجوهما.
(٣١م) ٢ أخبار الأيام ٣/١٠–١٣

١٣ واللهُ قد أمرَ (٣٢) موسى، فصنعَ حيّةً من نُحاس (٣٢ʼ).

١٤ وسليمانُ (٢٧) صوَّرَ في البيتِ نخلاً وسوسناً (٣٣)، وصنعَ فيهِ تماثيلَ أسدٍ وثيرانٍ. والبحرُ المسبوكُ (٣٤) من نحاسٍ، الذي جعلَهُ في ذلك البيتِ، إنّما أقامَهُ (٣٥) على اثنَي (٣٦) عشرَ ثوراً (٣٦ʼ).

١٥ وحزقيالُ أراهُ اللهُ، في صُنعِهِ (٣٧) البيتَ، أن يصنعَ في حيطانِهِ من داخلٍ وخارجٍ كروبينَ مخروطةً، ونخلاً، وللكروبِ وجهانِ (٣٨)، وجهُ إنسانٍ (٣٩) * ووجهُ أسدٍ (٤٠). والبيتُ مخروطٌ (٤١) * أجمع من كلِّ ناحيّةٍ من قاعِهِ (٤٢) إلى سقفِهِ كروبينَ ونخلاً (٤٣).

س ٣٣٠ ظ

آ ١٩

ب ٢١٢ ج

١٦ فهذه (٤٤) كلُّها أشباهٌ وتماثيلُ ما في السماءِ وما في الأرضِ. فأينَ

---

(٣٢) س : قدم.

(٣٢ʼ) عدد ٢١/٨-٩

(٣٣) س : وشوشنا

(٣٤) س : المبسوط، ب يكرر: البحر المسبوك

(٣٥) ب وآ : في ذلك البيت جعله وأقامه

(٣٦) س وب : اثنا.

(٣٦ʼ) ١ ملوك (٣ملوك) ٢٩/٦ و ٢٣/٧-٢٥

(٣٧) آ : صنعة

(٣٨) ب : وجها،

س : - وجهان

(٣٩) ب : - وجه انسان

(٤٠) س : + ووجه ثور ووجه عقاب

(٤١) آ : مخروطا

(٤٢) آ : قاعته

(٤٣) حزقيال ١٨/٤١-٢٠، س: + وجه ثور ووجه عقاب.

لم يميّز ناسخ س هذه الرؤية لهيكل المستقبل ورؤية مطلع حزقيال كما ورد في حزقيال ١/١٠، في وصفه الحيوانات الأربعة.

(٤٤) س : وهذه

الذين * يقولونَ إنَّ من صوَّرَ تمثالَ(٤٥) شيءٍ حيٍّ(٤٦) كُـلِّفَ أن ينفخَ ⌝فيهِ الروحَ(٤٧) يوم القيامة ،⌝ في صُوَرِ تماثيلِه(٤٨) .

١٧ أترونَ سليمانَ(٢٧) وموسى يُكلَّفانِ أن يَنفخا الروحَ(٤٩) في هذه التماثيلِ التي صَنَعا(٥٠) . لقد أرادَ اللهُ بهما إذن شرًّا ، حيثُ تركَهُما أن يَصنعاها . وحاشا لِلهِ أن يُريدَ⌝ بأوليائِهِ شرًّا .(٥١) .

[لِمَ الذينَ يُنكِرونَ علينا تصويرَ الأشياءِ الحَيَّةِ ، يُصوِّرونَ الشَّجرَ؟]

١٨ والعجبُ من قائلي(٥٢) هذا القولِ أَنَّهم هم(٥٣) يُصَوِّرونَ الشَّجَرَ ، ولا يعلمونَ أَنَّهُ إنْ كانَ مُصَوِّرو(٥٤) الأحياءِ يُكلَّفونَ أن يَنفُخوا أرواحاً في ما صَوَّروا ، كُـلِّفُوا هم أن يَـنْفُسُوا(٥٥) صُوَرَهم ويَجعَلوها ناميةً(٥٦) مُثمِرةً . وكِلا الأمرَيْنِ في القُدرةِ عِندَ الناسِ واحدٌ .

س ٣٣١ جـ ١٩ وقد وجبَ على هؤلاءِ أن يُعَذَّبوا لتصويرِهم * الشَّجَرَ ،⌝ إذ لا(٥٧) يقدرونَ أن يجعلوا تلكَ الصُّوَرَ على ما قد ذكرنا . وقضيَّـتُهم على أنفسِهم نافذةٌ ، لا علينا .

---

(٤٥) س : ثمال
(٤٦) س : – حيّ
(٤٧) س : الروح فيه
(٤٨) آ : – في صور تماثيله ،
س : في صورة تماثيله
(٤٩) س : ينفخان
(٥٠) س : صنعها
(٥١) س : شرّا بأوليائه
(٥٢) ب وس : قائل
(٥٣) آ : – هم
(٥٤) س : مصوّر
(٥٥) ب وآ : ينقشوا
(٥٦) س : نايمه
(٥٧) س : ولا

٢٠ وقد كانَ ينبغي لهم بقَدْرِ فهمِهم أن يَعلَموا أنَّهم في تصويرِهم الشجرَ مُخالِفونَ لقولِ اللهِ في الناموس : لا تصنعْ لكَ شبهَ كلِّ ما في السماءِ وما في الأرضِ وما في الأمياهِ تحتَ الأرض.

٢١ لأنَّ اللهَ لم يقلْ[٥٨] : لا تصنعْ لكَ شبهَ شيءٍ حيّ، بل عمَّ الأشياءَ[٥٩] كلَّها من أشباهِ الحيِّ وغيرِه[٦٠] .

٢٢ وهم يَعيبُون على غيرِهم ما يصنعونَ[٦١] مثلَهُ وهم لا[٦٢] يَحِسُّون. *

[الخلاصة]

٢٣ وهٰذانِ الأمرانِ قد بيَّنَّاهُما[٦٣] ، أَنَّ اللهَ حيثُ قالَ لإسرائيلَ لا تصنعْ لكَ شبهَ كلِّ ما[٣] في السماءِ وما في الأرضِ وما في الأمياهِ تحتَ الأرض ، لا تسجدْ لها ولا تعبدْها[٦٤] ، لم ظ ٢١٢ ب

(٥٨) س وب : يقول
(٥٩) س : الأشباه
(٦٠) ب وآ : – الحيّ وغيره.
(٦١) س : فلِمَ تعيبوا على غيركم ما يصنعوا
(٦٢) س : ولا
(٦٣) س : وهذان الامران قد ثبتا ، ب : وهذين الأمرين قد بينا
(٦٤) س : تسجدن لها ولا تعبدنها ، خروج ٢٠/٤–٥

تكنْ(٦٥) إرادتُهُ أن لا يَجعلَ المؤمنونَ(٦٦) صُوَراً وتماثيلَ، (٦٧) وأن لا يُسجدَ لِغيرِهِ.

٢٤ وقد افتضَحَ الذين يتهزّأُونَ(٦٨) بالنصارى لتصويرِهم في كنائسِهم المسيحَ والقدّيسينَ، وسجودِهم للناسِ.

(٦٥) س : يكن

(٦٦) س وب : المؤمنين

(٦٧) س : تماثيلا

(٦٨) ب : الذين يتهزّون، س : المستهزيون

[ب. تبريرُ السجودِ للصُّوَر]

الرأسُ الحادي عشَر

[السجودُ للصُّوَر هو سُجودُ الكرامةِ ويذهبُ للجِهةِ المقصودة]

[العنوان]

س ٣٣١ ب * **١** حدُّ السُّجودِ، وأنَّهُ ينبغي أن يُسجَدَ قُدَّامَ الصُّوَرِ ومماسَّتُها بالسَّجدةِ، وأنَّ اللهَ إنَّما كانَ * يتراءى [١] للأنبياءِ بالأشباهِ.

آ ٢٠

[السؤال: كيفَ نُجيزُ السجودَ للصُّوَر]

٢ ولكن [٢] قد يقولُ قائلٌ: يا هٰذا، قد حسَّنْتَ تصويرَ [٣] الصُّوَرِ في الكنائسِ، والسجودَ للناس. فأخبرْنا كيف تُحَسِّنُ السجودَ لهذه الصُّوَر؟

---

(١) ب وس : يترايا، آيشير خطأ في الحاشية الى انه يرد في ب : يقرايا.

(٢) س : ولاكن

(٣) ب : التصوّر

[الجواب المبدأي : السجودُ للصُّوَرِ على وجهِ الكرامةِ لا العبادة ، وإكرامُها يذهبُ لا للألواحِ ، بل لِما تمثّلُهُ]

٣ فنحنُ نقولُ لهُ : إنَّ السجودَ قد تَحقّقَ أنَّهُ على وجهِ العِبادة وعلى غيرِ وجهِ العِبادة. وأحدُ وجوهِ[٤] السجدةِ التي تكونُ على غيرِ العبادةِ هو وجهُ الكرامة.

٤ ثم نسألُه[٥] : أخبرْنا : السجودُ إنّمَا تجعلُهُ للشيءِ الذي تقعُ الركبتانِ عليهِ والجبهةُ[٦] ، أم لِما تريدُهُ النيّةُ بوقوعِ الركبتَيْنِ والجبهةِ وبالإنحناء؟

ب ٢١٣ جـ

٥ فإن قالَ : إنّ السجودَ إنّمَا هو لِمَا تماسُّهُ الركبتانِ * والجبهةُ أو لِمَا شاكلَ ذلك مِمَّا تُماسُّهُ رُكبتا[٧] الساجدِ وجبهتُه[٨] إذا ركع ، ولأدنى ما[٩] يَستقبلُه[١٠] إليهِ إذا انحنى[١١] ساجداً من حائطٍ[١٢] أو غيرِهِ ،

٦ فقضيّتُهُ[١٣] نافذةٌ على نفسِهِ لا علينا ، وحسبُهُ ذلك[١٤] من

---

(٤) ب : وحد وجوه ، آ: وحد وجه

(٥) س : ونسله

(٦) س : يقع الركبتان والجبهه عليه

(٧) ب وس : ركبتان

(٨) س : جبهته

(٩) س وب : ولأنّنا ما. وحرّف نص ب بيد أخرى واصبح : والأدنى ممّا

(١٠) آ : يستقبل

(١١) س : انحنا

(١٢) س : حيط

(١٣) س وب وآ : **وقضيته**

(١٤) آ : – ذلك. (كلمة ذلك زيدت في ب بيد أخرى وقرأها خطأ ، آ: رأى. ولذا اسقطها من نصّه

س ٣٣٢ جـ المذمَّةِ، أن قد جعَلَ نفسَهُ لم يزلْ ساجداً * لِمَا ذكرنا ولا يَزال.

٧ وهذا أسمجُ رأيٍ إعتقدَهُ أحدٌ في السُّجودِ، وأخلقُ بصاحبِهِ أن يكونَ بهيمةً.

٨ فلا بُدَّ للسجودِ من أن يكونَ لِمَا تُريدُهُ النيَّةُ بِثَنْيِ الرُّكبتَيْنِ ووقوعِ الجبهةِ والموضعِ المُستقْبَلِ.

٩ فإذا كانَ هذا هكذا، فليعلمِ السائلُ(١٥) أنَّ يعقوبَ قد سجدَ على طرفِ عصا يوسفَ، يُريدُ بذلك إكرامَ يوسف.

١٠ وموسى قد كانَ يَسجدُ بينَ يدَي التابوتِ التي كانَ عليها الغُفران بينَ الكروبَيْنِ، لأنَّ اللهَ قالَ لهُ: إنّي من فوقِ الغُفرانِ الذي على تابوتِ الشهادةِ، من(١٦) بينِ الكروبَيْنِ، أُعرفُ لكَ، فأُوصيكَ إلى بني إسرائيل(١٧).

١١ فكما أنَّ موسى [إذْ] كانَ يَسجدُ بينَ يدَيْ وجوهٍ مُصوَّرَةٍ مخروطةٍ وأجنحةٍ وأشياءَ صنعَتْها أيادي الناس، * إنَّما(١٨) تُنسبُ سجدتُهُ إلى ما كانَ يُريدُ بها، لا إلى تلكَ الصورةِ والصُّنعةِ * التي أمامَهُ، (آ ٢١ / ب ٢١٣ ظ)

١٢ فكذلك(١٩) ونحنُ النصارى، إذا سجدنا * بينَ يدَيْ صورةِ(٢٠) المسيحِ والقدّيسينَ إنّما(٢١) سجدتُنا ليسَ (س ٣٣٢ ظ)

---

(١٥) س : السايل
(١٦) س : – من
(١٧) خروج ٢٥/٢٢
(١٨) آ : وانما
(١٩) س : كذلك
(٢٠) آ : صور
(٢١) س : لا إنّما سجدتنا

لِتلك الدفوفِ والألوانِ، بل إنَّمَا(٢٢) للمسيحِ، المستوجبِ السجودَ لهُ(٢٣) في كلِّ نحوٍ، والقدّيسين المستوجِبيهِ على(٢٤) وجهِ الكرامة.

[أمثلةٌ من العهدِ القديمِ على أنَّ القدّيسينَ يتّجهونَ بالسجودِ للهِ إلى الموضعِ الذي يُعرَفُ منهُ، وإنْ كانَ اللهُ في كلِّ مكانٍ. ولذا لا مانعَ من أن نتّجِهَ بالصلاةِ نحو الصُّوَرِ]

١٣ ويشوعُ بنُ نون، حيثُ انهزمَ بنو إسرائيلَ بينَ يدَيْ أعدائِهم وهم(٢٥) بعدُ عندَ(٢٦) أريحا، شقَّ ثيابَهُ، وخرَّ(٢٧) على الأرضِ على وجهِهِ، قدّامَ تابوتِ الربِّ حتّى(٢٨) المساءِ، هو ومشيخَةُ(٢٩) إسرائيل (٢/٢٩).

١٤ وابتهلَ(٣٠) من(٣١) هناكَ إلى الرَّبِّ. وإنَّمَا أخَذَ بشبهِ موسى حيثُ فعلَ ذلك، بقولِ اللهِ(٣٢) لِموسى: إنّي من هناكَ أُعْرَفُ لكَ.

١٥ وهذه سُنَّةُ القدِّيسينَ كلِّهم، أن يَسجُدوا تُجاهَ الموضعِ الذي منه يُعرَفُ للناس، وهم لا يشكونَ أنَّهُ في كلِّ موضعٍ.

---

(٢٢) س : — إنّما
(٢٣) س : — له
(٢٤) س : وللقديسين المستوجبون كلّ
(٢٥) آ : يشير خطأ إلى أنّ ب أهمل الواو
(٢٦) آ : عن، مع الاشارة في الحاشية إلى أنّه يرد في ب : عند
(٢٧) س : فخرّ
(٢٨) س : حتا
(٢٩) س : + بني.
(٢/٢٩) يشوع ٧/٦
(٣٠) ب وآ : فابتهل
(٣١) ب وآ : — من
(٣٢) ب وآ : + كان

١٦ كقولِ (٣٣) داود : إنّي أسجدُ إلى هيكلِكَ المقدّسِ بتقواكَ (٣٤).
وقالَ أيضاً : أنا رفعتُ يديَّ إلى هيكلِكَ المقدَّسِ (٣٥).
وقالَ: أُسجُدوا بنا في الموضعِ الذي وقفَتْ فيهِ (٣٦)
رجلاهُ (٣٦٢).

١٧ ودانيالُ (٣٧) حيثُ كان ببابِلَ ، إنَّما كانَ فتحَ في غرفتِهِ كوى (٣٨)
ب ٢١٤ جـ نحوَ أُرشليم ، لِيَسْجُدَ مقابِلَ أُورشليمَ * (٣٧٢).

س ٣٣٣ جـ ١٨ ذلكَ لأَنَّهُ * كانَ سَمِعَ في المزاميرِ أنَّ اللهَ اصطفى (٣٩) صِهيونَ
وأحبَّها أنْ تكونَ لهُ مسكِناً. وقالَ : هذه مُستَقَرّي (٤٠) إلى
الدهر ، ها هنا أسكنُ لأَنّي أحببتُها (٤٠٢).

١٩ ألا ترى أنَّ القِدّيسينَ إنَّما يسجدونَ للهِ تُجاهَ الموضعِ الذي يُعرَفُ

---

(٣٣) س : كما قال
(٣٤) س : القدّيس. مزمور ٥/٨
(٣٥) س : – وقال أيضاً أنا رفعت يديّ إلى هيكلك المقدّس.
مزمور ٢٨ (٢٧)/٢
(٣٦) س : حيث قامتا ، ب وآ: الذي وقفتا.
(٣٦٢) مزمور ١٣٢ (١٣١)/٧
(٣٧) س : ب وآ: ودانيل.
(٣٧٢) دانيال ٦/٥
(٣٨) س : كوا
(٣٩) س وب : اصطفا
(٤٠) س : مسرّتي.
(٤٠٢) مزمور ١٣٢ (١٣١)/١٣–١٤
(٤١) س : بنو
(٤٢) ب وآ : خيمة
(٤٣) س : خارج

عسكرِهم، كان إذا خرجَ من العسكرِ إلى خيمتِهِ، يقومُ جميعُهُم فينظرونَ إليهِ، كلٌّ واحدٍ من بابِ خيمتِهِ، حتى[٢٨] يدخلَ إلى خيمتِهِ.

٢١ وكانَ إذا دخلَ موسى خيمتَهُ ينزلُ عَمُودُ سحابةٍ، فيقفُ[٤٤] ببابِ الخيمةِ، فيكلِّمُهُ اللهُ من ثَمَّ.

آ ٢٢ — ٢٢ وكانَ كلٌّ * الشعبِ يرى[٤٥] عَمودَ السحابةِ واقفاً[٤٦] ⌝ على بابِ[٤٧] الخيمة. ويقومونَ، كلُّ الشعبِ، ويسجدونَ كلٌّ واحدٍ من بابِ خيمتِهِ[٤٧²].

٢٣ ألا ترى[٤٨] أنَّ اللهَ، لأنَّهُ يُكلِّمُ موسى من عَمودِ السحابة، إنَّما كانَ يَسجُدُ بنو[٤٩] إسرائيلَ تُجاهَ * العَمودِ للهِ. — س ٣٣٣ ظ

٢٤ وكانَ لا يَخفى[٥٠] على عُقَلائِهم أنَّ اللهَ ليسَ محدوداً في ذلك العمودِ، وكانت سجدتُهم مقبولةً منهم على نحوِ عَمَدِ[٥١] نيَّتِهم.

ب ٢١٤ ظ — ٢٥ فكيفَ لا يُقبَلُ من النصارى * استقبالُهم صورةَ المسيحِ وقدّيسيهِ، كلٌّ واحدٍ على الوجهِ الذي يستحِقُّهُ؟

---

(٤٤) س : فتقف
(٤٥) س : يرا
(٤٦) س وب : واقفة
(٤٧) س : بباب.
(٤٧²) : خروج ٣٣/٧-١٠

(٤٨) س : ترا
(٤٩) س وب : بني
(٥٠) س وب : يخفا
(٥١) س : أعمد

[لا مانعَ من مُماسَّةِ الصُّوَرِ بالسجدةِ ، لأنَّ الإكرامَ يذهبُ إلى المقصودِ لا إلى الممسوس]

٢٦ وإنْ قالَ أحدٌ : إنَّ النصارى لا يقتصرونَ (٥٢) على السجودِ قُدَّامَ هذه الصُّوَرِ حتّى (٢٨) يُماسوها بسجدتِهم .

٢٧ فليذكرْ (٥٣) ما قد أخبَرْنا (٥٤) قديماً من سجودِ يعقوبَ على طرفِ عصا يوسفَ ، ومُماسَّتِهِ إيّاها بسجدتِهِ ، أنَّهُ إنَّما يُحْمَلُ ذلكَ منهُ على ما أرادَ من إكرامِ يوسف .

٢٨ وليذكرْ أيضاً ما قد ذكرنا من أنَّ كلَّ ساجدٍ للهِ ، إنَّما يُماسُّ بركبتِهِ أرضاً أو بساطاً ، وإنَّما تُحْمَلُ سجدتُهُ على ما يَنوي للهِ من السجودِ .

٢٩ كذلك والنصارى إنَّما تُحمَلُ مُماسَّتُهم هذه الصُّوَرَ (٥٥) بسجودِهم على ما يُريدونَ بذلك من إكرامِ المسيحِ إلٰهِهم وقدِّيسيهِ والأنبياءِ والسَّلِيحيِّينَ والشهداءِ وغيرِهم .

[مَثَلُ حزقيالَ الذي سجدَ لِشبهِ اللهِ الذي تراءى لهُ . وهذه الرؤيةُ هي شبهُ اللهِ ، وليس جوهرَهُ] .

س ٣٣٤ جـ **٣٠** وليسَ هؤلاءِ الذين ذكرنا * فقط كانوا يَسجدونَ نحوَ صُوَرٍ لها وجوهٌ ، ولكنْ (٢) حزقيالُ (٥٦) حيثُ رأى (٥٧) مركبةَ النارِ ، زعمَ أنَّ فيها وجهَ إنسانٍ ووجهَ أسدٍ ووجهَ ثورٍ ووجهَ

---

(٥٢) س : يكتفون
(٥٣) ب : فيذكر
(٥٤) ب : خبرناه به
(٥٥) ب : الصورة
(٥٦) س : + النبي
(٥٧) س : را

عُقابٍ ، وفوقَ هذا شبهُ كرسيٍّ ، وفوقَ الكرسيِّ كمنظرِ الإنسانِ .

ب ٢١٥ جـ **٣١** ثمَّ قالَ حِزقيالُ(٥٨) : هذه رؤيةُ شبهِ تسبحةِ الربِّ * ، فرأيتُ وخررتُ على وجهي(٥٩) . وردَّدَ(٦٠) ذلك مراراً في كتابِهِ .

٣٢ ألا ترى(٤٨) أنَّ حزقيالَ نبيَّ اللهِ خرَّ ساجداً قدّامَ شبهِ تسبحةِ اللهِ ، وفيهِ هذه الوجوهُ المختلفةُ .

٣٣ إذاً لا يُنكرُ للنصارى(٦١) أن يَسجُدوا لصورةِ المسيحِ وقدّيسيهِ ،

آ ٢٣ ⌐وهم يُريدونَ(٦٢) بذلك ما كانت * تُريدُ الأنبياءُ بسجودِهم قدّامَ الصُّوَرِ والأشباهِ .

٣٤ ولا يطعنَنَّ(٦٣) أحدٌ ، فيظنَّ أنَّ حِزقيالَ كانَ يرى أنَّ(٦٤) ذلك الشبهَ الذي رأى(٥٧) هو الحقيقةُ من جوهرِ اللهِ ، فلذلك كان يَخُرُّ بينَ يدَيْهِ على وجهِهِ .

٣٥ وإلاَّ جعلَ آلهةً مختلفينَ ، أو جعلَ لهم إلٰهاً واحداً يتحوَّلُ في ذاتِهِ من حالٍ إلى حالٍ .

س ٣٣٤ ظ **٣٦** لأنَّ دانيالَ(٦٥) قد أبصرَ اللهَ على غيرِ هذا المنظرِ . وأَشْعْيا(٦٦) * أيضاً . بل كانَ يَعلَمُ حزقيالُ أنَّ ما قد رأى هو شبهٌ كما سمّاهُ .

---

(٥٨) س : أحزيا
(٥٩) حزقيال ١/١٠ و ٢٨
(٦٠) س : ورددت
(٦١) آ : النصارى
(٦٢) س : ويريدون
(٦٣) س : يطغين
(٦٤) س : — ان
(٦٥) س وب وآ : دانيل
(٦٦) ب وآ : وأشعياء

٣٧ فحاشا للأنبياءِ القدّيسينَ أن يكونَ رأيُهم في اللهِ ما قد ذكرنا.

[مَثَلُ إكرامِ داوودَ وغيرِهِ من الأنبياءِ لتابوتِ العهد]

٣٨ وداودُ النبيُّ زَفَنَ بينَ يَدَيْ تابوتِ اللهِ، حيثُ نقلَها إلى السُّرادقِ الذي هيّأ لها. وبنو لاوي(٦٧) أقامَهم داودُ بين يدَيْها يُسبِّحونَ ويزمِّرون(٦٨) بذواتِ الغِناء(٢٦٨).

ب ٢١٥ ظ **٣٩** وما كانَ داودُ وغيرُهُ من الأنبياءِ يُكرِمونَ هذه التابوتَ * بالسجودِ قدّامَها والزفنِ والتسبيحِ إلاّ وهم يُكرِمونَ شيئاً باطناً يتوهّمونَهُ في عقولِهم، كانت هذه التابوتُ صورتَهُ.

٤٠ كما أخبرنا بدئياً أنّ اللهَ قالَ لموسى أن يجعلَها من أجزاءِ(٦٩) سُرادقِ الشهادةِ شبهاً(٧٠) لِلمثالِ الذي أراهُ(٧١) في الجبل.

[الخُلاصة: لا يُنكَرُ على النصارى إكرامُ الصُّوَرِ وهم يَقصِدونَ المسيحَ والقدّيسين]

٤١ إذاً لا يُنكَرُ(٧٢) للنصارى(٦١) أن يتوهَّموا في عقولِهم المسيحَ وقدّيسيهِ، فيُكرمونَهم بصُوَرِهم، كما كانَ(٧٣) الأنبياءُ

---

(٦٧) س : وبني لوى،
ب : وبني لاوى
(٦٨) ب وس : يسبحوا ويزمروا.
(٢٦٨) ٢ صموئيل (٢ ملوك) ٦/١٤-١٥
(٦٩) س : وعدها من آخر
(٧٠) س : بها
(٧١) ب وآ : أوراه
(٧٢) س : ينكرن
(٧٣) س وب : كانوا

يُكرِمونَ[٧٤] المِثالَ[٧٥] بصورتِهِ الظاهرةِ للعين[٧٦].

٤٢ ولِيُعلَمْ[٧٧] أنَّ اللهَ إنَّمَا يتراءى للأنبياءِ بالأشباهِ، لا بحقيقةِ الجوهر. إسمعْهُ[٧٨] يقولُ لِموسى: إنّهُ ليسَ يَراني إنسانٌ فيَحيا[٧٩].

س ٣٣٥ جـ ٤٣ واسمعْ أشَعْيا * يقولُ: إنّي رأيتُ المَلِكَ ربَّ الصَّباوتِ[٨٠] بعينيَّ[٨١]. واسمعْ أيضاً اللهَ يقولُ في هوشَعَ النبيِّ: إنّي كلَّمتُ الأنبياءَ، وكثَّرتُ[٨٢] المناظرَ، وبيدِ الأنبياءِ تشبَّهتُ[٨٣].

٤٤ إذاً حيثُ سجدَ حزقيالُ للهِ الذي كانَ جالساً[٨٤] على الكرسيِّ[٨٥] فوق المركبةِ بشبهِ إنسانٍ، إنَّمَا سجدَ لِشِبهِ، كما قلنا[٨٦]، والشِّبهُ صورةٌ.

---

(٧٤) ب : يكرموا
(٧٥) س : + المفعول
(٧٦) آ : العين
(٧٧) س : والعلم
(٧٨) آ : واسمعه
(٧٩) خروج ٢٠/٣٣،
(٨٠) ب وآ : الصباوت الرب،
س : الرب الصباوت
(٨١) اشعيا ٥/٦
(٨٢) س : وأكثرت
(٨٣) هوشع ١٣/١٢
(٨٤) ب وآ : الجالس كان
(٨٥) س : الكروبين
(٨٦) س : — كما قلنا.

الرأس الثّاني عشر

[ردٌّ على اعتراضٍ : إنَّ الصُّورَ المقدَّسَةَ ليست متَّصِلَةً باللهِ كالأشكالِ التي ظهرَ من خلالِها]

[العنوان]

١ ردٌّ على الذينَ يقولونَ إنَّ الصُّورَ التي يَسجُدُ[1] لها النصارى ليست * موصولةً بما هي صورتُهُ ، كما كانَ الشَّبَهُ الذي رآهُ حِزقيالُ موصولاً * باللهِ ،

آ ٢٤

ب ٢١٦ جـ

٢ وإنَّ الأسماءَ والصُّورَ سواءٌ في الدلالة ، ومهما[2] صُنِعَ بالأَسماءِ والصُّورِ من هوانٍ أو كرامةٍ فهو واصلٌ إلى ما[3] تلك الصُّور والأسماءُ دليلةٌ[4] عليه.

[نصُّ الاعتراض]

٣ وإنْ قالَ أحدٌ : إنَّ الصُّورَ التي يَسجُدُ لها النصارى ليست موصولةً[5] بما هي[6] صورتُهُ كهذهِ الأشباهِ التي ذكرتَ أنَّ اللهَ تراءى[7] للأنبياءِ بها

---

(١) س : يسجدون

(٢) ب : ومتاما

(٣) ب وس : – ما

(٤) آ : دليل

(٥) ب : – موصولة

(٦) ب وس : هو

(٧) س وب : ترايا

[أمثلةٌ من صُوَرٍ ورموزٍ من العهدِ القديم ، كانت تُكرَّمُ وإنْ غيرَ متَّصلةٍ طبيعيًّا بما تُشيرُ إليهِ – تابوتُ العهد] .

٤ فليعلمْ أنَّ تابوتَ قُدسِ الربِّ وغيرَها من آلةِ سُرادقِ الشهادةِ لم[٨] تكن موصولةً بما كانت صورَهُ وأشباهَهُ * ، وقد كانت تُكرَمُ الكرامةَ التي لا أشرفَ منها كما قد بيَّنَّا. س ٣٣٥ ب

[أسماء بني إسرائيل المنقوشةُ على ثيابِ هرون تُذكِّرُ اللهَ ببني إسرائيل]

٥ وإنْ أردتَ أن تعلمَ أنَّ اللهَ قد جعلَ أشباهاً غيرَ موصولةٍ يَصِلُ ما يُصنَعُ بها إلى ما هي أشباهُهُ وصُوَرُهُ[٩] ، فاسمعْ ما يقولُ لِموسى :

٦ وتأخُذُ حَجَرَينِ زُمُرُّداً[١٠] ، فانقشْ عليها أسماءَ بني إسرائيلَ ، ستَّةً على الحجرِ الواحدِ ، وستَّةً على الحجرِ الثاني ، على حسبِ ترتيبِ أسمائِهم ، عملَ[١١] صنعةِ الحِجارة[١٢] ، خَرْطِ الطوابعِ تخُرطُ الحَجَرَينِ على أسماءِ بني إسرائيل.

٧ وتضعُ[١٣] الحَجَرَينِ على كَتِفَي الساجِ ، من ها هنا حجرٌ ومن ها هنا حجرٌ ، تذكرةً لِبني إسرائيل. فيحملُ هرونُ أسماءَ بني إسرائيلَ قدّامَ الربِّ على كتفَيْهِ تذكرةً * في شأنِهم[١٤] . ب ٢١٦ ظ

٨ وبعدَ قليلٍ يقولُ اللهُ لموسى : وتجعلُ رداءَ القضايا عملاً مُلوَّناً على

---

(٨) ب : ولم
(٩) س : صورته
(١٠) س : زمريد ، ب : زمرد
(١١) ب : اعمل
(١٢) آ : الحجار
(١٣) ب : ويصنع ، س : وتصنع
(١٤) خروج ٢٨/٩–١٢

صنعةِ الساجِ مربَّعاً مثنيًّا[١٥] ، وتبسطُ أربعةَ أسطرِ حجارةٍ ، وتُسَمَّي حجارةَ[١٦] كلِّ سطرٍ[١٧] بأسمائِهم[١٨] .

٩ ويقولُ حينئذٍ : ولتكنِ[١٩] الحجارةُ من أسماءِ بني إسرائيلَ اثنيْ[٢٠] عشرَ كأسمائِهم لاثنيْ[٢١] عشرَ قبائلِهم[٢٢] .

١٠ ثُمَّ يقولُ : فيحمِلُ[٢٣] هٰرونُ أسماءَ بني إسرائيلَ على رداءِ القضايا

س ٣٣٦ جـ

* على صدرِهِ إذا دخلَ إلى القُدسِ بينَ يدَي الربّ[٢٤] .

آ ٢٥

١١ وبعدَ قليلٍ يقولُ : وليكنْ على صدرِ هٰرونَ * إذا دخلَ في القدسِ بينَ يدَي الربِّ ، فيُدخِلُ قضايا بني إسرائيلَ على صدرِهِ قدّامَ الربِّ أبداً[٢٥] .

١٢ ألا ترى[٢٦] الربَّ العليمَ بالأشياءِ كلِّها قبلَ كونِها[٢٧] قد أرادَ بانحطاطِهِ أن تكونَ[٢٨] أسماءُ بني إسرائيلَ تذكرةً بينَ يدَيْهِ .

١٣ كأَنَّ بني إسرائيلَ ، بنظرِهِ إلى أسمائِهم ، وقوفٌ[٢٩] بينَ يدَيْهِ ، يبتهلونَ إليهِ ، فيعطفُ عليهم برحمتِهِ . وهذه الأسماءُ لم تكنْ موصولةً ببني إسرائيل .

---

(١٥) س وب : مبينا
(١٦) آ : حجرة
(١٧) س : صطر
(١٨) س وب : بأسمائها
(١٩) س : وليكن
(٢٠) س وب : اثنا
(٢١) س وب : الاثنا
(٢٢) خروج ٢٨/١٥ – ٢١

(٢٣) س : فحمل
(٢٤) خروج ٢٨/٢٩
(٢٥) خروج ٢٨/٣٠
(٢٦) س : ترا
(٢٧) س : ان كوّنها
(٢٨) س : – أن تكون ، ب وآ : أن يكون
(٢٩) ب : وفوقا ، س : وقوفا

[... وكذلكَ الصُّوَرُ تُذكِّرُنا بالمسيحِ والقِدّيسين]

١٤ فكيفَ يُلامُ النصارى أن يُصوِّروا وجهَ المسيحِ في تَنقُّلِ تدبيرِهِ، ووجوهَ القِدّيسينَ في أشكالِ أفعالِهم؟

ب ٢١٧ ج ١٥ تذكرةٌ تُحرِّكُهم * إلى إحداثِ الشُّكرِ للمسيحِ بما تجشَّمَ في شأنِ خلاصِهم، وإلى الاقتداءِ بالقدّيسينَ في ما لَقَوا[٣٠] في حبِّهِ.

١٦ وكأنَّهم يَنظرونَ إلى أولائِكَ بنظرِهم إلى صُوَرِهم، وإنْ كانت الصُّوَرُ ليست موصولةً.

[الصُّوَرُ أبلغُ من الأسماءِ والكتابةِ في الدلالةِ إلى ما تُشيرُ إليهِ]

١٧ وإنْ قالَ قائلٌ: إنَّ الأسماءَ ليست كالصُّوَرِ[٣١]، فهو إنَّما يقولُ هذا لجهلِهِ بالأُمورِ.

س ٣٣٦ ظ ١٨ حيثُ لا يَعلَمُ أنَّ الأسماءَ المكتوبةَ * أشباهٌ وأصنامٌ للألفاظِ، والألفاظَ أشباهٌ للأوهامِ، والأوهامَ أشباهٌ للأشياءِ، كما تقولُ الفلسفة[٣٢].

١٩ فهل الصُّوَرُ إلاَّ كتابٌ بَيِّنٌ يفهمُهُ من يقرأُ ومن لا يقرأُ؟ فلذلك هي أفضلُ من الكتابِ في وجهٍ.

٢٠ لأنَّ الكتابَ والصُّوَرَ هما تذكرةٌ للأشياءِ التي تَدُلُّ عليها، والصُّورُ في التذكيرِ أبلغُ من الكتابِ، لإفهامِها مَن لا يقرأُ، ولأنَّها أثبتُ إفهاماً من الكتابِ.

---

(٣٠) ب : لقيوا

(٣١) س وب : كالصورة

(٣٢) آ : الفلاسفة

[إن كانَ إكرامُ أو إهانةُ الاسمِ المكتوبِ يعودُ إلى الشخصِ ، فكذلك بالأحرى إكرامُ أو إهانةُ الصُّورةِ]

٢١ والعجبُ من غَلَطِ اليهودِ وغيرِهم في عيبِهم على النصارى إكرامَهم صُوَرَ القدّيسينَ وإنْ كانت غيرَ موصولةٍ بالقِدّيسينَ ، حيثُ لا يأبهونَ لِمَا يَصنعونَ [٣٣] مثلَ ما [٣٤] يَعِيْبونَهُ على النصارى من ذلك.

٢٢ والا فليخبرْنا [٣٥] اليهوديُّ وغيرُهُ ممَّن يَدّعي الإيمانَ ، لو أنَّ رجلاً كتبَ في * قِرطاس اسمَ إبرٰهيمَ خليلِ اللهِ ، وإسحٰقَ ويعقوبَ وموسى وداود ، أنبياءِ اللهِ ، ثُمَّ أخذَ هذا القِرطاسَ مَن هو عدوٌّ [٣٦] لهؤلاءِ [٣٧] الأنبياءِ المُقدَّسينَ ، فبصَقَ [٣٨] فيهِ وداسَهُ وطفَسَهُ [٣٩] معاداةً لهؤلاءِ [٣٧] الأنبياءِ ،

ب ٢١٧ ظ

٢٣ ألم يكن فاعلُ هذا * مستحقًّا عندَهم القتلَ [٤٠] ، كأنَّهُ [٤١] فعلَهُ بهؤلاءِ * [٤٢] الأنبياءِ بأعيانِهم؟ هذا ما لا شكَّ فيهِ.

آ ٢٦
س ٣٣٧ جـ

٢٤ وهذه الأسماءُ ، معلومٌ هو أنَّها غيرُ موصولةٍ بهؤلاءِ [٤٢] الأنبياء.

٢٥ وبِحسَبِ هذا يُكرمونَ [٤٣] ، إن عقَلوا ، مَن قبَّلَ هذا القِرطاسَ ووضَعَهُ على عينيهِ وطيَّبَهُ.

---

(٣٣) ب : يصنعوا
(٣٤) ب وآ : الذي
(٣٥) س : فيخبرنا
(٣٦) ب وس : عدوا
(٣٧) س وب : لهاولى
(٣٨) س : فبزق
(٣٩) س : وطمسه
(٤٠) س : للقتل
(٤١) س : لكانه
(٤٢) س وب : بهاولى
(٤٣) ب : يكرموا

٢٦ فإذا كانتِ الصُّوَرُ هي أفضلُ من الكتاب ، كما أوضحنا ، فهي أولى [٤٤] بذلك من الأسماءِ .

[الخُلاصة : سجودُ النصارى لِصُوَرِ القدّيسين هو إكرامٌ للقِدّيسين أنفسِهِم]

٢٧ إذن النصارى في سجودِهم لِصُوَرِ القِدّيسينَ ، لا على وجهِ العبادةِ بل على وجهِ الكرامةِ المستأهلِها القِدّيسون [٤٥] من جميعِ المؤمنين ، إنَّمَا يسجدون للقدّيسين بأعيانِهم .

٢٨ وهذا كفى به [٤٦] مُحسّناً سجودَ النصارى لِصُوَرِ القِدّيسين .

---

(٤٤) س : اولا
(٤٥) س وب : القديسين
(٤٦) س : كفاية

الرأسُ الثّالِث عَشَر

[توضيحٌ لِمَا جاءَ في الفصلِ السابق]

[العنوان]

١ شهادةٌ من الأنبياءِ أنَّ الصُّورَ عدلُ الكتاب، وأنَّ ما[١] يُصنَعُ بالصُّوَرِ والأسماءِ[٢] يَصِلُ إلى ما تلك الأسماءُ والصُّوَرُ لَهُ.

[إستشهادٌ من نُبوءةِ أشَعْيا]

ب ٢١٨ جـ **٢** إنْ أردتَ * أن تعلمَ من قولِ اللهِ أنَّ الصُّوَرَ عدلُ الكتابِ[٣] في التذكير، إسمعْهُ كيفَ يقولُ في أشَعْيا النبيِّ.

س ٣٣٧ ظ **٣** «قالت صِهيونُ: رفضَني الربُّ، والربُّ قد نَسِيَني *. ألعلَّ المرأةَ[٤] تنسى[٥] صبيَّها؟ ألا[٦] ترحمُ ولدَ بطنِها؟ ولكن وإنْ نسيَتِ المرأةُ[٤] هذا فإنّي أنا لا أنساكِ، يقولُ الربّ.

٤ قد صوَّرتُ على يديَّ حيطانَكِ، وأنتِ قدّامي أبداً، وعاجلاً تُبنَيْنَ[٧] من الذين هدموكِ، ومُخرِّبوكِ[٨] يَخرُجُون منكِ[٩]».

---

(١) س : وانما
(٢) س : بالاسماء، والصور
(٣) س : يصل إلى ما
(٤) س وب وآ: المرة
(٥) س : تنسا
(٦) ب : والا، س: وان لا
(٧) ب : يتبيّن
(٨) ب : محزنيك
(٩) اشعيا ٤٩/١٤–١٧

٥ ألا ترى [١٠] أنَّهُ كما أنَّ أسماءَ بني إسرائيلَ المنقوشةَ في الحجارةِ ، كانت تُذكِّرُ بهم الربَّ أن يرحمَهم ، كذلكَ صورةُ صِهيونَ التي [١١] صوَّرَها الربُّ على يَدَيهِ ، ذَكَّرَتْهُ صهيونَ أن يرحمَها ويُعيدَ إليها عُمرانَها ، وكأنَّ إنَّمَا يَنظرُ إلى صهيونَ بصورتِها .

٦ إذن نِعِمَّا قُلنا : إنَّ النصارى [١٢] إذا سجدوا لِصُوَرِ القِدّيسينَ ، إنَّمَا يسجدونَ للقِدّيسين بأعيانِهم .

٧ كما [١٣] أنَّ مَنْ أهانَ أو أكرمَ أسماءَ الأنبياءِ المكتوبةَ في القِرطاسِ ، إنَّمَا يُهينُ أو يُكرِمُ الأنبياءَ بأعيانِهم .

٨ وكما أنَّ المُهينَ لهذهِ * الأسماءِ مستوجبُ القتلَ بالعدلِ ، كذلك مَنْ * أهانَ مِن النصارى صُوَرَ القِدِّيسين ، فقد استوجبَ القتلَ الرُّوحانيَّ [١٤] ، ومَنْ أكرمَها فهو مستحقٌّ حياةَ * الأبدِ لا مَحالة .

س ٢١٨ ظ

آ ٢٧

س ٣٣٨ جـ

[استشهادٌ من نبوءةِ حِزقيال]

٩ وإنْ أردتَ أيضاً أن تعلمَ من قولِ اللهِ أنَّ الصورةَ [١٥] والكتابَ سواءٌ ، وأنَّ ما يُصنَعُ بالصورةِ والكتابِ يَصِلُ إلى [١٦] ما

---

(١٠) س : ترا
(١١) ب : الذي
(١٢) س : النصارا
(١٣) س : وكما
(١٤) س : الرواني
(١٥) س : الصور
(١٦) ب : — إلى

يَدُلاَّنِ عليهِ في هذا النحوِ الذي ذكرناهُ بدئيًّا [١٧] ، فاسمعِ اللهَ يقولُ لِحزقيالَ النبيِّ :

١٠ «أَنتَ أَيُّها الإنسانُ ، خُذْ لكَ لِبنَةً فتضعُها قدّامَكَ ، وترسمُ عليها مدينةَ أُورشليم [١٨] ، وتُحدِقُ بها ، وتَبني بها قلاقمَ ، وتحفِرُ خندقاً [١٩] ، وتُنزِلُ عليها عساكر ، وتَنصبُ المرامي [٢٠] حولَها .

١١ وخُذْ لكَ طيجناً من حديدٍ ، فتجعلُهُ حائطاً [٢١] من حديدٍ بينك وبينَ المدينةِ ، وهيّئ [٢٢] عليها [٢٣] وجهَك ، لِتكُنْ [٢٤] في حصارٍ ، واحبِسْها [٢٥] . هذه آيةٌ لبني إسرائيل [٢٦] » .

١٢ ألا ترى [١٠] أنَّ النبيَّ صوَّرَ المدينةَ بين يدَيْهِ على نحوِ ما قالَ اللهُ لهُ . وكلُّ ما صُنِعَ بصورتِها وَصَلَ إليها وصُنِعَ بها مثلُهُ . وهذا في الصورةِ [٢٧] .

[استشهادٌ من نُبوءةِ إرميا]

١٣ فأَمَّا الكتابُ فإنَّهُ [٢٨] عَدْلُ الصورةِ هذا الوجهِ ، وإنَّهُ يَصِلُ ما

(١٧) س : ذكرنا بدينا

(١٨) ب : اروسليم ، س : اروسلم

(١٩) س : حردقا

(٢٠) ب وآ : الرامي .

(٢١) آ : واعمله حائطا ، ب : وحايط ، س : فتجعله حيط

(٢٢) س : وهبى . آ يشير خطأ في الحاشية الى انه يرد في ب : وهبى

(٢٣) ب : + مثال

(٢٤) س : ولتكن

(٢٥) س : واحسبها

(٢٦) حزقيال ٤/١–٣

(٢٧) س : الصور

(٢٨) س : إنه

ب ٢١٩ جـ يُصنَعُ بهِ إلى ما يَدُلُّ عليهِ، كما وَصَلَ ما صُنِعَ * بهذه الصورةِ إلى ما كانت صورتَهُ.

١٤ فإنَّهُ مكتوبٌ في إرميا النبيّ: «هكذا الكلمةُ التي أَمرَ اللهُ إرميا النبيَّ أن يقولَ لِسرايا[٢٩] بن نيريةَ[٣٠] بن مَعسِيةَ، حيثُ * بعثَهُ صادَقيا، ملكُ يهوذا، إلى بابلَ بالهدايا في السنةِ الرابعةِ من مُلكِهِ»[٣١]. س ٣٣٨ ظ

١٥ فكتبَ إرميا كلَّ[٣٢] البلايا التي تأتي على بابلَ في كتابٍ وَحَّدَ[٣٣] جميعَ هذا الكلامِ المكتوبِ على بابلَ، وقالَ لِسرايا:

١٦ إذا أتيتَ بابلَ، فاقرأْ هذا ˹الكتابَ وهذا[٣٤] الكلامَ، وقُلْ[٣٥]: إيْ[٣٦] ربِّ، أنتَ قلتَ على هذا المكانِ أنَّكَ تستأصِلُهُ ولا يكونُ فيهِ ساكنٌ من الناسِ والبهائمِ[٣٧]، وأن يكونَ دامراً * إلى الدهر. آ ٢٨

١٧ فإذا فرغتَ من قراءةِ هذا الكتابِ، فاربطْ به[٣٨] حجراً واطرحْهُ

---

(٢٩) س وب : سوريا
(٣٠) ب وس : بيوبه
(٣١) س : سنة ملكه الرابعه، ب: سنه الرابعه من ملكه
(٣٢) س : على
(٣٣) س وآ : واحد
(٣٤) س : – الكتاب وهذا
(٣٥) ب : وقول
(٣٦) س : – إي
(٣٧) س : ولا من البهائم
(٣٨) ب وآ : فيه

في وسطِ الفُراتِ ، وتقولُ (٣٩) : هكذا تَغْرَقُ بابلُ في البلايا التي حلَّتْ عليها ، قالَ الربُّ» (٤٠) .

١٨ فهما (٤١) صُنِعَ بهذا الكتابِ وصلَ إلى بابلَ وصُنِعَ بها مثلُه ، كما وصلَ إلى أُورشليمَ ما صَنَعَ النبيُّ بصورتِها .

(٣٩) س : وقل
(٤٠) ارميا ٥١/٥٩-٦٤
(٤١) ب وآ : فكما

الرأسُ الرابعَ عشَر

[شفاعةُ القدّيسينَ ووساطتُهم]

[العنوان]

١ إنَّ من سجدَ لِصورةِ قدّيسٍ أنهضَ القدّيسَ إلى الصلاةِ للّهِ عنهُ. وإنَّ القِدّيسينَ وسطاءُ بينَ اللهِ والناسِ، يُرضونَهُ عنِ الناس * في حياتِهم وموتِهم.

ب ٢١٩ ظ

[حقيقةُ شفاعةِ القِدّيسينَ ومغزاها]

٢ هذا تحقيقُ أنَّ[١] النصارى إذا سجدوا * لِصُوَرِ[٢] القِدّيسينَ، وهم ينوون بذلك إكرامَ القِدّيسين، إنّمَا يَصِلُ سجودُ كرامتِهم إلى القِدّيسينَ بأعيانِهم.

س ٣٣٩ جـ

٣ ومَنْ أكرمَ القِدّيسينَ استوجبَ من إلهِ القِدّيسينَ أعظمَ المكافأةِ لا محالةَ، وصارَ القِدّيسونَ[٣] وكلاءَهُ ببابِ الله، يَرفعونَ دعواتِهِ ويُشَدِّدُونها ويتنجّزونَها لهُ من ربِّهم.

٤ لأَنَّ اللهَ بِطيبهِ[٤] قد جعلَ القِدّيسينَ وسطاءَ بينَهُ وبينَ

---

(١) آ : + الناس

(٢) ب : لصورة، س: للصور

(٣) ب وس : القديسين

(٤) س : بطلبتهم

عِبادِهِ(٥) ، إكراماً للقِدّيسين ، وترغيباً لِغيرِهم في أن يَحظَوا عندَهُ حُظوةَ(٦) أولائك(٧) .

٥ فهو قد يَغضَبُ على العِباد ، ويأبى الرِّضى عنهم ، حتَّى يَطلُبَ إليهِ القِدّيسونَ(٣) .

[شهاداتٌ من العهدِ القديمِ على وساطةِ أوليائِهِ وشفاعتِهم : موسى ، إبرٰهيم ، إيليّا]

٦ وشهاداتُ هذا كثيرةٌ . فمن لا يعلمُ أنَّ اللهَ غَضِبَ على بني إسرائيل حيثُ عبدوا العِجلَ وأرادَ استئصالَهم . فطلعَ موسى إليهِ ، حتى أصرفَهُ عن غضبِهِ وأرضاهُ عنهم . وقالَ اللهُ : إنّي إنَّما رضيتُ عنهم لكَ(٨) .

٧ ومَن لا يَعلمُ أنَّ اللهَ إنَّما ذكرَ لإبرٰهيمَ أمرَ سَدومَ ، متعرِّضاً(٩) لهُ أن يطلبَ إليهِ فيهم ،(١٠) فتكونَ(١١) المِنَّةُ لإبرٰهيمَ على أهلِها(١٢) .

ب ٢٢٠ ج
س ٣٣٩ ظ

٨ وإيلياسُ النبيُّ * ، أليسَ قد سلَّطَهُ اللهُ على إغلاقِ السماءِ وفتحِها وكأنَّهُ تخلّى(١٣) لهُ عن(١٤) تدبيرِه(١٥) ، وفوَّضَهُ اللهُ(١٦)

---

(٥) س : العباد
(٦) ب وآ : حظ
(٧) س : اوليك
(٨) خروج ٣٢/٣٠ ، ٣٣/١٧
(٩) آ : معرضا
(١٠) س : فيها
(١١) ب : افتكون
(١٢) تكوين ١٨/١٧–٣٣
(١٣) س وب : تخلا
(١٤) ب وس وآ : من
(١٥) ١ ملوك (٣ ملوك) ١٧/١
(١٦) آ : – الله

إليهِ؟ ولم ينتقضْ على نبيِّهِ الطاهرِ قولَهُ، بل أمضى[١٧] له عزيمتَه، وصارَ الناسُ يطلبون لا إيّاهُ، ولكن نبيَّهُ، تباركَ جلالُهُ.

آ ٢٩ **٩** فقد عدا كرمُهُ * الأوهامَ. إنَّهُ يحبسُ رحمتَهُ عن العِباد حتى يستنبطَها أحبَّاؤُه منهُ لهم. كأَنَّهُ يُوجِبُ لِمُحبِّيهِ من الحَمْدِ في المِثْلِ[١٨]، مثلَمَا يوجبُ لنفسِه وأكثرَ.

[شهاداتٌ من العهدِ القديمِ على شفاعةِ القدّيسينَ حتى بعدَ مماتِهم]

١٠ وليسَ في حياةِ مُحبِّيهِ يفعلُ ذلك بهم فقط، ولكن بعدَ وفاتِهم، مستديماً لهم الكرامةَ من الناسِ إلى[١٩] أن يتوصَّلوا[٢٠] إليهِ بهم.

١١ فكم من مرةٍ ذَكَرَ في كتبِهِ، أنَّهُ صنعَ الخيرَ ⌝من أجلِ[٢١] إبرٰهيمَ وإسحٰقَ ويعقوبَ بعدَ وفاتِهم[٢١']. وكم شُفِعَ ⌝بعدَ هؤلاءِ[٢٢] بهم عندَهُ.

١٢ وكم خلَّصَ بيتَ المقدسِ⌝ من أجلِ[٢١] داودَ بعدَ موتِ داود[٢٢']؟ هذا معروفٌ عندَ من يقرأُ الكتابَ.

---

(١٧) س وب : ايضا

(١٨) آ : — في المثل

(١٩) س : — الى

(٢٠) س : يتوسلوا

(٢١) ب : منجل، س : في شأن.

(٢١') دانيال ٣/٣٥

(٢٢) س : بعدها هاولى،
ب : بعد هاولى.

(٢٢') ١ ملوك (٣ ملوك) ٣٤/١١...

[الخلاصة : فوائدُ إكرامِ القِدّيسين]

١٣ إذاً الرِّبحُ العظيمُ بِيَدِ النصارى عندما يَسجدونَ(٢٣) لِصُوَرِ القِدّيسينَ، إذ كانَ ذلك يَصِلُ إلى القِدّيسين.

١٤ فلعَمري إنّهُ ما من أحدٍ يمشي إلى صورةِ قدّيسٍ فيسجدُ(٢٤) بينَ * يدَيْها * إلاّ أنهضَ القدّيسَ الذي الصورةُ لهُ، إلى الصلاةِ(٢٥) عنهُ.

س ٣٤٠ جـ
ب ٢٢٠ ظ

١٥ ولا يُبالي الساجدُ أن(٢٦) لا يتكلّفَ الكلامَ الكثيرَ مع سجدتِه. فالقدّيسُ، لَعَمري، أعلمُ بما يُصلِحُه منهُ.

١٦ وهذه(٢٧) نعمةٌ عظيمةٌ ينالُها الساجدُ صافيةً. فمن لا يَحرَصُ عليها؟

[مثالُ ما يجري لدى المُلوك الأرضيّين]

١٧ وبعدَ اللهِ لا نريدُ أن نأتيَ بالمَثَلِ من الملوكِ الأرضيِّين.

١٨ كيفَ من كان مُكرِماً لأصحابِهِ(٢٨) وحُجّابِهِ(٢٩) ووزرائِهِ وأهلِ الأثَرةِ عندَهُ يَجعلُ أولائك(٣٠) لهُ وكلاءَ ببابِ المَلكِ، يتنجّزونَ لهُ منهُ حوائجَهُ في مغيبِهِ ومشهدِهِ.

---

(٢٣) س : في سجودهم
(٢٤) ب : فسجد
(٢٥) س : الصلوة
(٢٦) س : – أن
(٢٧) آ : وهذا
(٢٨) س : لصاحب احدهم
(٢٩) س : – وحجّابه
(٣٠) س وب : اوليك

الرأسُ الخامِسَ عشَر

[لوحا الناموسِ كُرِّمَا لأَنَّهما صورةُ تجسُّدِ المسيح]

[العنوان]

١ إنَّ لوحَي الناموسِ أُكرِما [١] أعظمَ الكرامةِ لِخَطِّ [٢] الربِّ الذي وَقعَ فيهما ، وإِنَّهما صورةٌ لتجسُّدِ كلمةِ اللهِ .

[كيف أنَّ لوحَي الناموسِ يرمزانِ إلى المسيح]

٢ ولكن كيفَ تنسى الصُّورَةَ العُظمى [٣] المشهورة : لوحَي الناموسِ اللذين وُضِعا في تابوتِ الربِّ ، المصوَّرةَ فيهما العشرُ كلماتٍ التي كلَّمَ اللهُ بها بني إسرائيل ، بإصبَعِ الربّ .

آ ٣٠ — ٣ أفهل هذا إلاَّ صورةُ كلمةِ * اللهِ العنصريَّةِ التي تجسَّدَتْ من روحِ القُدُسِ ومن مريمَ العذراءِ [٤] في آخرِ الزمان * ؟

س ٣٤٠ ظ

٤ وإنَّمَا مُثِّلَتْ كلمةُ اللهِ العُنصريَّةُ بالعشرِ [٥] كلماتٍ ، لأَنَّ كلمةَ اللهِ * تامَّةٌ قنوميَّةٌ ، وعددُ العشرةِ هو التمامُ بينَ العددِ كلِّه .

ب ٢٢١ جـ

---

(١) س : اكرمها

(٢) س : بخط

(٣) س : العظما

(٤) ب : العذرى

(٥) س : بعشر، ب : بعشره

٥ لأَنَّ العددَ يبدأُ من واحدٍ ويطلعُ(٦) حتى يبلغَ العشرةَ ، ثم يرجعُ إلى واحدٍ، ويدورُ على(٦ مكرّر) نفسِهِ أبداً .

٦ وإصبعُ اللهِ معلومٌ أَنَّها روحُ القُدُسِ ، كما قالَ في الإنجيلِ المسيحُ ربُّنا : « إنّي بإصبعِ اللهِ أُخرِجُ الشياطينَ »(٧) . وأوضحَ ذلكَ الأونجلِسطُسُ الآخَرُ وقالَ في هذا الموضع ، حكايةً لقولِ المسيح : «إنّي بروحِ اللهِ أُخرِجُ الشياطين»(٨) .

٧ وتابوتُ الربِّ هي مريمُ التي سكنَتْها كلمةُ اللهِ متجسِّدةً ، التي أُلِّهَتْ فلم تُشَوِّشْها(٩) الخطيئةُ ، كما أنَّ التابوتَ كانت من عودٍ غيرِ مشوَّشٍ(١٠) ، مغشّاةً بالذهبِ من داخلٍ وخارجٍ .

[إثباتٌ من الكتابِ على أنَّ ما نَفَّذَهُ موسى هو صورةٌ لمِثالٍ أعلى رآهُ في الجبلِ ، ولذا كان يُكرَّمُ]

٨ وليسَ هذا موضعٌ(١١) ينبغي أن نُلَخِّصَ(١٢) دلالاتِ هذه الصُّوَرِ ونرفعَها إلى مثالاتِها التي منها استُقِيَتْ(١٣) .

٩ ولكنَّ(١٤) اليهودَ يَظُنّونَ(١٥) ما نذكرُ من هذهِ الآياتِ هذياناً لِغِلَظِهِم ، ولا يعلمونَ(١٦) ، ويحَهم ، أَنَّهُ إذ قد تحقَّقَ على

---

(٦) ب وآ : يطلع .
(٦ مكرّر) آ : إلى
(٧) لوقا ١١/٢٠
(٨) متى ١٢/٢٨
(٩) س : يسوسها
(١٠) س : مسوس
(١١) آ : بموضع

(١٢) س : نلحق
(١٣) آ : استيقنت ،
ب : استيقنت ،
(١٤) س : ولاكن
(١٥) آ : + أن
(١٦) آ وب : يعملون

س ٣٤١ جـ
ب ٢٢١ظ

تلك * الأشياءِ أنَّها صورةٌ لِغيرِها ، كما قالَ اللهُ لموسى أنِ اْصنعْ كلَّ شيءٍ شبهَ المِثالِ الذي أريتُك[١٧] في الجبلِ * ، فلها[١٨] دلالاتٌ ومعانٍ[١٩] لا محالةَ.

١٠ وليست تُرفَعُ إلى معنىً أفضلَ من تدبيرِ المسيحِ الذي هو غايةُ الرجاءِ عندَهم[٢٠] ، وعندَنا ، وعليهِ شُرِحَتِ النُّبُوَّةُ كلُّها ودَلَّتْ في جميعِ أنحائِها.

١١ لأنَّ[٢١] الأمرَ كما ذكرنا من أنَّ الكلامَ المُصوَّرَ في اللوحَينِ إنَّما كانَ صورةً لِتجسُّدِ المسيحِ ،[٢٢] كلمةِ اللهِ الأزليّة.

آ ٣١

١٢ لذلكَ كانَ الأنبياءُ يَخُرُّونَ[٢٣] سُجَّداً بين يدَيْه ، وقدّامَهُ كانَ يسجدُ اللاويّونَ ،[٢٤] وعليهِ كانت تَعبُرُ[٢٥] * سحابةُ كرامةِ[٢٦] الربِّ.

[قولُ داودَ : قُمْ يا ربُّ إلى راحتِك ، أنتَ وتابوتُ قدسِكَ ، ينطبقُ على المسيحِ وأُمِّهِ]

١٣ ولذلك قالَ داودُ : «قُمْ يا ربُّ إلى مُستراحِك ، أنتَ وتابوتُ

---

(١٧) س : رايتك ، ب وآ : اوريتك
(١٨) س : فللصور (وهو تأويل خاطئ)
(١٩) س وب وآ : ومعاني
(٢٠) س : عندكم
(٢١) آ : ولأن
(٢٢) س : لصورة تجسد (– المسيح)
(٢٣) ب : يخروا ،
(٢٤) ب وآ : كانوا يسجدون اللويون ، س : وكانوا يسجدون اللوايين
(٢٥) س : تعمر
(٢٦) س : –كرامة

قُدسِكَ»[٢٧] . أفترى يا يهوديُّ التابوتَ التي كانت من عودٍ، كانَ بها نهوضٌ حينَ يستنهِضُها؟

١٤ لا ، ولكن[١٤] هذا دلالةٌ على قولِ الملاكِ[٢٨] ليوسفَ في بيتَ لحم أنْ قُمْ[٢٩] ، وخُذِ الصبيَّ وأُمَّهُ، واهربْ إلى مصرَ ، فإنَّ هرودِسَ سيطلبُهُ[٣٠] ليقتُلَهُ[٣١] .

١٥ فنهضَ كلمةُ اللهِ المتجسِّدُ، هو وتابوتُ قدسِهِ ، التي هي مريمُ * ، وهربَ من بغيِ اليهودِ عليهِ والتماسِهم قتلَهُ إلى مصرَ مُستَراحِهِ. س ٣٤١ ظ

١٦ وإنَّ داودَ قد ذكرَ بيتَ لحمَ في هذا الموضِعِ في قولِهِ : إنَّا سمعناها في أَفراثا[٣٢] .

١٧ وهذا قولُ أشعيا النبيِّ : إنَّ الربَّ راكبٌ على * سحابةٍ خفيفةٍ يَدخُلُ مصرَ[٣٣] . ب ٢٢٢ جـ

[أمثلةٌ من الكتابِ على أشياءَ جامدةٍ ترمزُ إلى أمورٍ روحيَّةٍ]

١٨ وإن إمتريتَ أنَّ هذه الأشياءَ الغير متنفِّسَةٍ صورةٌ لأشياءَ حيَّةٍ ، فكيفَ تَصنعُ بيشوعَ بن نون؟ إنَّهُ أخذَ حجراً عظيماً فأقامَهُ تحتَ البطمةِ قدّامَ الربِّ وقالَ لِبني إسرائيل :

١٩ «هذا يكونُ لكم لِلشَّهادةِ ، لأنَّهُ هو سمعَ كلَّ شيءٍ قيلَ لكمُ اليومَ

---

(٢٧) مزمور ١٣١ (١٣٢)/٨
(٢٨) س : الملك
(٢٩) ب : قوم
(٣٠) ب وآ : سا يطلبه
(٣١) متى ١٣/٢
(٣٢) مزمور ١٣١ (١٣٢)/٦
(٣٣) اشعيا ١/١٩

من الربِّ، وهو يكونُ لكم للشهادةِ في آخرِ الأيّامِ إذا كذبتم بالربِّ إلٰهكم»[٣٤].

٢٠ أفترى[٣٥] الحجرَ، يا يهوديُّ، سمعَ كلامَ الربِّ، وهو شهدَ[٣٦] لهُ في آخرِ الأيّامِ على بني إسرائيلَ؟

٢١ إنَّ هذا الجنونُ الصرفُ، إن لم يكنْ صورةً يُعنى بهِ غيرُهُ[٣٧]، حيٌّ[٣٨] سامعٌ شاهدٌ.

٢٢ إذاً الأمرُ كما قُلنا في الكلامِ الذي صُوِّرَ على اللوحَيْنِ إنَّهُ صورةٌ لتجسُّدِ كلمةِ اللهِ الأزليَّةِ.

[الخُلاصة]

٢٣ أفهلِ الكتابُ إلاَّ صورةٌ للكلمةِ المسموعةِ، وهذه[٣٩] صورةٌ للكلمةِ الناطقةِ العنصريَّةِ، كما قد[٤٠] * ذكرنا بدئاً؟ س ٣٤٢ ج

٢٤ واليهوديُّ لا يُعجَبُ منهُ حيثُ لا يفهمُ هذه الأمورَ لأنَّهُ غليظٌ أحمقُ، كما شهدت عليهِ النبوَّةُ، والعماءُ مستحكمٌ على قلبِهِ.

٢٥ كما قالَ مار[٤١] بولس: إنَّهُ حتَّى اليومَ، إذا قُرِئتِ الوصيَّةُ العتيقةُ، فالغلظُ شاملٌ على قلوبِهم[٤٢].

---

(٣٤) يشوع ٢٤/٢٦-٢٧
(٣٥) س : فترا
(٣٦) س : شاهد
(٣٧) آ : بها غيرها
(٣٨) س : حيا
(٣٩) س وب وآ : فهذه
(٤٠) س : - قد
(٤١) س وب وآ : ماري
(٤٢) ٢ كورنثس ٣/١٤-١٦

ب ٢٢٢ ظ **٢٦** ولكنَّ[١٤] العَجَبَ من مجانينِ * النصارى ، الحائدينَ عن
آ ٣٢ تقريبِ السجودِ لصورةِ المسيحِ[٤٣] وصُورِ القِدّيسينَ * ،
أنَّهم لا يَشكُّونَ أنَّ هذه الصورةَ التي أثبتناها من العتيقةِ على
ما قد تأوّلناها ،

٢٧ ويرونَ[٤٤] الصورةَ[٤٥] العتيقةَ بلغَتْ هذه الغايةَ في الكرامةِ ،
ويَفُرُّونَ هم من إكرامِ الصُّورِ المقدَّسةِ.

---

(٤٣) س : للمسيح
(٤٤) س : + أن
(٤٥) آ : + من

الرأس السادس عشر

[المعجزاتُ دلالةٌ على عملِ اللهِ وظهورِهِ من خلالِ القدّيسين]

[العُنوان والملخَّص]

١ إنَّ اللهَ لِغلظِ الأوَّلينَ، إنّما يُحِلُّ أسرارَهُ[١] عندَهم بما كان يُري[٢] أعينَهم من الأعاجيبِ فيها.

٢ وإنَّ النصارى لا يحتاجونَ إلى مثلِ ذلك، مع أنَّ اللهَ لا يزالُ، في حالِ[٣] البرّانيّينَ وسَفَلَةِ النصارى، يُظهِرُ الأعاجيبَ في أسرارِ النصرانيَّةِ، وفي شِدَّةِ وَصْلِهِ الصُّوَرَ بما هي صورةٌ لهُ.

[ظهورُ جلالِ الربِّ الحِسِّيُّ على رموزِ العهدِ القديمِ كان لِضعفِ إيمانِ اليهود]

س ٣٤٢ ظ ٣ وإنْ قالَ هؤلاءِ[٤] * النصارى: إنَّ الألواحَ ظهرت كرامتُها من اللهِ، حيثُ كانت تنزلُ عليها سحابةُ كرامتِهِ، كما هو مكتوبٌ في سفرِ الملوك[٥]. فأمّا الصُّوَرُ التي هي في

(١) س : سرايره
(٢) س : كانت ترى
(٣) س : شأن
(٤) س : قالوا هاولى، ب : قال هاولى
(٥) ١ ملوك (٣ ملوك) ٨/٩ – ١٠

الكنائسِ ، فإنَّما ⌝لا نَرى شيئاً[٦] من هذا يكونُ لها .

٤ قُلنا لهم : إنَّ الأوَّلينَ لِغلظِهم لم ⌝تكنْ تَعْظُمُ[٧] أسرارُ اللهِ في أعينِهم ، لو لم يكونوا[٨] يَرونَ[٩] بأعينِهم عِظَمَها .

٥ ولذلك أوَّلُ قربانٍ قُرِّبَ في سُرادقِ الشهادةِ نزلت عليهِ[١٠] نارٌ ، وعلى القُربانِ الذي قُرِّبَ * في هيكلِ أُورشليمَ إذ بناهُ سُليمانُ[١١] . ب ٢٢٣ جـ

[النصارى ليسوا بحاجةٍ لظهورِ مثلِ هذه الأعاجيب . المسيحُ الخفيُّ في القُربان]

٦ فأَمَّا نحنُ النصارى الذين أُعطينا البصيرةَ بروحِ القُدسِ ، فليست بنا إلى ذلك حاجةٌ .

٧ من أجلِ[١٢] ذلك ، إذ أَعطى ربُّنا فَجْرَهُ[١٣] ودمَهُ تلاميذَهُ في الغرفةِ بأورشليم ، إنَّما ناوَلَهم خبزاً وشراباً ، وقالَ لهم : هذا لحمي ودمي .

٨ فنفذَ[١٤] عقولَهُمُ[١٥] اليقينُ بقولِهِ ، من غيرِ أنْ[١٦] يروا[١٧] جلالاً ظاهراً على ما ناوَلَهم .

---

(٦) س : ترا شئ
(٧) س : يكن يعظّم
(٨) س : يكون
(٩) ب وآ : يروا
(١٠) س وب : عليهم
(١١) احبار ٩/٢٤ ، اخبار الايام الثاني ١/٧
(١٢) ب وآ : منجل
(١٣) أي جسده ، والكلمة سريانية
(١٤) ب وس : فنفذت
(١٥) س : + الى
(١٦) ب وس : – ان
(١٧) س : يرون

٩ فلم يزلْ ذلك يَجري عندَ[١٨] النصارى ، يتقرَّبونَ هذا القربانَ ، موقِنينَ أنَّهُ لحمُ المسيحِ ودمُهُ ، من غيرِ أن يَرَوهُ بعدَ تقديسِهِ إلاَّ كما أدخلوهُ قبلَ أن يُقَدَّس . وكذلك[١٩] سائرُ أسرارِهم .

س ٣٤٣ جـ ١٠ وينبغي * أن تكونَ[٢٠] هذه الصُّوَرُ المقدَّسةُ أُسوةً لِغيرِها من أُمورِهم ، ⌝فتُكرَمُ كما تُكرَمُ[٢١] تلك ، وإنْ كانَ لا يَظهرُ عليها شيءٌ من الرُّعبِ والجَلال .

[ظهورُ بعضِ المعجزاتِ في النصرانيَّةِ لتثبيتِ البرّانيّين ، لِغلظِ إيمانِ البعض]

آ ٣٣ ١١ مع أَنَّهُ في شأنِ البرّانيّين ، أو لِغلظِ سفلةِ * النصارى في الدين ، ربَّما أظهرَ اللهُ جلالَ أسرارِ النصرانيّة .

١٢ كما قد نسمعُ كلَّ يومٍ منَ الأحاديثِ التي[٢٢] لا يَشُكُّ العقلُ فيها ، إذا أحسنَ تدبيرَها ، وكما قالَ مار[٢٣] أثناسيوسُ فوقُ ، إنَّهُ أُرِيَ في عِظامِ القِدّيسينَ وصُوَرِهم .

ب ٢٢٣ ظ ١٣ ⌝وقد رأينا[٢٤] نحنُ بِركاً من الميرونِ * الذي ينبعُ من عظامِهم ، ويشفي الأمراضَ التي تفوتُ الطبَّ الإنسيَّ .

١٤ وأكثرُ الناسِ[٢٥] قد رأوا الشياطينَ تُعذَّبُ قدّامَ مقابرِهم ، وتُطرَدُ طرداً عنيفاً .

---

(١٨) س : عليه
(١٩) س : فكذلك
(٢٠) س وب وآ : يكون
(٢١) س : فيكرم كما يكرم
(٢٢) ب : الذي
(٢٣) ب وآ : مر
(٢٤) س : – وقد رأينا
(٢٥) س : – الناس

[مُعجزةُ صورةِ القدّيسِ ثاوذوروس واهتداءُ مار انطونيوس]

١٥ وقد كانَ في زمانِنا هذا شهيدٌ من البرّانيّين، من أهلِ الشرفِ [٢٦] الأعلى، مستفاضٌ حديثُهُ، ذَكَرَنا اللهُ بصلواتِهِ، يُقالُ لهُ مار [٢٣] أنطونيوس.

١٦ وكانَ يُخبِرُ لكلٍّ من لقيَهُ أَنَّهُ إنَّمَا آمنَ بالنصرانيَّةِ من عَجَبٍ رآهُ في صورةٍ كانت ⌝لمار ثاوذوروس⌜ [٢٧] الشهيد.

[مُعجزةُ طبريَّة وأصلُ دير حنانيا]

١٧ والصورةُ التي كان مرّةً [٢٨] اليهودُ صنعوها بطبريَّةَ مدينتِهم، خيثُ صَوَّروا المسيحَ مصلوباً، يتهزّأُونَ * بهِ، فطَعَنَ أحدُهم تلك الصورةَ برمحٍ، فجرى [٢٩] منها دمٌ وماءٌ [٣٠].

س ٣٤٣ ظ

١٨ ⌝ثمَّ دنا [٣١] إليها أعمى [٣٢] كانَ حاضراً، قذَفَ الروحُ القدُسُ الإيمانَ في قلبِهِ، لِحُسْنِ نيَّتِهِ، فقالَ لهم: ضَعُوا [٣٣] يدي على موضعِ الطعنةِ حتى أُشارِككم [٣٤] أنا في الطَّعن.

---

(٢٦) آ : يشير خطأً في الحاشية إلى أن ب يهمل حرف من وأل التعريف قبل كلمة شرف

(٢٧) ب وآ : لمرثاذروس، س : لمار تيدرس

(٢٨) س : مرده

(٢٩) س : فجرا

(٣٠) س : ثم ماء

(٣١) س : ودنا

(٣٢) س وب : أعما

(٣٣) س : دعوا

(٣٤) آ و ب : اشرككم
س : أشركم

١٩ فلما وضعوا[٣٥] يدَهُ هناكَ، إمتسحَ من الدمِ والماءِ وأمرَّهُ على عينَيْهِ فانفتحتا.

٢٠ ثُمَّ أخذَ ما قدرَ عليهِ من تلك النعمةِ، فنقلَهُ إلى مواضعَ شتّى[٣٦]، وهوذا دياراتٌ وهياكلُ في تلك المواضعِ على تلك * البَرَكةَ تظهرُ فيها الأعاجيبُ، كما قد نسمعُ من كثيرٍ من البرّانيّينَ والنصارى.

ب ٢٢٤ جـ

٢١ وديرٌ من هذه الدياراتِ في كورةِ حلب، يُسمّى[٣٧] ⌐دير مار حنانيا[٣٨]، على الاسمِ الذي يُسمَّى[٣٩] بهِ ذلكَ اليهوديُّ المؤمنُ الذي نَقَلَ البَرَكةَ.

٢٢ وقصّةُ هذه الصورةِ التي ذكرنا مشهورةٌ[٤٠] معروفةٌ في جميعِ كنائسِ النصارى.

[المساواةُ بينَ الصُّوَرِ والأعيانِ، شهادةُ الرسولَيْنِ بولسَ ويوحنّا]

٢٣ ولا يَعْجَبَنَّ أحَدٌ[٤١] من قولِنا إنَّ الصُّوَرَ تستحقُّ الكرامةَ، وإنّا كأنّنا نرى المسيحَ والقدّيسينَ بصُوَرِهم التي نراها، إذ نسمعُ * مار[٤٢] بولسَ يقولُ: إنَّ الصُّوَرَ هي الأعيانُ.

آ ٣٤

(٣٥) س : أن وضع
(٣٦) س وب : شتا
(٣٧) س : يسمّا
(٣٨) س : دير حننيا
(٣٩) س وب : يسما
(٤٠) س : مشهورا
(٤١) س : أحدا
(٤٢) ب وآ : ماري

٢٤ كقولِهِ[٤٣] في شأنِ الصخرةِ التي كانَ الماءُ ينفجرُ منها لِبني إسرائيلَ * إنَّها هي كانت المسيحَ[٤٤].

س ٣٤٤ جـ

٢٥ ومعلومٌ أنّ تلكَ الصخرةَ لم تكنِ[٤٥] المسيحَ بعينِهِ، وأَنَّها كانت صورةً للمسيحِ.

٢٦ والأَوَنْجلسطِيسُ[٤٦] كذلك قالَ في شأنِ المسيحِ: إنَّهُ مكتوبٌ ألاّ[٤٧] يُكسَرَ منهُ عظمٌ[٤٨].

٢٧ وإنَّمَا كُتِبَ على الخروفِ الذي ذبحَ بنو إسرائيلَ بمصرَ فِصْحاً، الذي كانَ صورةً للمسيحِ.

[خاتمة]

٢٨ وكفى[٤٩] بهذا تحقيقاً من العتيقةِ والحديثةِ، لما تَستَحِقُّ صُوَرُ القَدّيسينَ من السجودِ * على وجهِ الكرامة.

ب ٢٢٤ ظ

٢٩ ومن لا يَقنَعُ بهِ من النصارى، فأحرى[٥٠] بهِ أن يكون يهوديًّا، لِغلظِ عقلِهِ.

---

(٤٣) س : يشير خطأ إلى أنّه يرد في ب : كقولك

(٤٤) ١كورنثس ١٠/٤

(٤٥) س : يكن

(٤٦) ب : والاونجلستيس

(٤٧) س : لا

(٤٨) يوحنا ١٩/٣٦

(٤٩) س : وكفا

(٥٠) س : فأحرا

الرأسُ السَّابع عَشَر

[ردٌّ شخصيٌّ على اليهود]

[العنوان]

١ توبيخٌ لليهوديِّ[1] أنَّهُ أُمِرَ أن لا[2] يسجدَ لغيرِ اللهِ، وأنَّهُ لإكرامِهِ الحجرَ قد وجبَ عليهِ أن يسجدَ للأربعةِ أنهارِ[3] الخارجةِ من الفردوس[٣'] وأن تكونَ سجدتُهُ نحوَ المشرقِ[4].

[قولُ داودَ: «أُسجُدوا لموطىءِ قدمَيْهِ»، يُرغِمُ اليهودَ، إنْ تمسَّكوا بالحرفِ، على السجودِ للتُّراب]

٢ فأَمَّا أنتَ يا يهوديُّ، الذي تزعمُ أَنَّهُ لا ينبغي أن يُسجَدَ إلاَّ للهِ، متعلِّقاً بقولِ اللهِ لكَ، الذي لم تَدْرِ[5] ما معناهُ، ولن[6] تَدريَ أبداً ما دمتَ يهوديًّا،

---

(١) س : لليهود

(٢) آ : + لا (يبتعد آ عمدا عن ب وهو يخطئ بذلك).

(٣) س : للاربع الانهار.

(٣') تكوين ٢/١١-١٤

(٤) ب وآ : الشمس. (استناداً الى تكوين ٢/٨)

(٥) ب وس : تدري

(٦) س وب وآ : ولا

س ٣٤٤ ظ

٣ أيَّ شيءٍ[٧] تصنعُ بداودَ النبيِّ؟ إنَّهُ يأمرُكَ أن تَسجُدَ لموطىءِ[٨] * قدمَيِ الربِّ[٩]، وذاكَ هو[١٠] عندكَ الأرضُ.

٤ لأنَّكَ لا تفهمُ معنى الكتابِ الروحانيَّ، كما قالَ الربُّ في أشعيا النبيِّ: «إنَّ السماءَ كرسيَّ، والأرضَ موطىءُ[١١] قدميَّ[١٢]».

٥ فقد وجبَ عليكَ أن تسجدَ للأرضِ نفسِها من قِبَلِ هذا القولِ.

٦ وبينا[١٣] أنتَ تهزأُ بالنصارى[١٤] في سجودِهم لِصورةِ المسيحِ وقدّيسيهِ، إذ أُلفيتَ أن تسجدَ[١٥] لكلِّ ترابٍ في كِناسَةٍ.

[لِمَ اليهودُ يُكرمونَ الصخرةَ في القُدس؟]

٧ وبإقبالِكَ[١٦] أيضاً إلى الصخرةِ التي ببيتِ المقدسِ، لو تُرِكتَ الوصولَ إليها – فمن يقرأُ فليفهمْ – أن تُقَبِّلَها وتتمسَّحَ بها إذا بلغتَ هذا من كرامتِها،

آ ٣٥

٨ فقد وجبَ عليكَ السجودُ * لها، إذ تحقَّقَ عليكَ * أنَّ السجودَ قد يكونُ من وجهِ الكرامة.

ب ٢٢٥ ﺟ

٩ فأخبِرْنا، ما الذي أوجبَ هذا عليكَ لهذهِ الصخرة؟ وأعلَمُ أنَّكَ

(٧) س وب وآ : أيشئ
(٨) س وب وآ : لموطا
(٩) مزمور ٩٨ (٩٩)/٥
(١٠) آ : وهو، ب: هو
(١١) س وب وآ : موطا
(١٢) اشعيا ٦٦/١
(١٣) ب : وبين، س: وسا
(١٤) س : تنهر النصارى
(١٥) س : – ان تسجد
(١٦) س : وبقلبك

تقولُ[١٧] لأنَّها من الجنَّةِ خرجت ، فلذلك أجتهدُ في كرامتِها .

١٠ وقولُكَ إنَّها من الجنَّةِ خرجَتْ ليسَ عليهِ[١٨] برهانٌ ، لأنَّهُ لا يُذكر في شيءٍ من كتبك وأنبيائك[١٩] .

١١ ولكن[٢٠] إذ قد قضيتَ لهذه الصخرةِ بهذه الكرامةِ كلِّها ، لِخروجِها ، زعمتَ ، من الجنَّةِ ، فنحنُ نُمضي عليك قضيَّتَكَ[٢١] .

س ٣٤٥ جـ ١٢ إذاً أَكرِمْ واسجُدْ للفُراتِ والدجلةِ * والنهرَيْنِ الآخرَيْنِ التي يذكرُ الكتابُ أَنَّها تخرجُ من الجنَّة[٢١'] .

١٣ ومن قِبَلِ هذا القولِ قد وجبَ عليكَ ألاَّ[٢٢] يكونَ سجودُكَ إلاَّ نحوَ المشرقِ . لأنَّ الجنَّةَ في المشرقِ ، كما تقولُ التوراةُ : «إنَّ اللهَ غرسَ جنَّةً في عَدْنٍ في المشرقِ»[٢٣] .

١٤ فما بالُكَ يا يهوديُّ ، تفعلُ بالصخرةِ ما قد ذكرنا لو قدرتَ على ذلك ، ولا[٢٤] تسجدُ لهذه الأنهارِ ويكونُ سجودُكَ نحوَ الشرق؟

(١٧) س : – أنك تقول
(١٨) ب : عليها
(١٩) ب وآ : من أنبيائك
(٢٠) س : ولاكن
(٢١) س : قضيتك عليك.

(٢١') تكوين ٢/١١-١٤
(٢٢) س : أن لا
(٢٣) تكوين ٢/٨
(٢٤) ب : لا

١٥ هذا منكَ ليس بعدلٍ بل هو من العماءِ المستولي على قلبِك الذي[٢٥] لا يدعُكَ أن تجعلَ[٢٦] لِنظيرِ كلِّ أمرٍ أُسوةً بذلك الأمرِ الذي هو نظيرُهُ.

(٢٥) س : التي (٢٦) س : – تجعل

[ج – تفسيرُ حَظْرِ العهدِ القديمِ لِتمثيلِ اللهِ]

الرأسُ الثّامنَ عَشَرَ

[حَظْرُ اللهِ مؤقَّتٌ، وسببُهُ ضُعفُ تمييزِ اليهود]

[العنوانُ والسؤال]

١ بيانُ السببِ الذي في شأنِهِ أعابَ اللهُ السجودَ للصُّوَرِ، وقالَ في العلانيةِ: * لا تسجدوا لها، ونظائر ذلك. ب ٢٢٥ ظ

٢ ولعلَّ قائلاً[1] يقولُ من النصارى: فلِمَ أعابَ اللهُ هذه السجدةَ في العتيقةِ، وأعلنَ قولَهُ أنْ لا تجعلْ لكَ أشباهاً، ولا تسجدْ لها ولا تعبُدْها[2].

[حَظْرُ اللهِ على بني إسرائيلَ صُنعَ الصُّوَرِ لِضعْفِ تمييزِهم لئلاَّ يسقُطوا في عبادةِ الأوثان]

٣ فنقولُ لهُ: إنَّ بني إسرائيلَ قد كانوا كَلِبُوا على عِبادةِ الأوثانِ. فلو أفصحَ اللهُ لهم بالإذنِ[3] في السجودِ للصُّوَرِ، لتعلَّلوا بقولِ اللهِ وجمحوا في عبادة الأوثان.

---

(١) ب وس : قائل
(٢) خروج ٢٠/٤–٥
(٣) س : بإذن

س ٣٤٥ ظ ٤ ولكن[٤] إنَّمَا * صنعَ اللهُ بهم كما يصنعُ الوالدُ الحكيمُ بابنٍ يكونُ لهُ ، صعبٍ جاهلٍ ، يعلمُ منهُ أنَّهُ إن تمكَّنَ[٥] من سيفٍ ضربَ إخوتَهُ وأهلَ بيتِهِ .

آ ٣٦ ٥ وكانَ الملكُ يُحِبُّ أن يُمكِّنَ ابنَهُ من سيفٍ يُقاتِلُ به * أعداءَهُ ، ولكن يعلمُ أنَّ السيفَ إنْ وقعَ بيدِهِ إنَّمَا يضربُ بهِ أهلَ بيتِهِ . ⌐فهو يأمرُهُ أنْ لا يُمْسِكَ سيفاً بيدِهِ بتَّةً[٦] .

٦ كذلكَ اللهُ لمعرفتِهِ بأنَّ[٧] بني إسرائيلَ لا يُطيقونَ أن يُميِّزوا سجدتَهم للصُّوَرِ ، فيَصرفوها[٨] في الوجهِ الحَسَنِ عن الوجهِ الضارِّ ، مَنَعَهم من السجودِ لكلِّ صورةٍ .

[حظْرُ اللهِ تدبيرٌ مؤقَّتٌ ، ولذا أذِنَ الرسلُ بالصُّوَرِ للمسيحيِّين]

٧ وأثبتَ في كتبِهِ المقدّسةِ هذا السجودَ تَغَيُّباً[٩] ، ⌐حتى يجيءَ[١٠] النصارى الذين أُعطوا[١١] فهماً ولطافةَ عقلٍ بروحِ القُدُسِ ، فيَغوصُونَ[١٢] عليهِ ويَعرفونَهُ⌐ ويعبدونَ بهِ[١٣] .

ب ٢٢٦ جـ ٨ كما * قالَ الملاكُ لدانيالَ[١٤] النبيِّ : وأنتَ يا دانيالُ[١٥] ،

---

(٤) س : ولاكن
(٥) س : امكن
(٦) س : – بتّة ،
ب : فهو يأمره بتّة أن لا يمسك سيفا بيده
(٧) س : أنّ
(٨) س : فيصرفها
(٩) س : مغيّبا
(١٠) س : مما نحن
(١١) س : اعطيوا
(١٢) س : فغفصون
(١٣) س : – ويعبدون به
(١٤) ب وآ : لدانيل
(١٥) ب وآ : دانيل

غطٍّ[١٦] الكلامَ واختمِ الكتابَ[١٧] إلى آخرِ الزمانِ حتَّى[١٨] يَعلَمَ[١٩] كثيرونَ، ويكثُر العِلْمُ[٢٠].

٩ هذا سببُ منعِ اللهِ بني إسرائيلَ من السجودِ للصُّوَرِ كلِّها، في ظاهرِ قولِهِ الذي يسمعُهُ على حرفِهِ[٢١] من لا فهمَ لهُ.

١٠ فعرفَ السِّلّيحيّونَ ذلكَ، وأَذِنوا في الصُّوَرِ أن تجريَ في كنائسِ النصارى، فتُكرَمُ ويُسجَدُ لها،

١١ معرفةً بأنَّهُ لا يُخافُ على النصارى * ما كانَ يُخافُ على بني إسرائيل. س ٣٤٦ جـ

[مثالٌ على هذا التدبيرِ المؤقَّتِ في العهدِ القديمِ: حَظْرُ الأطعمةِ المُسمَّاةِ دَنِسةً]

١٢ وكذلكَ صنعَ اللهُ ببني إسرائيلَ في الأطعمةِ، إنَّهُ منعَهم وحرَّمَ عليهم كثيراً[٢٢] منها، وأوقعَ اسمَ الدنسِ عليها * عندهم ليبغِّضَها بهذا الاسمِ إليهم فيجتنبُوها.

١٣ لأنَّ الرَّغبةَ كانت غالبةً عليهم، وكانوا كالكلابِ لا يَملِكونَ أنفسَهم أن يَضبِطوها عن شهواتِهم،

١٤ كما سمَّاهم اللهُ في أشعيا[٢٣] النبيِّ: «إنَّهم كلابٌ ذوو[٢٤] قحةٍ

---

(١٦) ب : غطي
(١٧) س : الكتات
(١٨) س : حتا
(١٩) س : – يعلم
(٢٠) دانيال ١٢/٩–١٠
(٢١) ب : فه
(٢٢) ب : كثير
(٢٣) ب : شعيا، س: الشعيا
(٢٤) ب : ذوا، س: ذو

في أنفسِهم ، لا يَعرفونَ شِبَعاً ، وهم أشرارٌ لا يعرفونَ فهماً ، كلُّهم تبعوا طرقَ أنفسِهم »[٢٥] .

١٥ ألا ترى[٢٦] أنَّ اللهَ قد أوقعَ اسمَ الدنسِ على خَلْقِهِ مُدَبِّراً بحكمةٍ ، كما كانَ يَصْلُحُ لِبني إسرائيل بقدرِ غلظِهم ، وصرخَ بالدنسِ عليهِ في علانيةٍ * الأمرِ الذي أوعزَ بهِ إليهم. ب ٢٢٦ ظ

١٦ ومعلومٌ هو أنَّهُ[٢٧] ليس في ما خلقَ اللهُ شيءٌ دنسٌ ، كما قالَ[٢٨] في التوراةِ : «إنَّ اللهَ رأى كلَّ شيءٍ خلقَ ، فإذا هو حَسَنٌ[٢٩] جدًّا»[٣٠] . والحَسَنُ لا يكونُ دَنِساً * . آ ٣٧

١٧ كما قالَ مار[٣١] بولس : «إنَّ كُلَّ ما خلقَ اللهُ هو حَسَنٌ ، وليس شيءٌ حراماً[٣٢] إذا تناولَهُ الإنسانُ بالشُّكرِ والحمدِ»[٣٣] .

١٨ فكما[٣٤] حرَّمَ * اللهُ ودَنَّسَ هذه الأشياءَ في العلانيَةِ في شأنِ بني إسرائيل ، ودفنَ في كتبهِ طُهْرَها وحلَّها[٣٥] لِيُفهَمَ في زمانِهِ. س ٣٤٦ ظ

١٩ كذلك سَمَّجَ السجودَ للصُّورِ عند أولائك[٣٦] في العلانيةِ ، وأغمضَ حُسْنَهُ في كتبهِ[٣٧] ، كما قد بَيَّنَّا ، لِمعرفةِ

---

(٢٥) اشعيا ١١/٥٦
(٢٦) س : ترا
(٢٧) س : أن
(٢٨) س : + الله
(٢٩) ب وس : حسنا
(٣٠) تكوين ٣١/١
(٣١) ب وآ : ماري
(٣٢) آ وب وس : حرام
(٣٣) ١ تيموثاوس ٤/٤
(٣٤) س : وكما
(٣٥) س : وخلفها
(٣٦) س : اوليك
(٣٧) س : وكتبه

النصارى الذين أُعطوا[٣٨] الروحَ القُدسَ الذي لم يُعطَهُ[٣٩] أولائِك[٣٦].

٢٠ كقولِ ربِّنا في الإنجيل: «إنَّ مَن آمنَ بي، كما قالَ الكتابُ، إنَّها ماءُ الحياةِ تَجري من بطنِهِ».

٢١ أعني[٤٠] بذلك الروحَ الذي كانَ يستقبلُهُ[٤١] الذين يؤمنونَ بهِ، «لأنَّ الروحَ لم يكن أعطيَ[٤٢] بعدُ، لأنَّهُ لم يكن سُبِّحَ يسوعُ بعدُ»[٤٣].

[مثالٌ آخر: إمتناعُ اللهِ عن إعلانِ الابنِ والروحِ القدُسِ، لئلاَّ يقعَ اليهودُ في عبادةِ كثرةِ الآلهة]

٢٢ وأيضاً بنو إسرائيلَ حَصَرَ اللهُ بسجدتِهم[٤٤] وعبادتِهم، ولم[٤٥] يَدَعْها أن تعدوَ[٤٦] في العلانيةِ.

ب ٢٢٧ جـ ٢٣ كقولِهِ: «للربِّ إلٰهكَ تسجدُ، وإيَّاهُ وحدَهُ تعبُد»[٤٧]. * وكَتَمَهُمُ اللهُ ابناً وروحاً، كل واحدٍ منهما[٤٨] إلٰهٌ تامٌّ مثلَهُ ومن جوهرِه، يستحقّانِ السجودَ مثلَهُ.

٢٤ لكي لا يكونَ ذلكَ عِلَّةً لهم لِيتَّخِذوا[٤٩] آلِهةً مع اللهِ، لِكَلَبِهم

---

(٣٨) س : المعطون، ب : عطيوا
(٣٩) س وب وآ : التي لم يعطها
(٤٠) س وب : أعنا
(٤١) س وب : التي كانوا يستقبلوها،
آ : التي كانوا يستقبلونها
(٤٢) س وب وآ : تكن اعطيت
(٤٣) يوحنا ٣٨/٧ و ٣٩

(٤٤) س : خضر الله سجدتهم
(٤٥) آ يشير خطأ في الحاشية إلى أنّه يرد في ب : لم
(٤٦) ب وس : تعدوا
(٤٧) تثنية الاشتراع ١٣/٦
(٤٨) ب و آ : منهم
(٤٩) ب وآ : ان يتخذوا،
س : يتخذوا

على عبادةِ[٥٠] آلِهةٍ شتّى[٥١] والسجودِ لها[٥٢].

س ٣٤٧ جـ **٢٥** ودفنَ * معرفةَ ذلكَ في كتبهِ كلِّها لِتَظهرَ في زمانِهِ.

٢٦ فأمَّا النصارى فإنَّهُ أفصَحَ لهم بأعلى الصوتِ أنَّ لِلهِ ابناً[٥٣] وروحاً، كلٌّ واحدٍ منهما إلٰهٌ مثلَ اللهِ ومن جوهرِهِ.

٢٧ فهم يَعبدونَ الابنَ والروحَ مع اللهِ، ولا يعبدونَ آلِهةً شتَّى[٥١]، بل يقولونَ إنَّ اللهَ وابنَهُ وروحَهُ إلٰهٌ واحدٌ.

٢٨ لأنَّ لِعقولِهم لطافةً تَفْهَمُ ذلك، إذ قد فاضَ عليها روحُ القُدُسِ بصليبِ المسيحِ الذي هو تسبحتُه[٥٤] كما قُلنا.

[لا يُخشى على النصارى ما يُخشى على اليهود، إذ هؤلاءِ عبدوا حيَّةَ النُّحاس]

٢٩ إذن لا يُنْكَرُ للهِ أن منعَ بني إسرائيلَ في العلانيةِ السجودَ لكلِّ صورةٍ، للسببِ الذي ذكرنا.

٣٠ وألهَمَ سليحيّيهِ أن يأذَنوا فيهِ[٥٥] للنصارى الذين لا يُخافُ عليهم ما كان يُخافُ على أولئك[٣٦].

آ ٣٨ **٣١** فمَنْ من النصارى رأيتموهُ * يعبُدُ صورةً[٥٦] من هذه الصُّوَرِ؟ حاشى للهِ.

---

(٥٠) ب يكرّر الفقرة: على عبادة

(٥١) س وب : شتا

(٥٢) س : لهم

(٥٣) س : + هو عدله

(٥٤) آ : بتسبحته

(٥٥) س : – فيه

(٥٦) س : شيئ

٣٢ فأمَّا بنو إسرائيلَ فإنَّهم عبدوا حيَّةَ النُّحاسِ التي كان صنعَ موسى في البرّيّةِ، وبخَّروا وبخّروا * لها بخوراً، حتَّى [١٨] أبطلَها حزقياءُ الملكُ، كما يقولُ في سفرِ الملوك[٥٧].

ب ٢٢٧ ظ

٣٣ وإنَّمَا كانَ موسى ومَنْ كانَ من بعدِهِ تركوها ذِكراً لِيُسَبِّحَ اللهُ في شأنِها أَنَّهُ بالمنظرِ إليها خلَّصَ بني إسرائيل في * البرّيّةِ من لسعِ الحيّات المُميتةِ[٥٨].

س ٣٤٧ ظ

٣٤ فتركَ بنو إسرائيل أن يُسبِّحوا اللهَ بها، وعبدوها بضلالتِهم.

٣٥ هذا وقد نُهوا أشدَّ النهيِ عن السجودِ ذي العبادةِ لكلِّ تمثالٍ أو صورةٍ. فكيف لو رُخِّصَ لهم في ذلك أدنى [٥٩] رُخصَةٍ؟

[مثالٌ آخرُ على التدابير المؤقَّتةِ في العهدِ القديم : الإذنُ بالطَّلاق]

٣٦ وهذا قليلٌ من كثيرٍ في الكتبِ المقدَّسةِ يَدُلُّ[٦٠] أنَّ اللهَ إنَّما كانَ هيَّأَ هذا النحوَ من الوصايا ⌐لبني إسرائيلَ بقدرِ ما كانوا إذ ذاك يَطيقون[٦١]، لا على ⌐حقيقة ما هي عليه إرادتُهُ.[٦١²]

٣٧ كما قالَ لأحبارِهم في شأنِ طلاقِ النساءِ المأذونِ فيهِ كانَ من موسى لهم:

(٥٧) ٢ ملوك (٤ ملوك) ٤/١٨
(٥٨) عدد ٢١/٦-٩
(٥٩) س و ب : ادنا
(٦٠) س : دل
(٦١) س : – لبني إسرائيل بقدر ما كانوا اذ ذاك يطيقون
(٦١²) ب س آ : الحقيقة التي هي ارادته

٣٨ «إنَّ موسى إنَّمَا أَذِنَ لهم (٦٢) في ذلك لِقساوةِ قلوبِهم ، فأمَّا من البدءِ ، فليسَ هكذا ،

٣٩ بل إنَّمَا جعلَ اللهُ ذكراً وأُنثى (٦٣) ، وقال : يترُكُ الرجلُ أباهُ وأُمَّهُ ويلزمُ امرأتَهُ (٦٤) ، وليكونا كلاهما لحماً واحداً . وقالَ : الشيءُ الذي زوَّجهُ اللهُ * لا يفرِّقُهُ الإنسانُ (٦٥)» .

ب ٢٢٨ ج

(٦٢) س : لكم

(٦٣) س : وانشا

(٦٤) س وب وآ : مرته

(٦٥) مرقس ١٠/٥-٩

الرأسُ التاسعَ عشَر

[تشريعُ العهدِ القديمِ ناقصٌ. وصايا اللهِ لِبني إسرائيلَ ليست كما يُريدُ، بل كما كانوا يُطيقون]

[قولُ اللهِ في حِزقيالَ إنَّ وصاياهُ غيرُ حَسَنَةٍ]

١ ويُحقِّقُ[1] أيضاً هذا[2] السببُ من الكتابِ، ونظائرُ لهُ من العقلِ.

٢ وعلامةُ أنَّ الأمرَ على ما ذكرنا من أنَّ اللهَ هندسَ[3] هذه الوصايا لِبني إسرائيلَ، لا كما يريدُ هو، بل كما كانوا * يُطيقون، س ٣٤٨ جـ

٣ قولُهُ في حِزقيالَ النبي: إنّي أعطيتُهم وصايا غيرَ حَسَنَةٍ، وحقوقاً لا يَحْيَونَ بها.[4]

٤ ويقولُ قبلَ هذا الموضعِ: إنَّهم لم يَعْمَلُوا بوصاياي، ولم يحفَظُوا حقوقي التي مَنْ حَفِظَها يحيا بها[5].

٥ ألا تراهُ يقولُ في وصاياهُ إنَّها غيرُ حَسَنَةٍ، وفي حقوقِهِ إنَّهُ لا يُحيَى[6] بها، وإنَّهُ يُحيَى بها؟

---

(١) س : تحقيق

(٢) س وب : لهذا

(٣) س : هندز

(٤) حزقيال ٢٠/٢٥

(٥) حزقيال ٢٠/٢١

(٦) س وب : يحيا

[مَثَلُ الملكِ الذي يأمرُ ابنَهُ أن يلعَبَ الكُرَةَ وهو لا يريدُه أن يلعبَ البتَّة]

آ ٣٩ ٦ وإنَّمَا يُشبِهُ اللهُ في ما بينَهُ وبينَ بني إسرائيلَ مَلِكاً لهُ ابنٌ قد * ولعَ باللعبِ، لا يقدرُ أن يَكُفَّ عنهُ نفسَهُ، لا من أنَّهُ لا يُطيقُ، بـل من استرخاءِ هَوَاهُ.

٧ فهو يلعبُ بالسكاكينِ، وأبوهُ يخافُ عليهِ أن يُصابَ بسكِّينٍ يوماً فتقتلَهُ. والغلامُ لا يحتملُ أن(٧) * يُنهى(٨) عن اللعبِ أصلاً.

٨ ⌐من أجلِ(٩) ذلك يقولُ له أبوهُ: يا بُنيَّ لا تلعب(١٠) بالسكِّينِ(١١)، ولكن(١٢) العب بالكرةِ(١٣)، ثم يُزيِّنُ في عينَيْهِ لعبَ الأكرهِ ويحبِّبُه إليهِ.

ب ٢٢٨ ظ ٩ ومعلومٌ أنَّ إرادةَ الأبِ بالابنِ ليست أن يلعبَ بالأكرهِ بل أن * يتركَ اللعبَ كلَّهُ، ويُقبِلَ على الأدبِ والحكمةِ وأُمورِ الرزانةِ والمنفعةِ.

س ٣٤٨ ظ ١٠ فهذا الأمرُ من الأبِ للإبنِ غيرُ حَسَنٍ في حدٍّ * الحقيقةِ، وقد يَجتنبُهُ(١٤) في زمانِ⌐ كمالِ عقلِهِ(١٥).

١١ فهكذا(١٦) فعلَ اللهُ ببني(١٧) إسرائيل.

---

(٧) ب وآ : — أن
(٨) س وب : ينها
(٩) ب وآ : منجل
(١٠) آ : تعلب
(١١) س : بالسكاكين
(١٢) س : ولاكن
(١٣) س : بالاكره
(١٤) س : يحبه
(١٥) س : هو قوته
(١٦) س : وهكذا
(١٧) آ : يشير خطأ في الحاشية إلى أنّه يرد في ب : بني

[لا يجوز إذاً للنصارى أن يتمسَّكوا بحَظْرِ العهدِ القديمِ]

١٢ إذاً ليس للبهائمِ منّا نحنُ النصارى ، الذين لا يَسجُدونَ لِصُوَرِ القدّيسين ، أن يتعلّلوا بقولِ اللهِ لبني إسرائيل ، ألاَّ تصنعْ لكَ شبهَ كلِّ ما في السماواتِ وفي الأرضِ والأمياهِ. لا تسجدْ لها (١٨) ولا تعبدْها (١٩) .

١٣ لأنَّ إفسالَهُ السجودَ لهذهِ الأشباهِ في العلانيةِ كإفسالِهِ في العلانيةِ ما حَرَّمَ من الحيوان ، وزعمِهِ أنَّها نجسةٌ وأنّها تدنِّس مَن أكلَها .

١٤ وكما تَبَيَّنَ (٢٠) لأهلِ الفهمِ في كتبِهِ أنَّهُ ليسَ شيءٌ دنسٌ في كلِّ ما خلقَ ، ودلَّهم أنَّهُ إنَّما أوقعَ اسمَ الدنِسِ على ما قد حَرَّمَ لسببٍ ما ، لا لأنَّهُ دَنِسٌ ،

١٥ كذلكَ أوضحَ في كتبِهِ للعُقلاءِ أنَّهُ حَسَّنَ السجودَ لِصورةِ ما يستأهِلُ (٢١) ، السجودَ ، كما قد حقَّقنا ،

١٦ وأعلَمَهُم أنَّهُ إنَّمَا سمَّجَهُ ونهى (٢٢) عنهُ لسببٍ ما ، لا لأنَّهُ سَمِجٌ .

---

(١٨) س : ألاّ يسجد

(١٩) خروج ٢٠/٤

(٢٠) س : تنبا

(٢١) س : تستأهل

(٢٢) س : نها

[ردٌّ على اليهودِ: التطوُّرُ في التشريعِ قائمٌ ضِمنَ إطارِ العهدِ القديمِ نفسِهِ]

١٧ وإنْ قالَ اليهوديُّ: إنَّ اللهَ لا يُحرِّمُ الحلالَ[٢٣]، ولا يُسمّي الحلالَ دَنَساً،

١٨ أمضَيْنا عليهِ قضيَّتَهُ * وقُلنا لهُ: إذاً ولا[٢٤] يُحِلُّ الحرامَ، ولا يُسَمّي[٢٥] الحرامَ حَسَناً. ب ٢٢٩ ج

١٩ فكيفَ أحلَّ أكلَ[٢٦] اللحومِ[٢٧] كلِّها لنوحٍ وبنيهِ، وكيف سمَّى *[٢٨] حسناً في البدءِ[٢٩] ما قد سَمَّجَهُ عليكَ ودنَّسَهُ؟ س ٣٤٩ ج

٢٠ إن كانَ لم يعلمْ بهذا الدنسِ الذي قُلنا، فهو تَبارَكَ * ليسَ بثابتِ[٣٠] العلمِ ولا القولِ، بل إنَّما يتكفَّأُ[٣١] في معرفَتِهِ، وحاشا لهُ أن يكونَ كذلكَ. آ ٤٠

[سببُ هذا التطوُّرِ في التشريعِ: التدبير الخلاصي]

٢١ ولكنَّ[١٢] قولَنا حقٌّ: إنَّهُ إنَّما أفسلَ من الحيوانِ ما أفسَلَ، وأفسَلَ السجودَ للأشباهِ لا لأَنَّ ذلك يستحقُّ الإفسال

(٢٣) س : – الله لا يحرّم
(٢٤) ب وآ : لا
(٢٥) ب : يسما
(٢٦) س : – أكل
(٢٧) آ : الحرم
(٢٨) س : سماه، ب : سما
(٢٩) س : البدى
(٣٠) س : بباب
(٣١) س : يتبكه

عندَهُ، ولكن [٣٢] بالتدبيرِ الذي قلنا في شأنِ بني إسرائيلَ وصبوّتِهم [٣٣].

٢٢ كما قالَ مار بولس في صحيفتِهِ إليهم: إنكم صرتم مرضى في سمعِكم [٣٤]، وكانَ ينبغي لكم أن تكونوا معلّمينَ لأنَّكم قد أزمنتم [٣٥]. فأمَّا الآنَ فقد احتجتم أن تُعلَّموا أباجِدَ [٣٦] كلامِ اللهِ، وصارَ يُلائِمُكم [٣٧] اللَّبَنُ، لا الطعامُ الصَّلْبُ.

٢٣ فإنَّهُ لأهلِ الكمالِ، الذينَ لا بدَّ أنَّهم قد دُرِّبَتْ حواسُّهم على أن تُفَصِّلَ [٣٨] الخيرَ من الشرّ [٣٩].

٢٤ فبنو إسرائيلَ كانوا صبياناً بعدَ طولِ دهرٍ ثووا [٤٠] في التعليمِ، فكيفَ لا يُصدَّقُ أنَّ اللهَ إنَّما كلَّمَهُم كما يُكلِّمُ الصبيانَ * الحدثانَ، كما دعاهم [٤١]؟

ب ٢٢٩ ظ

٢٥ وكما أنَّ الأُمَّ إذا أرادت تَفْطِمَ صبيَّها من لبنِها، فهي تُسَمّي اللبنَ أسماءً سَمِجَةً *،

س ٣٤٩ ظ

٢٦ لا لاستحقاقِهِ [٤٢] تلكَ الأسماءَ، ولكن [١٢] لِتُزهِّدَ الصبيَّ فيهِ

---

(٣٢) س : ولا
(٣٣) س : وصهم
(٣٤) س : مرض في مسمعهم
(٣٥) س : ار
(٣٦) ب وآ : اباجاد
(٣٧) ب وآ وس : يلاومكم
(٣٨) ب : لا بد انهم قد خرجت احواسها ان تفصل
س : ابدانهم قد صربت أحواسهم ان يعقل
آ : لانتدابهم قد مرنت حواسها ان تفصل
(٣٩) الرسالة الى العبرانيين ١١/٥–١٢، ١٤
(٤٠) س : ووا
(٤١) س وب وآ: حدثان ما دعاهم
(٤٢) س : لاستحقاقها

وتَصُدَّهُ عنهُ، لأَنَّهُ لا يُلائِمُهُ(٤٣) في الحالِ التي هو فيها،

٢٧ كذلك أوقعَ الله أسماءً سمجةً [على] السجودِ(٤٤) للصُّوَرِ وعلى ما حرَّمَ من الحيوانَ، لا لاستحقاقِ(٤٥) ذلك تلكَ الأسماءَ، ولكن لأنَّهُ(٤٦) لم يكن يُلائِمُ(٤٧) بني إسرائيلَ في حياتِهم إذ ذاك.

٢٨ فلمَّا(٤٨) جاءَ الكمالُ، أفصحَ ربُّنا المسيحُ في إنجيلِهِ بخلافِ قولِهِ قديماً(٤٩) في الناموسِ،

٢٩ وقال للعامَّةِ: «ليس ما يدخلُ الفمَ يُدَنِّسُ الإنسانَ»(٥٠).

٣٠ وأَذِنَ للسَّلِيحيّينَ في السجودِ للصُّوَرِ، وكشفوا الأمرَ الذي كان مستوراً بالألغاز(٥١)، عن عوامِّ(٥٢) الأوّليّين.

[الخاتمة]

آ ٤١ ٣١ وقد أحسبنا(٥٣) طوَّلنا في * شهاداتِ الكتبِ المقدّسةِ والبحثِ لها، محقّقينَ السجودَ لِصُورِ(٥٤) القدّيسين.

---

(٤٣) ب : يلاومه
(٤٤) س و ب : للسجود
(٤٥) س : لاستحقاقها
(٤٦) ب : ولكنه،
س : ولاكن لأنه
(٤٧) ب و س و آ : يلاوم
(٤٨) س : + أن
(٤٩) ب و آ و س : كان
(٥٠) متى ١١/١٥
(٥١) س : بالاعلان
(٥٢) س : ء ام
(٥٣) س : احبينا
(٥٤) س : للصور

٣٢ وعلى ذلك لا ضيرَ ألاَّ نتركَ(٥٥) قولاً يحتجُّ به مُخاصِمٌ في هذا الأمر ، إلاَّ ذكرناهُ هاهنا ، وأتينا منه بالمخرَجِ .

٣٣ لِكيلا يعتريَ أحداً(٥٦) من النصارى انقباضٌ عن هذا السجودِ العظيمةِ(٥٧) منفعتُهُ .

---

(٥٥) س : لاصر الابين

(٥٦) س : احد

(٥٧) ب وآ : العظيم

الرأسُ العُشرُون

[ردٌّ على اعتراضٍ : لا يجوزُ التخلّي عن أوامرِ اللهِ إلاّ إذا صَرَّحَ هو بذلك]

[الإعتراض]

ب ٢٣٠ جـ
س ٣٥٠ جـ

١ ردٌّ على من يقولُ : إنَّ اللهَ * مُسَلَّطٌ أن يأمُرَ كذا * ويأمُرَ كذا. فأمَّا الناسُ ، فليس لهم أن يُخالِفوا علانيةً قولَ اللهِ ، إن لم يأمرْهم أن يفعَلُوا ذلك.

٢ وقد زعمنا بدءًا[١] أنَّ اللهَ ، وإنْ كانَ قالَ في العلانيةِ لِبني إسرائيل ألاَّ يَصنعوا كلَّ شبهٍ ، فقد أمرَ موسى أن يصنعَ الكروبَيْنِ[٢] والحيَّة[٢'].

٣ ودلَّ بذلك[٣] أنَّ ذلك النهيَ إنَّمَا كانَ منهُ تدبيراً[٤] عن غايةِ إرادتِهِ.

---

(١) س وب وآ : بديا
(٢) س : الكربين.
(٢') خروج ٢٠/٤ ، خروج ٢٥/١٨-٢٠ ، عدد ٢١/٨-٩
(٣) س : وبذالك
(٤) ب : تدبير

٤ ولعلَّ قائلاً يقولُ : إنَّ اللهَ مُسَلَّطٌ أن يأمرَ كذا ، فأمّا الناسُ فليس لهم أن يَفعلوا خلافاً لِمَا أمرَ اللهُ بهِ ، إنْ[٥] لم يأمرْهم هو .
ونحنُ نقولُ له[٦] :

[الردّ : الأنبياء خالفوا حرفَ أوامرِ اللهِ دونَ أن يُصرِّحَ لهم بذلك ، لأنَّهم فهموا المقصودَ بنواهيهِ].

[لقد سجدوا للناس]

٥ إنَّ اللهَ قد أمرَ في العلانيةِ أن لا يُسجدَ لِغيرِهِ ، فسجدَ الأنبياءُ للناسِ من غيرِ أن يأمرَهم اللهُ مواجهةً أن يَسجدوا للناس ، لأنَّهم فهموا معنى قولِهِ في نهيه .

[داودُ وسليمانُ صنعا صوَراً وأشباهاً]

٦ وسليمانُ[٧] بنُ داودَ قد صنعَ صُوَراً كثيرةً في البيتِ الذي بنى[٨] للهِ في بيتِ المقدسِ من كروبينَ وثيرانٍ وأُسُدٍ وغيرِ ذلك ، من غيرِ أن يأمرَهُ اللهُ مُسَمِّياً أن يصنعَها[٢٨] .

٧ وسِفْرُ النواقصِ يقولُ إنَّ داودَ أعطى[٩] سليمانَ مِثالَ البيتِ وأشياءَ[١٠] * سمّاها فيهِ ، ولم يذكرْ أنَّ اللهَ قالَ ذلكَ لهُ ، بل إنَّمَا وصفَ لهُ ذلكَ المثالَ كما * استطاعَ فهمَهُ[١١] .

س ٣٥٠ ظ
ب ٢٣٠ ظ

---

(٥) ب : وأن
(٦) س : — له
(٧) س وب وآ : وسليمن
(٨) ب وس : بنا.
(٢٨) ١ ملوك (٣ ملوك) ٦/٢٩ و٧/٢٣ — ٢٥
(٩) ب وس : اعطا
(١٠) س : وأشباهه
(١١) أخبار الأيّام الأول ٢٨/١١ — ١٩

٨ وإنَّمَا صنعَ ⌐هٰذانِ النبيّانِ[١٢] ما صنعا من ذلك لأنَّهما فهما معنى قولِ اللهِ ألاَّ يُصْنَعَ شِبْهُ كلٍّ، وعلِما أنَّهُ لم يكنْ منهُ عن غايةِ إرادتِهِ.

[داودُ أكلَ خبزَ التقدمة]

٩ وداودُ أيضاً[١٣] قد أكلَ الخبزَ الذي كان يوضعُ بينَ يَدي الربِّ، الذي لم يكنْ[١٤] لأحدٍ سلطانٌ أن يأكلَ منهُ إلاَّ لِلكهنة[١٥]، من غيرِ أن يأمرَهُ اللهُ * أن يأكلَهُ[١٦]. آ ٤٢

[المكابيّون أحلّوا القتالَ يومَ السبت]

١٠ والمَقَبِيَّةُ أحلُّوا القتالَ عن النفسِ يومَ السبتِ من غيرِ أن[١٧] يأمرَهم اللهُ بذلك[١٨].

١١ وليسَ لأحدٍ [أن] يقولَ إنَّ داودَ والمَقَبِيَّةَ[١٩] كانوا يُحِلُّونَ أمرَ اللهِ ويَنقُضونَه من الإضطرار.

١٢ فقد لَعَمري حَرَّضَ[٢٠] انطيوخوسُ[٢١] الملكُ اليونانيُّ ⌐ على المَقَبِيَّةِ السبعةِ، وعلى الشيخِ معلِّمِهم العازر[٢٢].

---

(١٢) ب : هذين النبيّين،
س : هاذين النبيان
(١٣) س : – ايضا
(١٤) ب : يكون
(١٥) ب وآ : الكهنة
(١٦) ١ صموئيل (١ ملوك) ٢١/٢–٧
(١٧) ب : – أن
(١٨) ١ مكابيّين ٢/٤١
(١٩) ب : والمقـابيـة،
س : والمقبانية
(٢٠) ب : حرص، س : خرص.
(٢١) س : انطياخس
(٢٢) س : بالمقبانية وبنيها السبعة وبالشيخ معلمهم الاعازر
ب : بالمقبية السبعة وبالشيخ معلمهم الاعازر

١٣ وأمرَ عليهم كلَّ صنفٍ من العذابِ ليأكلُوا [٢٣] لحمَ الخنزيرِ ، فأبَوا عليهِ وماتوا تحتَ عذابِهِ [٢٤] .

١٤ بل إنَّمَا أحلَّ هؤلاء [٢٥] القِدّيسونَ [٢٦] الوصيَّةَ في هذا الحينِ وفي حفظِ السبتِ ، معرفةً بأنَّ * اللهَ إنَّمَا كانَ أمرَ بذلك العامّةَ في العلانيّةِ تدبيراً ، لا لأنَّهُ ثابتٌ عندَهُ .

س ٣٥١ جـ

[إبطال الأنبياءِ تعليمَ السبتِ بصومِهم في أثنائه]

١٥ وحقّقَ المسيحُ فهمَهم لإبطالِهِ ذلكَ الحينَ وحفظَ السبتِ ، والسبتُ هو نعيمٌ عندَ اليهودِ عامَّةً ، كما يقولُ في أشعيا * النبيِّ [٢٧] .

ب ٢٣١ جـ

١٦ فموسى وإيلياسُ ودانيالُ [٢٨] جعلوا [٢٩] السبتَ بدلَ النعيمِ صياماً . وطوى [٣٠] الأوّلُ منهم أربعينَ يوماً مرّتينِ [٣١] ، والثاني طوى [٣٢] أربعينَ يوماً مرَّةً [٣٣] ، والثالثُ واحداً وعشرينَ يوماً [٣٤] .

١٧ فخالفَ هؤلاءِ [٣٥] الثلاثةُ [٣٦] الأنبياءُ موقعَ الناموسِ عندَ العامَّةِ ، من غير أن يأمرَهم اللهُ بذلك ،

---

(٢٣) ب وآ وس : ان يأكلوا
(٢٤) ٢ مكابيّين ١/٧ – ٤١
(٢٥) س : هولاي ، ب : هاولى
(٢٦) س وب : القديسين
(٢٧) اشعيا ١٣/٥٨
(٢٨) ب : دانيل
(٢٩) س : حلّو
(٣٠) ب وس : وطوا
(٣١) خروج ١٨/٢٤ ، ٢٨/٣٤
(٣٢) ب وس : طوا
(٣٣) ١ ملوك (٣ ملوك) ٨/١٩
(٣٤) دانيال ٢/١٠
(٣٥) س وب : هاولى
(٣٦) س : الثلثة

١٨ علماً بمعنى كلامِ اللهِ أنَّهُ إنّما جعلَ السبتَ لليهودِ نعيماً لرغبةِ (٣٧) بطونِهم ، كي يقودَهم ذلك إلى حفظِهِ (٣٨) ،

١٩ وبحفظِهم إيّاهُ (٣٩) يَعرِفونَ ⌐ إلٰهَهم خالقَ (٤٠) السماءِ والأرضِ ، ولا يعبدونَ غيرَهُ .

٢٠ كقولِهِ في التوراةِ في مخرجِ بني إسرائيل : إنَّ اللهَ كلَّمَ موسى وقالَ لهُ أن مُرْ (٤١) بني إسرائيل وقلْ لهم (٤٢) : أُنظُروا ⌐ أن تَحفَظوا (٤٣) أسباتي ، فإنّها علامةٌ بيني وبينكم (٤٤) قرناً فقرناً ، لتعلموا أنّي أنا الربُّ مُقدِّسُكم (٤٥) .

س ٣٥١ ظ ٢١ وبعدَ قليلٍ يقولُ : وليحفظْ بنو (٤٦) * إسرائيلَ أسباتي ، فإنّه عهدُ الدهرِ بيني وبين بَني إسرائيلَ ، وهي علامةٌ إلى الدهر .

٢٢ إنَّ الربَّ في ستّةِ أيّامٍ خلقَ السماءَ والأرضَ ، وفي اليومِ السابعِ استراح (٤٧) .

[النبيُّ إيليّا ضحّى خارجَ هيكلِ أورشليم]

آ ٤٣ ٢٣ وايلياسُ أيضاً خالفَ الناموسَ في إطلاعِهِ ضحيّةً لِلهِ في غيرِ

(٣٧) س : لرعاية ، آ : لزعبة
(٣٨) س : حفظها
(٣٩) س : اياها
(٤٠) س : أن الههم خلق
(٤١) س وب : أمر
(٤٢) س : وقلهم ، ب : وقول لهم .
(٤٣) س : واحفظوا ،
ب : ان يحفظوا .
(٤٤) ب وآ : وبينهم
(٤٥) س وب وآ : المقدسكم ،
خروج ٣١/١٢ - ١٣
(٤٦) س وب : بني
(٤٧) خروج ٣١/١٦ - ١٧

الهيكلِ * بأُورشليم [٤٨] ، وفي تهيئتِهِ إيَّاها على غيرِ السُّنَّةِ المكتوبةِ في الناموسِ ، من غيرِ أن يأمرَهُ * اللهُ بذلك [٤٩] ، ب ٢٣١ ظ

٢٤ لمعرفتِهِ بمعنى [٥٠] قولِ اللهِ في الناموسِ : إنَّهُ إنَّمَا نَهى [٥١] بني إسرائيلَ عن إطلاعِ الضَّحايا في كلِّ موضعٍ ، لأنَّهم للشياطينِ كانوا يُضَحُّون [٥٢] .

٢٥ كما يقولُ في سِفرِ الكَهنة : أيُّما [٥٣] رجلٍ من بني إسرائيلَ أو من الحُواريّين الدُّخلاءِ [٥٤] معهم ضحَّى [٥٥] ضحيّةً لم يأتِ بها بابَ سُرادِقِ الشهادةِ ، فيضحّيها للربِّ ، يُستَأْصَلُ ذلك الإنسانُ من أُمَّتِهِ [٥٦] .

٢٦ وقالَ قبلَ هذا : ولا يُضَحِّيَنَّ [٥٧] بنو إسرائيلَ ضحاياهم للأباطيلِ التي يَزنونَ [٥٨] في إثرِها [٥٨ مكرّر] .

٢٧ فكذلك [٥٩] وحَّدَ اللهُ أيضاً ضحايا بني إسرائيلَ في بيتِ المقدس ، لكي إذا خربَها بيدِ [٦٠] الرومِ بعد مجيءِ المسيحِ تَبطلُ ضحاياهم * التي كانت مَقيتةً عندَ اللهِ ، كما يعلمُ أهلُ المعرفةِ بالكُتُبِ .

---

(٤٨) ب : بـاروسليم ،
س : باورشلم
(٤٩) ١ ملوك (٣ ملوك) ١٨/٣٠ – ٣٩
(٥٠) س : بمعنا
(٥١) س و ب : نها
(٥٢) س : يضحوا
(٥٣) ب و آ : انما
(٥٤) س : اخلا
(٥٥) س : ضحا
(٥٦) احبار ١٧/٨ – ٩
(٥٧) ب و آ : يضحون
(٥٨) س : يوبون.
(٥٨ مكرّر) احبار ١٧/٧
(٥٩) س : فهذالك ،
ب : فهذا الهدا ،
آ : فهذا الهدى.
(٦٠) س : – بيد

٢٨ فإيلياسُ النبيُّ عندَ معرفتِهِ بهٰذِهِ الأسباب ، خالفَ الناموسَ الذي أُمِرَتْ بهِ العامَّةُ من غيرِ أن يقولَ اللّٰهُ ذلكَ لهُ.

[الخلاصة]

٢٩ كذلكَ[٦١] في صُنعةِ الصُّوَرِ والأشباهِ[٦٢] خالفَ القدّيسونَ ناموسَ العلانيّةِ ألاَّ تصنعْ لكَ شِبهَ كلٍّ ولا تسجدْ لها[٦٣] .

٣٠ أَيُجيبُنا[٦٤] الزاعمُ أنَّ اللّٰهَ مُسَلَّطٌ أن يأمرَ كذا ، فأمَّا الناسُ فليس لهم أن يُخالفوا علانيةً أمرَ اللّٰهِ بلا أمرِ اللّٰهِ[٦٥] * .

ب ٢٣٢ جـ **٣١** فقد أوضحَ لَعَمري أنَّ القِدّيسينَ خالفوا علانيةً أمرَ اللّٰهِ من غيرِ أمرِهِ[٦٦] لمعرفتِهم بأسبابِ ما أَمَرَ بهِ[٦٧] .

٣٢ وقد ثبتَ ما مضى[٦٨] في أنَّ السجودَ لِصُوَرِ القِدّيسينَ واجبٌ[٦٩] ، على كلِّ من لهُ معرفةٌ بكُتُبِ اللّٰه .

---

(٦١) س : وكذلك

(٦٢) س : واشباه

(٦٣) آ : له

(٦٤) س : – ايجيبنا

(٦٥) س : من غير امره

(٦٦) آ : ان امرهم ،

س : –فقد اوضح لعمري ان القديسين خالفوا علانية امر الله من غير امره.

(٦٧) آ : يشير خطأ في الحاشية إلى أنّه يرد في ب: أمره.

(٦٨) س وب : مضا

(٦٩) س وب : واجبا.

الرأسُ الحَادي وَالعُشرون

[إعتراضٌ آخر : إنْ كنتم تَسجدونَ للصُّوَرِ فلِمَ لا تسجدونَ للإنسانِ وهو صورةُ الله]

[العُنوانُ والإعتراض]

١ ردٌّ على من يقولُ : إنَّكم إذ قد[١] حسَّنتم السجودَ لصورةِ من يستأهِلُ الكرامةَ ، فاسجُدوا لي الذي أنا صورةُ الله .

٢ ومنَ الناسِ مَن يقولُ : إن كانت صورةُ القدّيسينَ تستحقُّ السجودَ على وجهِ الكرامةِ ، فاسجدوا[٢] لي أنا ، فإنّي كما أزعمُ[٣] * أنا صورةُ الله . آ ٤٤

[ردٌّ : الإنسانُ الخاطئُ صورةٌ مشوَّهةٌ لله]

٣ فنقولُ لهُ : إنّكَ قد أفسدتَ فيكَ صورةَ الله .

٤ وإنَّما تُشْبِهُ صورةُ اللهِ إبنةَ[٤] ملكٍ هي أحسنُ الناسِ ، وصورتُها[٥] أحسنُ * صورةٍ. س ٣٥٢ ظ

---

(١) س : اذ
(٢) ب : فاسجد
(٣) س وب وآ : زعم الذي
(٤) س وب : لابنت. آ: لابنة
(٥) س : + هي

٥ فعمدَ رجلٌ إلى هذه الصورةِ ، فطمسَ عينَيْها ، وجدَعَ أُذنَيْها وأنفَها ، وقطَعَ رجلَيْها ، وبترَ أصابيعَ يدَيْها ، وسوَّدَ لونَها ، وأفسدَها فساداً صارت به[٦] أسمجَ صورةٍ.

٦ أو تُشبهُ قيراً ، وهي فيهِ أحسنُ تمثالٍ ، يدلُّ حقًّا على ابنةِ[٧] الملك ، فأخذَهُ رجلٌ فحوَّلَهُ تمثالَ خنزيرٍ.

٧ فكما[٨] لَعمري يُذَلُّ[٩] الشمعُ أن يُحوَّلَ فيهِ التمثالُ ، تُذَلُّ[١٠] طبيعتُكَ لحريّتِكَ أن تجعلَها إنْ شئتَ صورةَ اللهِ ، وإن شئتَ صورةَ شيطانٍ * أو بهيمةٍ.

ب ٢٣٢ ظ

٨ فأخبرْني ، لو عُرِضَتْ عليكَ هذه الأشباهُ بعد أنْ تعرفَ ابنةَ[٧] الملكِ ، ألم تكنْ[١١] تقولُ : ليست بأشباهٍ لابنةِ[٤] الملك؟ لا شكَّ في هذا[١٢].

٩ كذلك وأنتَ الذي قد خالفتَ أنْ تُشبهَ اللهَ في خصالِكَ ، غيرَ مُكْرَهٍ في تركِ[١٣] الحِلمِ والرزانةِ والكرمِ والعفوِ والرحمةِ والعدلِ في فضائلِكَ[١٤].

١٠ وصدودُكَ[١٥] عن سبيلِ الحكمةِ والمحامدِ المُشاكِلةِ لِمَا ذكرنا ، ولزومُكَ خلافَ ذلك ، حتَّى شَبِهْتَ شيطاناً أو بهيمةً ، نقولُ لكَ : إنَّكَ لستَ لِلهِ بصورةٍ.

---

(٦) س وب : له
(٧) س وب : ابنت
(٨) س : وكما
(٩) س وب وآ : يدل
(١٠) س وآ وب : تدل
(١١) س : تكون
(١٢) س : فيه
(١٣) س : تركك
(١٤) س : فضـــايك ،
ب : فضايلك
(١٥) س : وسدودك

[القِدّيسونَ يُكرَمونَ لأنَّهم لَبِسوا الإنسانَ الجديدَ الذي يتجدّدُ بشبهِ خالقِهِ]

س ٣٥٣ جـ

١١ ثمّ لا نسجدُ لكَ سجودَنا للقدّيسينَ أو لِصُورِهم * الذينَ أقاموا في أنفسِهِم صورةَ للهِ ، بأن سَلَخوا الإنسانَ العتيقَ مع جميعِ تقلُّبِهِ ، كقولِ مار[١٦] بولس ، ولبسوا الجديدَ الذي يتجدَّدُ بشبهِ خالقِهِ[١٧] .

١٢ فأمَّا هؤلاءِ[١٨] ، فإنَّكَ قد ترانا نسجدُ ولعِظامِهم بعدَ موتِهم ، لأنهم صاروا أوعيةً لروحِ القدسِ الذي لا يزايِلُهم ، لا[١٩] في حياتِهم ، ولا في موتِهم .

[معجزاتُ رُفاة القدّيسين ، لاسيَّما أليشعَ النبيِّ في سلقين]

١٣ والشاهدُ على ذلك أليشَعُ النبيُّ : إنَّ عِظامَهُ أقامت ميتاً بعدَ موتِهِ .

١٤ وهي حتَّى اليومَ بيدِ النصارى ينبعُ منها ميرونٌ يُنَقّي البُرصَ ، كما قد رأينا نحن بأعينِنا .

ب ٢٣٣ جـ
آ ٤٥

١٥ وهذه العظامُ * القِدّيسةُ في قريةٍ يُقالُ لها * سَلْقين ، من كورةِ أنطاكِيَةَ ، وفي غيرِها .

١٦ هذا سواءُ ما ذكرنا مِمَّا نرى اليومَ من الأعاجيبِ تَعملُها[٢٠] عظامُ القِدّيسين ، بها يَعلمُ أولو الألبابِ أنَّ روحَ القُدُسِ فيها ساكنٌ[٢١] .

---

(١٦) ب وس وآ : ماري
(١٧) كولسي ٣/١٠
(١٨) س وب : هاولى
(١٩) س : — لا
(٢٠) ب وآ : يعملها
(٢١) ب وآ وس : ساكنة

(الجزءُ الرابع)

[البرهانُ المأخوذُ من العَقْل]

الرأسُ الثّاني والعُشرون

[المادّة الخامُ تأخذُ قيمةً خاصّةً مِمّا تُختَمُ بهِ أو يُخَطُّ عليها]

[العنوان]

١ شهادةٌ من العقلِ أنَّ الهَيولى ليست منزلتُها عندَنا قبلَ وقعِ الخطِّ والصورةِ عليها، كمنزلَتِها إذا وقعَ ذلكَ عليها.

[مقدّمةُ الجزء الرابع]

٢ أتينا بهذا نقضاً لِعِلَلٍ [١] يستخرجُها [٢] الجُهّالُ المتعلِّلونَ من الكتُبِ المقدَّسةِ *. س ٣٥٣ ظ

٣ ونحنُ الآنَ نريدُ أن نُجرِّدَ العقلَ للنظرِ في الصورةِ، حتى [٣] نعلمَ إنْ كانَ ما يُصنَعُ بها من كرامةٍ أو هوانٍ يَصِلُ منهُ السرورُ والحزنُ إلى من هي صورتُه.

---

(١) س : العلو

(٢) ب وآ : يستجرّ

(٣) س : حتا

[مثَلُ الطينِ إذا خُتِمَ بختمِ المَلِك]

٤ وينبغي أن يعرفَ الناظرونَ في هذا هل طينةُ الأشياءِ، إذا وقعَ كتابٌ عليها أو صورةٌ، ليست[٤] منزلتُها عندَ الناسِ كما كانت منزلتُها[٥] قبلَ وقوعِ الكتابِ والصورةِ عليها.

٥ وتحقيقُ[٦] ذلك أنَّ الطينَ ربَّما ختَمَ لكَ فيهِ الملكُ بفداءِ مائةِ ألفِ إنسانٍ في المِثْل[٧]، قد خرجَتْ عليهِم القضيَّةُ بالقَتْلِ.

٦ فالطينُ على حِدَّتِهِ ليس يسوى[٨] شيئاً. وإذا وقعَ خاتمُ الملكِ عليهِ، بخلاصِ هذه العِدَّةِ * من الناسِ، فقد صارت تعدو[٩] قيمتُهُ الحِسابَ. ب ٢٣٣ ظ

[مَثَلُ القِرطاسِ الذي كذلك إذا وقعَ فيهِ خطُّ يدِ الملكِ، والمادَّةِ التي كُتِبَ عليها كلامُ اللهِ]

٧ والقِرطاسُ كذلك إذا وقعَ فيهِ خطُّ يدِ الملكِ بمثلِ ما ذكرنا.

٨ فمن شكَّ في هذا فليعتبرْ من لوحَي ناموسِ اللهِ أنَّهما حجرٌ. فلمّا

---

(٤) س : فـليس،
ب وآ : فليست
(٥) س وب وآ: كمنزلتها كانت
(٦) س : وتحق
(٧) ب : بعد مائة الف انسان في المثل بالخلاص بعد ان كانت.
آ : بالخلاص بعد ان كانت مئة الف انسان في المثل.
(٨) س وب : يسوا
(٩) س وب : صار يعدوا، آ: صار يعدو

رُسم فيهما خطٌّ بيدِ الربِّ أُكرما الكرامةَ التي لا أشرفَ منها من اللهِ ومن الناسِ.

٩ والتوراةُ والإنجيلُ، إنما يُكتبانِ في رقوق. والرقوقُ قبلَ أن يُكتَبَ فيها كلامُ اللهِ لا كرامةَ لها عندَ أحدٍ.

س ٣٥٤ جـ ١٠ فإذا أُثبتَ فيها الكلامُ * المقدَّسُ أُجلَّتْ وأُكرِمَتْ أعظمَ الكرامة،

آ ٤٦ ١١ حتّى لو أنَّهُ قَدِمَ * إنسانٌ على إحراقِها أو إداستِها (١٠) كُفراً بما هو مكتوبٌ فيها، أو مَحقَرَةً له، لاستوجبَ القتلَ من المؤمنينَ بذلك.

١٢ وهذا معروفٌ عندَ كلِّ أَحدٍ.

---

(١٠) س : تدنيسها.

الرأسُ الثالث والعُشرون

[الإكرامُ والإهانةُ للصورةِ تلحقُ بالشخصِ الذي تمثِّلُهُ]

[العنوان]

١ توبيخُ لِمن يقولُ : إنَّ الكرامةَ والهوانَ الذي يُصنَعُ بصورةِ المسيحِ إلٰهِنا ، لا يَصِلُ سرورُهُ إلى المسيحِ ، مثلما[1] يُصنَعُ بصورةِ الأبِ والأُمِّ عندَنا .

[صورةُ المسيحِ في الرُّها]

٢ فأَمَّا صورةُ المسيحِ إلٰهِنا المتجسِّدِ من مريمَ العذراءِ[2] ، فإنَّا إيَّاها نذكرُ من بينِ الصُّوَرِ ها هنا ، لأَنَّها تُكرَّمُ بالسجودِ في * مدينتِنا الرُّها المباركة ، خاصَّةً في أوقاتٍ وأعيادٍ وحُجوجٍ تكونُ لها .

ب ٢٣٤ جـ

[من يُهينُ صورةَ الأبِ يُهينُ الأبَ]

٣ فقد كنتُ أُحِبُّ ، إنْ كانَ أحدُ من النصارى يَنبو[3] عن السجودِ لها ، أن يُصوِّرَ[4] أباهُ على بابِ كنيسةِ صورةِ المسيح .

---

(١) س : مما
(٢) ب : العذرى
(٣) ب : ينبوا
(٤) ب : صور

٤ وأعزِمُ على كلٍّ من يسجدُ لصورةِ المسيحِ إذا خرجَ من عندِها ، أن يبصقَ في وجهِ صورةِ أبيهِ ، ولا سيَّمَا إنْ كانَ أبوهُ(٥) هو الذي وَرَّثَهُ ألاَّ يسجدَ للصورةِ المقدَّسة .

٥ حتّى(٦) أَنْظَرَ [إنْ] كانَ يَغضَبُ(٧) لذلك ، أم لا .

س ٣٥٤ ظ

٦ ولكنَّ(٨) هذا غيرُ * مشكوكٍ فيهِ ، أنَّ هذا قد كانَ ينشرحُ(٩) أن يُكافِئَ مَنْ فعلَ ذلك بصورةِ أبيهِ مكافأةً تبلغُ منهُ نزعَ النفسِ في المِثْل .

٧ ثم نقولُ لهُ : إن كانَ هوانُ صورةِ أبيك وصلَ إليكَ غضبُهُ حتّى أفضى بكَ إلى هذه الغايةِ(١٠) ،

٨ كذلك فاعلمْ أنَّ كرامةَ صورةِ المسيحِ واصلٌ إليهِ سرورُها(١١) .

٩ وهو مُكافِئٌ لِمن(١٢) يسجدُ لها من الخيرِ ما يَعدِلُ(١٣) ما تصنعُ أنتَ من الشرِّ بِمَنْ يبصِقُ في وجهِ صورةِ أبيك وأكثر ، بقدرِ كرمهِ الذي لا يُحيطُ بهِ وَهْمٌ .

---

(٥) ب وس : اباه
(٦) س : حتا
(٧) آ : ايغضب
(٨) س : ولاكن
(٩) س : يشرخ
(١٠) س : ابلغ منك ، ب : افضا ، آ : اقصى
(١١) ب : واصلة اليه سرورها ،
س : واصل سرورها اليه
(١٢) ب : من
(١٣) ب : يعد

[الصورةُ المُشينةُ إهانةٌ للشخصِ الذي تمثِّلُهُ في وضعٍ مُشينٍ]

ب ٢٣٤ ظ **١٠** ولو أنَّ مَلِكاً في المثلِ قُذِفَتْ أُمُّهُ في (١٤) العامَّةِ * برجلٍ كان صعلوكاً (١٥).

١١ وكانت العامَّةُ تعرفُ حِليةَ أُمِّ المَلِكِ (١٦)، وحِليَةَ الرجلِ المقذوفةِ (١٧) بهِ.

١٢ ثم صَوَّرَ إنسانٌ على دفٍّ أُمَّ الملكِ مجامِعَةً لذلك الرجلِ الصُّعلوك، فشَهَرَ صورتَها في المدينةِ * ، يطوفُ بها في أسواقِها وأزقَّتِها التماسَ فضيحتِها. آ ٤٧

١٣ ماذا ترونَ كانَ موقعُهُ عندَ المَلِكِ؟ ألم يكنِ المَلِكُ يقطعُهُ عضواً عضواً لا محالةَ؟

١٤ ولو ذهبَ الفاعلُ لهذا (١٨) أن يعتذرَ عندَ الملكِ ويقولَ: إنّي لم أفعلْ بأُمِّكَ شيئاً (١٩)، إنَّما فعلتُ ذلكَ بدفٍّ وألوانٍ.

س ٣٥٥ جـ **١٥** لكانَ يزيدُ الملكَ غيظاً عليهِ لِمكابرتِهِ إيّاهُ وطمَعِهِ * في عقلِهِ.

---

(١٤) آ : — في

(١٥) س : صعلوك،
ب : كان صعلوكاً

(١٦) س : الأم

(١٧) س : المقذفة

(١٨) س : هذا

(١٩) س : — شيئا

[الخُلاصة]

١٦ فبحسبِ هذا يُكرِمُ المسيحُ ربُّنا الملكُ السماويُّ[٢٠] لمن شَهَّرَ[٢١] صورتَهُ وسجَدَ لها.

١٧ وكذلك ينتهرُ ويُقصي عن[٢٢] ملكوتِهِ من تهاونَ بصورتِهِ ومنعَها السجودَ مكابرةً، بمثلِ ما ذكرْنا.

(٢٠) س : المساوي
(٢١) س : من شهد
(٢٢) آ : ويقصّ عنه

الرأسُ الرابعَ والعُشرون

[من يُكرمُ صورةَ المسيحِ يستحقُّ المكافأةَ منهُ، لا سيَّمَا من يُكرمُ الصليبَ]

[القضيَّة]

١ إنَّ النصارى المصوِّرينَ[١] المسيحَ وقدّيسيهِ في كنائِسِهم ويَسجدونَ لِصُورِهم هم يَمُنُّونَ في المثلِ[٢] على المسيحِ بذلك، ويستوجبونَ منهُ أعظمَ المكافأةِ. وإنَّ من تركَ * منهم ذلكَ حَرَمَ نفسَهُ ما يستوجبُ غيرُهُ من المسيحِ[٣].

ب ٢٣٥ جـ

٢ واعلموا يا إخوتي[٤] أنَّهُ لا يَمُنُّ النصارى في المثلِ على المسيح بشيءٍ مثلَ ما يَمُنُّونَ عليهِ بتصويرِهم[٥] إيّاهُ في كنائسِهم وسجودِهم لِصورتِهِ، ولا سيَّمَا[٦] إذا صوَّروهُ مصلوباً مفضوحاً.

---

(١) ب : المصورون

(٢) ب وآ : مثلا

(٣) س : من المسيح غيره

(٤) ب وس : خوتي

(٥) س : منّهم عليه اعظم من تصويرهم
ب : مثل ما يمّنوا عليه بصورتهم

(٦) س : وسيّما

[مَثَلُ المَلكِ الذي أخفى عِزَّهُ وقَبِلَ المذلَّةَ وكافأَ من بَقَوا على الولاءِ لَهُ]

٣ ونظيرُ ذلك مَلِكٌ قد ملكَ الدُّنيا كلَّها، والأحكامُ كلُّها عند حكمتِهِ جَهْلٌ.

٤ وهو أعزُّ الخَلقِ وأجلُّه. يَلبَسُ الأرجوانَ، ورأسُهُ متوَّجٌ بتاجٍ يتلألأُ، وجمالُهُ يَعدو[٧] كلَّ جمالٍ، والأبصارُ تحورُ من[٨] منظرِهِ.

٥ وقد انقطَعَ إليهِ بَشَرٌ كثيرٌ[٩]، فلاذوا به منتحلينَ محبَّتَهُ، يُكرمونَهُ[١٠] أفضلَ الكرامةِ.

٦ فرمى[١١] * هذا الملكُ بحكمتِهِ، لتدبيرِ أرادَهُ[١٢]، قد خفيَ عن[١٣] من يَطيفُ بهِ. فتنكَّرَ في حليتِهِ، وتعرَّى[١٤] من أُرجوانِهِ، وطرحَ تاجَهُ عن رأسِهِ، وانحطَّ * عن كرسيِّهِ، (س ٣٥٥ ظ) (آ ٤٨)

٧ ولَبِسَ ثوباً حقيراً دنيًّا بالياً. ثم أمكنَ على حالِهِ أعداءَهُ من نفسِهِ، فضربوهُ وفضحوهُ بأصنافِ الفضيحةِ.

٨ وحملوهُ على تعييرٍ، مستهزئينَ بهِ، يَطربونَ[١٥] حولَهُ شامتينَ بهِ، ويتهزَّأُونَ ويصيحونَ بهِ.

---

(٧) ب : يعدوا
(٨) ب وآ : عن
(٩) س : كثيرا
(١٠) ب وس : يكرموه
(١١) س : فرا، آ: فرّ، ويشير خطأ في الحاشية الى انه يرد في ب : فرى.
(١٢) ب : ارادته
(١٣) س : على
(١٤) ب وس : وتعرا
(١٥) س : يضربون

ب ٢٣٥ ظ **٩** فلمَّا كانَ ذلكَ تنحَّى [١٦] عنهُ جُلٌّ من كانَ التجأَ إليهِ [١٧] * متبرِّمينَ بهِ.

١٠ فبقيَتْ منهم طائفةٌ حقَّقوا ما كانوا يدَّعونَ من حبِّهم إيّاه.

١١ وثَبَتوا معهُ ⌝ في عارهِ [١٨]، يمشونَ حولَهُ، وهو على تعييرِ فضيحتِهِ بين أعدائِهِ.

١٢ وأعداؤُهُ يُعيِّرونَهم قائلينَ لهم: ويحكم، ما تَستحونَ [١٩] أن يكونَ هذا ملكاً لكم!

١٣ ثم يُصيحُ ⌝ هؤلاءِ بأعلى [٢٠] أصواتِهم مفتخرينَ [٢١]: ألا ليسَ لنا ملكٌ ولا سيِّدٌ ولا قُرَّةُ عينٍ غيرُ هذا.

١٤ فصُلِبُوا معَهُ كذلك، يَحمِلونَ عارَهُ، ويُشارِكونَهُ [٢٢] في أوجاعِهِ ⌝، حتّى قضى [٢٣] تدبيرَهُ اللطيفَ، ورجعَ إلى مُلكِهِ ونعيمِهِ وبهائِهِ.

س ٣٥٦ جـ **١٥** ألم يكنِ المَلِكُ، إذا كانَ هذا، يحملُ أُولئك في المِثْلِ على [٢٤] رأسِهِ *، ويفرشُهم [٢٥] مُلكَهُ أجمعَ ويقولُ:

١٦ أنتم الذين شاركتُموني [٢٥'] في صَغاري، فمُباحٌ لكم نعيمي.

---

(١٦) س وب : تنحّا

(١٧) س : جاء به

(١٨) س : — في عاره،

ب : في معاره.

(١٩) آ : + من

(٢٠) س وب : هاولى بأعلا

(٢١) س : فاخرين

(٢٢) آ : يشركون

ب وس : ويشركونه

(٢٣) س : حتا قضا، ب: حتى قضا

(٢٤) س : فوق

(٢٥) س : ويرهم

(٢٥') آب وس : اشركتموني

١٧ فأنتم لَعَمري[٢٦] الأحبَّةُ الذين لا غِشَّ في حبِّكم، الذين كنتم تُكرموني وأنا في ملكي، لا رغبةً في ما كانَ يَصِلُ من خيري إليكم، بل حُبًّا لي من القلبِ كُلِّهِ.

[تطبيقُ المَثَلِ على النصارى الذين يفخرونَ بصورةِ صليبِ المسيح]

١٨ وكذلكَ نحنُ النصارى، إذا صوَّرنا المسيحَ في كنائسنا مصلوباً مفضوحاً، فأبصرَهُ غيرُنا قائلينَ لنا:

ب ٢٣٦ جـ ١٩ ويحَكم! ما تستحونَ من أنَّ * هذا إلهُكم!

٢٠ قُلنا نحنُ بأعلى[٢٧] أصواتِنا: نعم هذا مخلِّصُنا ورجاؤُنا وسرورُنا.

٢١ فهو يكافِئُنا على ذلكَ بقدرِ كرمِهِ مكافأةً[٢٨] ليست بدونِ مكافأةِ الشُّهداءِ، إن لم يكن في القولِ سَرَفٌ، للذين فخروا بصليبِهِ وفضيحتِهِ بينَ يدَيِ المُلوكِ.

٢٢ ويُعْدَمُ هذه الكرامةَ التي ننالُها بذلكَ نحنُ، من يتبرَّمُ بصورتِهِ ويصدُّ عنها، ويمتنعُ من السجودِ لها.

آ ٤٩ ٢٣ ويكونُ فعلُهُ يُحرِمُهُ ما كانَ يستوجبُهُ من المسيحِ بِمَا * لعلَّهُ يحتملُ في شأنِهِ من ⌐ الذُّلِّ ولواحقِهِ[٢٩]، لإيصالِهِ المحقرَةَ إليهِ، باستحقارِهِ صورتَهُ.

---

(٢٦) س : – لعمرى
(٢٧) ب وس : بأعلا
(٢٨) س : – مكافأة

(٢٩) ب : الذل اللواحقة،
آ : الذلة اللاحقة

[كيف يُمكِنُنا أن نَمُنَّ على المسيح]

٢٤ ولا يُنكِرَنَّ أحدٌ قولَنا: إنَّا(٣٠) نَمُنُّ على المسيحِ.

س ٣٥٦ ظ **٢٥** فقد يقولُ كتابُ اللهِ: إنَّ من أعطى المساكينَ(٣١) فهو * يُقرِضُ اللهَ(٣٢). فكما جازَ أن يُقرَضَ اللهُ(٣٣)، كذلك(٣٤) جازَ أن يُمَنَّ عليهِ.

[تصويرُنا صليبَ المسيحِ يوضحُ بالأكثرِ تعلُّقَنا المجرَّدَ بهِ]

٢٦ وإنْ قالَ قائلٌ: إنَّ البرّانيّين قد(٣٥) يُعيِّرونَنا بصليبِ المسيحِ من غيرِ أن(٣٦) يَرَوا هذه الصُّوَرَ،

٢٧ فليعلمْ هذا أنَّ الداخلينَ كنائِسَنا من أولٰئك، لو لم يكنْ(٣٧) في كنائِسِنا هذه الصُّوَرُ لكانَ أكثرُهم(٣٨) لا يَخطُرُ على قلوبِهم ما(٣٩) قد ذكرنا.

٢٨ فأمَّا الصُّوَرُ(٤٠) فهي التي تُشْهِيهم أن يُعَيِّرونا.

ب ٢٣٦ ظ **٢٩** وإنَّما نُشبِهُ نحنُ مُصَوِّري هذه الصُّوَرِ(٤١) * في كنائسِنا أصحابَ ملكٍ، من شِدَّةِ(٤٢) معرفتِهم بفضلِ ملكِهم، يفخرونَ بما

---

(٣٠) س : انما
(٣١) س : اعطا المسكين،
ب : اعطا المساكين
(٣٢) امثال ١٩/١٧
(٣٣) ب وآ : – فكما جاز ان يقرض الله
(٣٤) ب وآ : فكذلك
(٣٥) ب وآ : – قد
(٣٦) ب : – أن
(٣٧) ب : يكون
(٣٨) س وب وآ: لكانوا اكثر ذلك
(٣٩) آ : مما
(٤٠) ب وس : الصوره
(٤١) س : الصوره
(٤٢) ب وآ : هذه

يُظَنُّ(٤٣) أنقصَ مناقِصِه ، فَخْرَ(٤٤) غيرِهم بأكرمِ مكارمِ ملوكِهم .

٣٠ فهم من طَرَبِهم على ذلك وشدّةِ إعجابِهم بهِ ، قد رسَمُوا مناقصَ ملكِهم على وجوهِهم وأيديهم(٤٥) وثيابِهم .

٣١ متعرِّضينَ للتعييرِ في شأنِهِ من المُصَغِّرينَ بهِ .

٣٢ وفخرُ(٤٦) أولئك أن يتدبَّروا ما يَستسمجونَ(٤٧) من تدبيرِهم بعقولٍ رزينةٍ(٤٨) ،

٣٣ حتى يَغُوصوا على حُسْنِهِ(٤٩) الذي هو أنصعُ من الشمسِ ، كيمَا يتحوَّلوا إليه ،

س ٣٥٧ جـ

٣٤ فيُسْعَدوا أكملَ السعادةِ التي * بكرمِهِ ، يلتمسُ أن يوصِلَها إلى جميعِ الناس .

٣٥ فكم هذا يزيدُ من منزلتِهم عند الملكِ بما لا يُقدَّر(٥٠) .

[خُلاصة الفصل]

٣٦ إذاً طوبى(٥١) لِمن صوَّرَ ربَّنا وسجدَ لصورتِهِ بالسببِ الذي ذكرنا ،

---

(٤٣) س : + غيرهم أنه
(٤٤) آ : اذا فخر
(٤٥) ب : ويديهم
(٤٦) ب : وحقّر
(٤٧) ب : ما يستسمجوا
(٤٨) ب وآ : لعقول رزينة
(٤٩) ب : حسّه ، آ: حبّه
(٥٠) آ : الا يقادر ،
ب وس : ما لا يقادر
(٥١) س وب : طوبا

٣٧ وصوَّرَ قدّيسيهِ وسجدَ لِصُوَرِهم تكرمةً لهم ، ومعرفةً بقِصَّتِهم ، واستعانةً بصلواتِهم ، وتحرُّكاً إلى [٥٢] الإقتداءِ بهم .

٣٨ والويلُ كلُّه لِمَن تركَ ذلك .

[خاتمة المقال]

٣٩ إقبَلْ هذا القربانَ من خِسارتِنا يا أخانا أنبا يَنَّه .

ب ٢٣٧ جـ آ ٥٠

٤٠ ولتكنْ [٥٣] مكافأتُنا منكَ بطاعتِنا إيّاك * أن تَذكُرَنا [٥٤] أبداً في صلواتِك ،

٤١ وتدعوَ [٥٥] المسيحَ أن يُحِمَّ عقولَنا بروحِهِ القدّيسِ ،

٤٢ ويُلهِمَنا معرفةَ طبيعةِ لاهوتِهِ [٥٦] وناسوتِهِ ، ووحدانيَّةَ أُقنومِهِ [٥٧] ، والسجودَ لصورةِ تأنُّسِهِ ، وصُوَرِ قدّيسيهِ ،

٤٣ وأن يجعلَنا صورةً لهُ بالحقيقةِ تُرى [٥٨] في أنفسِنا ها هنا كفي المِرآةِ الناصعةِ صَقالتُها [٥٩] .

---

(٥٢) س : الا

(٥٣) س : ولكن

(٥٤) آ : تذكرني

(٥٥) س : وتدعوا

(٥٦) ب وآ : الاهوته ، س : الهوته

(٥٧) س : قنومه

(٥٨) س : ترا

(٥٩) ب وآ : سقالتها

٤٤ وأن ينقلَنا من هذه الدارِ إلى محلَّةِ قدّيسيهِ ، حتّى[٦٠] نَراهُ معَهم يومئذٍ مواجهةً ، ونتنعَّمَ[٦١] بجلالِهِ الذي لا يُملُّ[٦٢] .

٤٥ لهُ التسبحةُ والكرامةُ والعظمةُ والوقارُ ، مع أبيهِ وروحِهِ الطاهرِ ، من الآنَ وإلى دهرِ الأدهارِ . آمين[٦٣] .

[خاتمةُ ناسخ ب]

كَمُلَ قولُ أبينا القدّيسِ الطاهرِ أنبا تَذْرُسَ أُسقُفِ حرّان ، أبي قُرَّة ، يحفظُنا الربُّ بصلواتِهِ وأمثالِهِ من الأبرار . آمين.

[خاتمةُ ناسخ س]

كَمُلَتِ الأربعةُ وعشرونَ فصلاً على سجودِ الصُّوَرِ .

---

(٦٠) س : حتا
(٦١) ب وآ : ونتناعم
(٦٢) س : التي لا تمل
(٦٣) س : له المجد والشكر والحمد والسرور مع أبيه والكرامة والرحمه الى الدهر، آمين، آمين.

القسم الثالث

الفهارس

فهرس نصوص الكتاب المقدّس الواردة في المقال

الأرقام الأولى تدلُّ على النصّ الكتابيّ ،
والأرقام التالية تشيرُ إلى موقعِها في المقال.

نضعُ إشارةً + قبلَ النصِّ الكتابيِّ الذي
يستشهدُ به الكاتبُ دون أن يوردَهُ كاملاً.

+ ٢/١٩ في ٩/٢٢
+ ٦/٩ و ٧/٢٣ – ٢٥ في ١٠/١٤ و ٢٠/٦
+ ٨/٩ – ١٠ في ١٦/٣
+ ١١/٣٤ في ١٤/١٢
+ ١٧/١ في ١٤/٨
+ ١٨/٣٠ – ٣٩ في ٢٠/٢٣
+ ١٩/٨ في ٢٠/١٦

٢ ملوك (٤ ملوك)

٢/١٥ في ٩/٢٤
+ ٥/١٤ في ٤/٩
+ ٦/٥ – ٧ في ٤/٩
+ ١٨/٤ في ١٨/٣٢

١ أخبار الأيام («سفر النواقص»)

+ ٢٨/١١ – ١٩ في ٢٠/٧
٢٩/٢٠ في ٩/٢٣

٢ أخبار الأيام («سفر النواقص»)

+ ٣/١٠ – ١٣ في ١٠/١٢
+ ٧/١ في ١٦/٥

١ مكابين («المقابيّة»)

+ ٢/٤١ في ٢٠/١٠

٢ مكابين («المقابية»)

٧/١ – ٤١ في ٢٠/١١ – ١٢

المزامير

٥/٨ في ١١/١٦
٢٨ (٢٧)/٢ في ١١/١٦
+ ٧٢ (٧١)/١١ في ٩/٣٠
٩٦ (٩٥)/في ٩/٣٣
+ ٩٩ (٩٨)/٥ في ١٧/١٣
١٣٢ (١٣١)/٦ في ١٥/١٦
١٣٢ (١٣١)/٧ في ١١/١٦
١٣٢ (١٣١)/٨ في ١٥/١٣
١٣٢ (١٣١)/١٣ و ١٤ في ١١/١٨

الأمثال

١٩/١٧ في ٢٤/٢٥

أشعيا

٦/٥ في ١١/٤٣
١٩/١ في ١٥/١٧
٤٩/١٤ – ١٧ في ١٣/٣ – ٤
٥٦/١ في ١٨/١٤
+ ٥٨/١٣ في ٢٠/١٥
٦٦/١ في ١٧/٤

النصوص القرآنيّة الواردة في المقال

فهرس أسماء الأعلام الواردة في المقال

أولاً – اسم الجلالة : الله

ثانياً – اسماء الأقانيم الثلاثة

ثالثاً – فهرس أعلام الأشخاص

رابعاً – فهرس الأسماء الجغرافية

خامساً – أسماء الشعوب والمِلل

فهرس أهمّ المفردات

الدكتور اسد رستم، حربٌ في الكنائس، بيروت ١٩٥٨.

الارشمندريت انطون هبي، الصُّوَرَ المقدَّسة او الأيقونات، بيروت ١٩٦٨

القديس باسيليوس الكبير، مقال عن الروح القدس، عرّبهُ الارشمندريت ادريانوس شكور، ١٩٧٩

أحمد تيمور باشا، التصوير عند العرب، القاهرة ١٩٤٢

EUSEBE DE CESAREE, *Histoire ecclésiastique,* P.G., t. 20.

JEAN DAMASCENE, *Discours pour la défense des Saintes Icônes,* P.G., t.94, col 1231-1420.

L. OUSPENSKY, *Théologie de l'Icône,* éd. du Cerf 1980.

M. GRABAR, *L'iconoclasme byzantin,* Paris 1957.

LEONCE DE CHYPRE, *Défense des chrétiens contre les juifs au sujet des saintes Icônes,* P.G., t. 93, col 1597-1610.

La Passion de St Etienne le jeune, P.G., t. 100, col 1112-1117.

Dict. d'archéologie et de liturgie, articles *Hémorroïs, Panéas.*

H. LAMMENS, *L'attitude de l'islam primitif en face des arts figurés.*

CRESWELL, *Early Muslim Architecture.*

BIBLIOGRAPHIE SUCCINTE

J. ARENDZEN, *Theodori Abukurra de cultu imaginum libellus e codice arabico nunc primum editus latine versus illustratus,* Bonn, 1897.

قسطنطين باشا ، ميامر ثاوذورس أبي قُرّة أُسقف حرّان ، أقدم تأليف عربيّ نصرانيّ ، عُنيَ بطبعه الفقيرُ اليهِ تعالى الخوري قسطنطين باشا ، أحد رهبان دير المخلص ، بيروت ١٩٠٤ .

I. DICK, *Deux écrits inédits de Théodore Abuqurra,* dans *Le Muséon* 72 (1959) p. 53-67.
— *La passion arabe de St Antoine Ruwah, néo-martyr de Damas* (+ 25 Déc. 799), dans *Le Muséon* 1961, p. 109-133.
— *Théodore Abuqurra, Traité de l'existence du Créateur et de la vraie religion, introduction et texte critique (Patrimoine arabe chrétien* 3, Beyrouth 1982).

G. GRAF, *Die arabischen Schriften des Theodor Abu Qurra, Bischoffs von Harran (ca 740-820),* dans *Forschungen zur christlichen Literatur und Dogmen Geschichte,* Paderborn, 1910.
— *Geschischte der christlichen arabischen Literatur,* Studi e testi 133, Città del Vaticano 1947.

GRIFFITH S. H., *Some unpublished Arabic Sayings attributed to Theodore Abu Qurrah,* in *Le Muséon* t. 92 (1979), p. 29-35.

AL BIROUNI, *Les fêtes des Melkites, tiré du Livre des monuments écoulés,* éd. Robert Griveau dans *P.O.*, t: X 1915, p. 289-312.

EUTYCHIUS (Saᶜïd ibn al Bitriq), *Eutychii patriarchae alexandrini annales,* ed. L. Cheikho, in *C.S.C.O.* 51, Beyrouth 1905.

AL MASSOUDI, *Kitāb al Tanbīh wa'l-Išrāf.*

المطران غريغوريوس يوحنا ابراهيم ، السريان وحرب الايقونات ، حلب ١٩٨٠ .

Nous avons mis en relief ce qui relie ce traité aux autres écrits d'Abuqurra. Notre auteur a des idées bien définies dont il ne s'écarte pas. Notre traité offre un intérêt littéraire et historique appréciable, et sa valeur théologique dépasse le sujet précis qu'il aborde.

Le texte que nous présentons aux lecteurs est un des meilleurs textes arabo-chrétiens. Abuqurra s'y montre digne des grands théologiens.

miracle qu'il avait vu dans l'icône de Saint Théodore martyr» (16/15-16). Ce martyr est le parent du calife Haroun al-Rachid, Ruwaḥ (ou Rawḥ) le Qoraishite, qui crut au Christ à la suite d'un miracle opéré par l'icône de St Théodore. Il prit au baptême le nom d'Antoine et fut martyrisé à Raqqa. Nous avons publié sa passion dans *Le Muséon*(6). Le P. Peeters met en doute l'authenticité des miracles relatés dans la passion(11). Le témoignage d'Abuqurra, contemporain des événements, est une confirmation de poids de l'historicité de la passion.

CONCLUSION

Abuqurra entend prouver dans son traité la légitimité du culte des images et son sens véritable, montrant aux adversaires que leurs objections proviennent de leur ignorance de la réalité des mystères chrétiens.

Il le fait par souci pastoral et à la demande de «l'amba Janné», inquiet de ce que beaucoup de chrétiens, se laissant influencer par les objections des infidèles, commencent à abandonner le culte des icônes (1/1).

Sa défense est serrée et recouvre tous les aspects de la question, ne laissant aucune fissure ou échappatoire à l'adversaire. Son plan est d'une logique rigoureuse. Il excelle dans l'emploi des comparaisons et manifeste une connaissance approfondie de la Tradition et de l'Ecriture, avec un sens exégétique très poussé. Son style est plein de vie. C'est un dialogue permanent avec l'adversaire, dont il prévoit les questions et les objections et y répond d'avance.

Abuqurra, dans ce traité, ne recourt à la philosophie que rarement. Il suit la méthode des Pères. C'est un témoin et un défenseur de la foi plus qu'un logicien. Il est influencé par Jean Damascène dans ses trois discours pour la défense des images, mais il ne le copie pas. Abuqurra est toujours original, et met à la portée des Arabes la pensée de ses devanciers. Il a su dialoguer avec les chrétiens, les juifs et les musulmans tout à la fois.

---

(11) *S. Antoine le néo-martyr*, dans *Anal. Boll.* 31 (1912), p. 410-450.

3) Les prodiges opérés par les icônes; l'histoire d'Ananie.

Abuqurra raconte que beaucoup de prodiges ont été opérés par l'intermédiaire des icônes, et atteste avoir vu de ses yeux le myron suinter des ossements des saints et «guérir des maladies qui dépassent l'art médical humain». (16/13). Il raconte aussi le miracle de Tibériade signalé dans les actes du IIe concile de Nicée. Des juifs ont représenté par dérision le Christ crucifié et ont transpercé son image; il en jaillit du sang et de l'eau. La foi pénétra le cœur d'un aveugle juif présent qui se passa un peu de sang sur les yeux et fut guéri sur-le-champ. Abuqurra nous apprend que l'aveugle, qui obtint la double grâce de la vue et de la foi, s'appelait Ananie, qu'il recueillit ce qu'il put du sang et de l'eau, et les distribua en divers endroits. «Divers monastères et sanctuaires ont reçu cette eulogie, et des prodiges s'y accomplissent, selon ce que nous avons entendu des chrétiens et des non-chrétiens. L'un de ces monastères dans la contrée d'Alep s'appelle monastère d'Ananie, du nom du juif converti qui a transporté l'eulogie». (16/21).

Abuqurra est le seul, à ce que je sache, à signaler ce monastère dans la région d'Alep, et on n'a pas encore déterminé son emplacement.

4) Le sanctuaire du prophète Elisée à Salqin.

Abuqurra est le seul à signaler un sanctuaire du prophète Elisée contenant une partie de ses reliques dans la petite ville de Salqin, entre Alep et Antioche: «Les ossements du prophète Elisée ont ressuscité un mort; ils sont toujours entre les mains des chrétiens: il en coule un myron pur qui guérit les lépreux, comme nous l'avons vu de nos yeux. Ces ossements saints se trouvent dans un village appelé Salqin dans la région d'Antioche et ailleurs» (21/13-15).

5) Le martyre de St Antoine Ruwah.

Nous trouvons aussi chez Abuqurra un témoignage concernant un martyr contemporain qu'il appelle Mar Antonios: «Il y avait à notre époque-ci un martyr célèbre de la plus haute noblesse, venant de ceux du dehors et dont l'histoire est longue, que le Christ se souvienne de nous en raison de ses prières. Il s'appelle Mar Antonios, et il racontait à quiconque le rencontrait qu'il avait cru au christianisme à cause d'un

2) L'«icône» d'Edesse.

Abuqurra est un témoin de l'usage des icônes, «répandues dans toutes les églises». Il désigne d'une façon particulière l'icône du Christ, «vénérée dans notre ville bénie Edesse, surtout dans les saisons de fête et de pélerinages faits en son honneur» (23/2); cette icône était vénérée dans l'église appelée «Eglise de l'icône du Christ» (23/3).

On connaît l'importance exceptionnelle de cette icône, qui fut transférée à Constantinople en 944, en application des clauses du traité de paix entre l'empereur Romain Lécapène et les Arabes. Une fête spéciale du calendrier byzantin commémore ce transfert (le 16 août). Tout le monde pensait que l'icône remontait au Christ lui-même. «La doctrine d'Addaï» raconte qu'elle a été peinte par l'envoyé du roi d'Edesse Abgar qui venait convier Jésus à venir se réfugier à Edesse. Ne pouvant ramener Jésus avec lui, Hanan (c'était son nom) se contenta de le peindre. Un chroniqueur arménien (Moïse de Khorène) raconte que Jésus s'essuya le front avec un linge, et y a imprimé sa figure. Eusèbe, qui raconte la mission d'Abgar, ne dit mot de l'image du Christ qu'il avait ramenée avec lui. L'histoire du peintre Hanan semble tissée pour exprimer une réalité vraie mais mal perçue. L'image vénérée à Edesse serait bien l'image du Christ lui-même, mais non peinte de main d'homme. Elle ne serait que le Suaire qui a enveloppé le corps du Christ et sur lequel a déteint sa figure et toutes les lignes de son corps. Replié dans son reliquaire, il ne laissait percer que la figure authentique du Christ. Passé à Constantinople en 944, il fut par la suite transféré en Europe, et il est vénéré maintenant à Turin. Le «Saint Suaire» de Turin est l'ancienne image du Christ d'Edesse. Des spécialistes sérieux pensent qu'il est le linceul authentique du Christ[10].

Abuqurra ne parle pas de l'origine de l'image d'Edesse, mais il est témoin de la vénération toute spéciale dont elle était entourée au début du IXe siècle.

---

(10) cf. IAN WILSON, *The shrond of Turin the burial cloth of Jesus-Christ*, 1978, (traduction française aux éditions Albin Michel, le suaire de Turin Linceul du Christ.

Abuqurra, le philosophe confiant dans la raison, est aussi un fidèle convaincu. Il croit comme croit l'Eglise, et il est certain que le Christ soutient son Eglise pour la maintenir dans la vérité.

D. Intérêt historique du traité:

A part la valeur théologique du traité du culte des images, nous pouvons y glaner divers renseignements historiques intéressants: Il nous renseigne ainsi sur la mentalité des juifs et des Musulmans, sur leurs objections contre les icônes qui ont influencé beaucoup de chrétiens. Il nous fournit aussi, des témoignages concernant le culte et la vie des saints qu'Abuqurra a puisés dans les sources anciennes, ou dont il est le témoin direct et notre source unique à leur sujet.

1) L'opposition aux icônes.

Beaucoup de chrétiens se sont mis à abandonner la vénération de l'icône du Christ et de ses saints parce que les adversaires du christianisme, surtout ceux qui prétendent posséder un livre inspiré par Dieu, leur reprochent leur culte des icônes, qu'ils qualifient d'idolâtrie et de transgression des ordres de Dieu dans la Tora et les prophètes, et se moquent d'eux.

Les opposants refusent toute peinture d'êtres vivants. Ce qui les choque le plus, c'est que les chrétiens ne se contentent pas de s'incliner devant les icônes, mais se prosternent et les touchent du front.

Abuqurra est témoin de la prohibition des images en Islam qui tolère cependant la représentation des végétaux: «Les opposants prétendent que celui qui représente un être vivant est condamné dans l'au-delà à essayer en vain de lui insufler l'esprit de vie». C'est substantiellement le contenu de deux hadiṭh prophétiques relatés par Al Boukhari un demi-siècle après Abuqurra. Certains orientalistes tel le P.Lammens qui pensent que la prohibition des images n'est pas attestée dans l'Islam primitif (Jean Damascène ne fait aucune allusion à cette prohibition dans ses écrits anti-iconoclastes) voient dans ce texte d'Abuqurra une première attestation de cette prohibition qu'il fait remonter pour cela au dernier quart du 8e siècle.

c) Les principaux mystères chrétiens:

Abuqurra mentionne les principaux mystères chrétiens, non pour les rapprocher de la raison, comme il le fait dans ses autres traités, mais pour montrer leur sublimité. Si nous acceptons ces mystères, malgré les objections des non-chrétiens, pourquoi nous attarder aux objections de ceux-ci contre le culte des icônes?.

Le premier mystère est celui de la Trinité, qui paraît folie aux non-chrétiens. Abuqurra exprime le contenu de ce mystère en formules brèves analogues à celles que nous trouvons dans ses autres traités: «Dieu a un Fils qui lui est égal et de sa substance... Ce Fils est né de Dieu; Dieu n'est pas antérieur à Lui... Le Père, le Fils et l'Esprit-Saint sont chacun Dieu parfait, mais ne sont pas trois Dieux, mais un seul Dieu» (2/7-9). «Dieu possède un Fils et un Esprit dont chacun est Dieu parfait et de sa substance et méritent l'adoration comme lui... Allah possède un Fils et un Esprit qui sont Dieu comme Allah et de sa substance» 18/23,26.

Le deuxième mystère est l'abaissement de Dieu, dans sa miséricorde, pour le salut de l'homme; cet abaissement s'est réalisé dans la personne du Fils qui a habité dans le sein de Marie, et s'est incarné et est né d'elle (2/10); cet abaissement n'affecte en rien la sublimité de la Substance divine (5/22).

Abuqurra aborde aussi les mystères-sacrements de l'eucharistie et du baptême dont les effets dépassent la raison. Abuqurra croit à la réalité de la conversion substantielle malgré la permanence des apparences du pain. (Cfr. son traité grec n⁰ 22, P.G.t 97,col. 1551-1553): «Que pensez-vous qu'ils disent s'ils voient les chrétiens amener sur leurs autels du pain et du vin, sur lesquels ils prononcent des paroles, puis les reçoivent en communion, disant que c'est la chair et le sang du Christ, alors qu'ils voient qu'ils n'ont pas changé, et qu'ils sont retirés tels qu'ils ont été posés; et s'ils nous voient verser de l'eau dans un bassin et le bénir avec des paroles, puis nous voient y plonger un homme, puis le retirer, disant que cet homme était vieux et corrompu avant son baptême, et qu'il est devenu par la suite homme nouveau, sain et fils de Dieu, après qu'il était fils de la chair» (2/12-13; cf. aussi 7/4-5, 16/7-9).

C. La foi chrétienne:

Au cours de son apologie en faveur des icônes, basée surtout sur l'Ecriture et la Tradtion, Abuqurra aborde en passant divers points théologiques importants où il se montre un témoin fidèle de la foi de l'Eglise à son époque et un théologien minutieux et équilibré.

Il y a d'abord la question qui l'a occupé toute sa vie, et qui concerne la relation entre la foi et la raison: la religion chrétienne est attestée vraie par la raison à l'encontre des autres religions. Mais ses vérités restent des mystères dépassant la sagesse du monde et la raison humaine. Abuqurra cite les principaux mystères chrétiens; la Trinité et l'Incarnation dans le domaine du dogme, l'eucharistie et le baptême dans le domaine du culte.

a) La vérité de la religion chrétienne est prouvée par la raison. Abuqurra ne développe pas sa preuve et renvoie à ses ouvrages antérieurs où il a démontré l'origine divine de l'Evangile. «La raison n'accepte que l'Evangile et ce que confirme l'Evangile» (allusion à l'Ancien Testament, dont la vérité n'est attestée que par le Nouveau: position analogue à celle qu'il prend dans son traité du Créateur et de la vraie religion, 15/4 et 6).Il rappelle en bref, comme argument principal, les miracles opérés par les apôtres. La raison, reconnaissant la véracité des prédicateurs et la crédibilité de l'Evangile, est convaincue de la vérité de la religion chrétienne, même si elle ne comprend pas le fond de ces enseignements. C'est pourquoi on ne peut choisir parmi les divers enseignements du christianisme. Qui accepte certaines vérités et en rejette d'autres ne sait pas pour quelle raison il croit.

b) Les vérités de la religion chrétienne dépassent l'entendement et ne sont acceptées que par la grâce de l'Esprit-Saint.

Le christianisme est une sagesse qui dépasse la sagesse de ceux de ce monde, qui la traitent pour cela de folie, comme le dit St Paul. La Sagesse chrétienne n'est acceptée que dans la foi et par la vertu de l'Esprit-Saint, mais elle reste une véritable lumière et une conviction raisonnée. Les chrétiens, forts de l'Esprit-Saint, n'ont plus besoin de prodiges et de manifestations éclatantes, comme les gens de l'Ancien testament, pour être en contact avec les mystères de Dieu.

b) La Tradition:

L'Ecriture n'est pas la source unique de la révélation. L'Eglise tient fermement, comme appartenant au fonts chrétien originaire, beaucoup de rites et de pratiques non mentionnés dans l'Ecriture, tels que les paroles consécratoires de l'Eucharistie, la liturgie du baptême et de la chrismation, la chirotonie, et ainsi le culte des icônes.

La Tradition ecclésiastique authentique, c'est-à-dire ce qui nous est parvenu par voie de transmission depuis les temps apostoliques, se retrouve dans l'usage commun et universel de l'Eglise et dans l'enseignement des Pères.

- L'usage ecclésiastique:

Ce qui est d'un usage commun et universel dans l'Eglise doit remonter aux sources et ne peut être une innovation contraire à la volonté divine, car le Christ aurait abandonné son Eglise, la laissant tomber dans l'erreur, alors qu'il a promis d'être toujours avec elle.

- La doctrine des Pères:

Abuqurra affirme la place éminente qu'occupent les Saints Pères dans l'Eglise. Ceux qui s'écartent de leur doctrine se placent hors de l'Eglise.

Abuqurra cite d'une façon particulière Athanase d'Alexandrie, Grégoire le Théologien et Eusèbe de Césarée. Il éclaire par une comparaison suggestive la relation intime entre l'enseignement des Pères et l'Ecriture: «La parole des apôtres et des prophètes est comme du froment qui reste de peu d'utilité pour les hommes tant qu'il est entier. Les Pères ressemblent à quelqu'un qui prend ce froment, le fait moudre, le pétrit et en fait un pain, et manifeste ainsi la force qui était en lui et qui demeurait cachée tant qu'il était entier» (8/35-37). L'enseignement des Pères n'est donc pas essentiellement autre que celui de l'Ecriture. La relation intime entre l'Ecriture et la Tradition, remise aujourd'hui en valeur, se trouve affirmée d'une façon éloquente chez notre auteur.

Un autre argument en faveur de la légitimité du culte des icônes, à part l'usage commun de l'Eglise et le témoignage des Pères, est tiré des faits miraculeux qui accompagent leur culte, comme le myron, ou huile parfumée qui suinte des icônes et qui opère des guérisons étranges, et certains prodiges qui ont été la cause de conversion d'infidèles.

Le culte des icônes est non seulement légitime, mais source de grâces, car le Christ considère la vénération de son icône comme un signe de l'amour et de la vénération de sa propre personne.

B. Les Fonts théologiques: l'Ecriture et la Tradition

Pour prouver la légitimité du culte des icônes, objet principal de son traité, Abuqurra s'appuie sur ce que dit la raison de la relation naturelle entre le signe et le signifié, entre l'image et ce qu'elle représente. Mais il insiste surtout sur ce que dit la Révélation à ce sujet. La Révélation, qui est la Parole de Dieu et l'expression de sa volonté, se trouve non seulement dans l'Ecriture sainte, mais aussi dans la Tradition ecclésiastique.

a) L'Ecriture Sainte:

Abuqurra est expert dans la connaissance de l'Ecriture. L'index des citations bibliques que nous publions dans ce volume montre l'importance qu'attache Abuqurra au Livre de Dieu pour appuyer la vérité qu'il veut établir. Il s'attarde surtout sur l'Ancien Testament, qui semble réprouver le culte des images, pour montrer l'attitude réelle de la Bible à ce sujet.

Abuqurra reconnaît la valeur de l'Ancien Testament comme du Nouveau. Mais l'Ancien Testament reste imparfait sans le Nouveau. C'est l'Evangile qui appuie la vérité de l'Ancien Testament. La Révélation de l'Ancien Testament est incomplète et sa législation imparfaite, parce que Dieu a tenu compte du peu d'intelligence des Israélites et de la dureté de leur cœur.

Les interdits de l'Ancien Testament et certaines licences accordées sont le fait d'une pédagogie divine qui traite les Israélites comme des enfants, et ne manifestent pas la volonté réelle du Législateur divin, qui n'est devenue claire que dans la Loi Nouvelle.

vénère les icônes ne vénère pas le bois et les couleurs, mais le Christ et les saints qu'elles représentent. Car ce qui importe, c'est l'intentionalité.

Il y a un lien intime entre l'image et ce qu'elle représente; la vénération ou l'injure faites à l'image s'adressent en fait à la Personne représentée.

3. L'interdiction de l'Ancien Testament n'est ni absolue ni définitive.

Le précepte d'Exode 20/2-7 interdisant toute représentation n'est pas absolu, car Dieu demande à Moïse de confectionner les chérubins d'or des deux côtés du propitiatoire, de même le serpent d'airain; Salomon fabriqua des représentations d'êtres vivants pour le temple. Dieu entend interdire aux Israélites de représenter ce qu'ils étaient tentés d'adorer. Mais comme ils n'étaient pas capables de discerner le bon usage des images du culte des idoles, il promulga sa prohibition sous une forme générale. Ce n'est plus le cas pour les chrétiens. La prohibition des images dans l'Ancien Testament est analogue aux prohibitions alimentaires temporaires et occasionelles, car rien de ce qu'a créé Dieu n'est impur.

4. Abuqurra pense que le culte des icônes remonte aux Apôtres, qui ont compris que l'interdiction de l'Ancien Testament était périmée, tout comme la distinction entre aliments purs et impurs. Mais comment peut-on savoir que le culte des icônes remonte aux temps apostoliques, alors que nous ne trouvons rien à leur sujet dans les écrits néo-testamentaires? Abuqurra répond: Beaucoup de choses sont reçues fermement par l'Eglise par tradition, bien qu'elles ne soient pas mentionnées dans l'Ecriture. L'usage des icônes est généralisé dans le monde. Si cet usage n'était pas reçu dès les origines, le Christ aurait laissé tomber son Eglise dans l'erreur.

Les Saints Pères, qui jouissent d'une grande autorité dans l'Eglise, attestent la légitimité du culte des icônes. Abuqurra s'attarde surtout sur le témoignage d'Eusèbe de Césarée concernant la statue d'airain érigée à Panéas (Césarée de Philippe), par l'hémorroise guérie par le Christ en l'honneur de son bienfaiteur[9].

---

(9) EUSÈBE DE CÉSARÉE, *Histoire ecclésiastique*, livre 8, ch. 18, P.G., t. 20

Abuqurra donne notamment l'exemple d'Abraham qui intercède pour Sodome, de Moïse qui détourne la colère de Dieu contre les Israélites après l'adoration du veau d'or, d'Elie dont la prière arrête la pluie puis la fait tomber. Les amis de Dieu ont ce pouvoir non seulement de leur vivant, mais après leur mort. Dieu a été clément envers son peuple à cause d'Abraham. d'Isaac et de Jacob et à cause de David.

Les saint nous conduisent à Dieu. Qui s'adresse à un saint ou vénère son icône amène ce saint à intercéder pour lui.

La plus vénérable parmi les saints est «Marie, l'arche du Seigneur, qu'a habitée le Verbe Incarné, qui a été divinisée et n'a point été souillée par le péché, comme l'arche était faite de bois pur recouvert d'or de l'extérieur et de l'intérieur» (15/7).

c) Les saintes icônes:

1. Les icônes manifestent la présence de l'Invisible. Dieu s'est manifesté au peuple à travers des signes sensibles, tels les chérubins du propitiatoire recouvrant l'Arche et la colonne de nuée. Le peuple s'adressait à Dieu à travers ces signes symbolisant sa présence. De même les chrétiens s'adressent au Christ et aux Saints à travers les icônes qui rappellent leur présence.

Les icônes sont plus significatives que le livre, et elles s'adressent aux gens cultivés et aux incultes.

Les icônes ou saintes images sont au sens strict ce qui est peint avec des couleurs sur des tablettes de bois. Abuqurra fait allusion aussi aux statues de bronze ou de marbre, et il fait entrer dans la catégorie «image» les noms et les symboles. Les noms des fils d'Israël étaient gravés sur le pectoral du grand prêtre comme un rappel de leur présence devant Yahweh. Les tables de la loi sont une image de la Parole de Dieu incarnée, comme l'arche est une image de la Vierge Marie. Elles ont été vénérées en raison de ce qu'elles signifient.

2. La vénération des icônes va à ce qu'elles représentent.

De même que celui qui se prosterne dans sa prière liturgique n'entend pas adorer le mur ou le tapis que touchent les genoux et le front, mais Dieu qui est visé dans son adoration, de même celui qui

— la prostration devant d'autres que Dieu;
— l'intercession des saints;
— la peinture des icônes et leur vénération.

a) la prostration ou adoration de vénération:

Dieu a défendu d'adorer les idoles, mais n'a point défendu de se prosterner en signe de vénération devant les personnes revêtues de l'autorité ou de la sainteté. (En grec et en arabe; on emploie le même mot προσκύνησις et سجود pour dire adoration et simple prosternation. On sait comment les théologiens francs ont été choqués de la traduction latine des actes du deuxième concile de Nicée qui parlaient de l'«adoration» des icônes).

Abuqurra s'adresse d'abord aux juifs et donne divers exemples de l'Ancien Testament où les patriarches et les prophètes se prosternent devant les personnes qu'ils voulaient vénérer, notamment les rois. Puis s'adressant aux musulmans (sans les nommer par leur nom), il cite deux passages du Coran où il s'agit de prosternation devant d'autres que Dieu. Satan est sommé de se prosterner devant l'homme (sourate 2/34). Les frères de Joseph se prosternent devant Joseph (Sourate 12/100). «Qu'on cesse donc de se moquer des chrétiens du fait qu'ils se prosternent devant leurs évêques».

b) L'intercession des saints:

Les saints méritent la vénération parce qu'ils ont cultivé en eux l'image de Dieu, «quittant l'homme ancien et revêtant le nouveau, qui se renouvelle à l'image de son créateur», et sont devenus des vases de l'Esprit Saint.

Nous sommes conviés à connaître leur biographie pour être entraînés à imiter leurs exemples.

Leurs prières sont d'un grand secours pour nous. Dieu les a établis, par pure bonté, intermédiaires entre lui et ses créatures, les faisant participer à sa générosité, et ceci pour honorer les saints qui lui ont été agréables par leur obéissance et pour inciter les hommes à les imiter. C'est comme si Dieu retenait ses bienfaits jusqu'à ce que ses amis le lui demandent.

un sceau ou qu'elle reçoit une écriture (ch. 22).

- La vénération de l'image ou l'insulte qui lui est adressée, reviennent à la personne qu'elle représente (ch. 23).

- Celui qui vénère l'image du Christ mérite de lui la récompense, surtout celui qui vénère la Croix (ch. 24, 1-38).

Conclusion du Traité, (ch. 24, 39-45).
Finale du copiste.

THÉOLOGIE DU TRAITÉ

Le traité du culte des icônes n'a pas pour objet les vérités principales du christianisme, mais un aspect secondaire du culte qui a été vivement contesté du temps d'Abuqurra.

Notre auteur traite son sujet avec profondeur et sous tous ses aspects, montrant le sens du culte relatif adressé aux personnes et aux images et ses limites.

Mais l'importance théologique du traité dépasse cet aspect limité. Pour clarifier sa méthodologie et appuyer ses preuves, il traite d'un sujet abstrus de la théologie fondamentale: la valeur de la Tradition, comme deuxième source théologique à côté de l'Ecriture, et la méthode d'interprétation de la Bible, notamment la valeur relative des lois de l'Ancien Testament.

Deux points théologiques sont donc principalement traités par Abuqurra: le culte relatif et les fonts théologiques. Mais dans le cours du traité, Abuqurra est un témoin de la foi de l'Eglise de son temps concernant divers points importants dont il parle en passant, comme nous pouvons récolter dans son traité divers renseignements historiques qui ne manquent pas d'intérêt.

A. Le Culte relatif:

Abuqurra distingue le culte de latrie, dû à Dieu seul, du culte de vénération, adressé à ceux qui sont proches de Dieu ou aux objets en relation avec lui,

Abuqurra défend trois points qu'on reprochait aux chrétiens:

- Témoignages des Pères en faveur du culte des images (ch. 8).

C. Troisième section: argument scripturaire.

1) Réfutation des arguments scripturaires contre le culte des images.

- Dieu n'a pas défendu qu'on «adore» d'autres que lui; sens différents du mot adoration (ch. 9).

- Dieu n'a pas prohibé les images d'une façon absolue (ch. 10).

2) Justification du culte des images:

- Le culte des images est un culte de vénération et va à l'objet visé (ch. 11).

- Réponse à l'objecteur: les icônes ne sont pas liées à Dieu comme les formes sous lesquelles il s'est manifesté (ch. 12).

- Précisions de ce qui a été dit (ch. 13).

- L'intercession des saints et leur médiation (ch. 14).

- Les tables de la Loi ont été vénérées parce qu'elle sont l'image de l'incarnation du Christ (ch. 15).

- Les miracles sont un signe de l'action de Dieu et le manifestent à travers les saints (ch. 16).

- Argument *ad hominem* adressé aux juifs (ch. 17).

3) Explication des interdictions de l'Ancien Testament:

- L'interdiction est temporaire et motivée par la faiblesse de discernement des juifs (ch. 18).
- La législation de l'Ancien testament est imparfaite. Les préceptes de Dieu dictés à Israël ne sont pas tels que Dieu les veut, mais tels que le supportent les juifs (ch. 9).
- Réponse à une objection: On ne peut se dispenser des préceptes de Dieu que si Dieu les déclare clairement périmés (ch. 20).
Autre objection: Si vous vénérez les icônes, pourquoi ne vénérez-vous pas l'homme qui est l'icône de Dieu? (ch. 21).

D. Quatrième section: Argument de raison:

- La matière brute acquiert une valeur spéciale quand on y imprime

Il utilise aussi les arguments de raison, distinguant les divers sens du culte et développant le rôle de l'image et du sensible dans l'approche de l'Invisible. Il dépend en cela de son prédécesseur à St Sabbas St Jean Damascène, mais il sait s'écarter de lui.

Malgré les influences subies, Abuqurra reste un penseur personnel et indépendant. C'est un véritable théologien expert en exégèse, un connaisseur de la tradition et un logicien qui sait analyser le sens des signes et des images et la portée de la parole humaine.

ANALYSE DU TRAITÉ

Plan Général:

Titre
Dédicace (ch. 1).

A. Première section: Fin de non recevoir. Il ne faut pas prêter attention aux objections des non-chrétiens contre le culte des icônes.

1) Le christianisme dépasse la compréhension des non-chrétiens.

- S'il fallait prêter attention aux objections des non-chrétiens, on devrait refuser les plus importants mystères du christianisme (ch. 2).

- Le christianisme est une sagesse qui dépasse la sagesse du monde (ch. 3).

2) Les autres religions ne sont pas dépourvues non plus de mystères et de faits étranges.

- Pourquoi les juifs refusent les mystères chrétiens, alors qu'ils acceptent des choses semblables dans l'Ancien testament? (ch. 4).

- Descriptions étranges de Dieu chez les non-chrétiens, gens du Livre (ch. 5).

3) La religion chrétienne est certifiée vraie par des arguments probants (ch. 6).

B. Deuxième section: Argument tiré de la tradition.

- Préambule: l'Ecriture Sainte n'est pas la source unique de la Révélation (ch. 7).

vulgaire de beaucoup d'auteurs arabes chrétiens postérieurs. Il arabise certains mots qui sont utilisés ordinairement dans leur forme grecque. Grégoire le théologos est dit Grégoire «diseur des choses divines» (8/3). Il n'emploie point le mot أيقونة icône, mais le mot صورة , qui revient 96 fois au singulier et 109 fois au pluriel. On trouve cependant chez lui des mots transcrits du grec ou du syriaque, répandus couramment dans la langue littéraire arabo-chrétienne, tels que, مار qui veut dire Seigneur (pour désigner un saint), مرتمريم pour désigner Dame Marie, السليحيّون pour les apôtres, أرثوذكسية (la vraie foi), أقنوم (personne). Certains termes lui sont propres ou sont d'un usage rare tels اونجلسطوس transcrit du grec pour dire évangéliste, فجر transcrit du syriaque ܦܓܪܐ (corps) pour désigner le corps eucharistique du Christ. قلاقم du syriaque ܩܠܩܐ (machine de guerre), سوطلة du grec στύλος pour désigner le socle de pierre d'une statue.

La composition est d'une logique stricte; le style est digne de la meilleure prose abbasside, malgré certaines reminiscences syriaques ou grecques.

Sources:

Dans sa défense des icônes, Abuqurra est d'abord un témoin de la foi de l'Eglise et de sa tradition cultuelle. Pour convaincre les opposants, il se base principalement sur la Sainte Ecriture et les Pères de l'Eglise. Abuqurra manifeste une connaissance minutieuse de l'Ecriture, spécialement de l'Ancien Testament. Il utilise le sens historique littéral, comme il se base aussi sur les interprétations typiques et symboliques. Il manifeste une connaissance profonde du sens des lois et de leur évolution, distinguant l'intention réelle du législateur de ce qui est lié à la mentalité de l'époque.

Il a recours aussi à la tradition ecclésiastique et aux faits miraculeux émanant des icônes. Il s'appuie sur les Pères et cite Eusèbe de Césarée, le pseudo-Athanase et Grégoire le Théologien.

Dans son adresse aux musulmans il s'appuie sur le Coran, comme il fait allusion au hadith prophétique prohibant la peinture des images et le discute.

Manuscrits:

1) Le codex 4950 du British Museum. C'est le seul que connaît Arendzen. Il a été copié au monastère St Chariton au sud de Bethléém en 877, près d'un demi-siècle seulement après la mort de l'auteur.

2) Le codex 330 du Sinaï, non signalé par Graf dans son étude sur Abuqurra. Le codex n'est pas daté, mais l'écriture et la nature du papier nous permettent de le dater du Xe siècle.

L'établissement du texte:

Notre travail pour la nouvelle édition du traité comporte un essai pour une meilleure lecture du texte, et une articulation qui met en relief les diverses parties de l'ouvrage et le mouvement de pensée de l'auteur.

Nous avons établi le texte en utilisant les deux manuscrits susmentionnés, nous aidant aussi de l'édition d'Arendzen. Nous avons signalé en note ce en quoi les deux manuscrits et l'édition d'Arendzen s'écartent de notre texte.

Nous avons rarement été obligé de nous écarter des deux manuscrits à la fois; le texte étant bien conservé, un ou deux passages seulement sont corrompus et nous avons dû conjecturer le sens. Nous avons été amenés aussi à corriger l'orthographe et certaines fautes linguistiques manifestes dues aux copistes.

Le texte des manuscrits est divisé en 24 chapitres. Nous avons conservé cette division en plaçant à la tête de chaque chapitre un titre plus bref. De plus nous avons divisé chaque chapitre en paragraphes avec titres, et chaque paragraphe en versets numérotés, de sorte qu'on peut renvoyer à n'importe quelle partie du texte en indiquant le numéro du chapitre et celui du verset. Nous avons groupé les chapitres en sections de façon à montrer le déroulement logique du traité. Nous avons placé entre crochets les titres des sections, chapitres et paragraphes qui n'appartiennent pas au texte original.

Caractéristiques littéraires:

La langue d'Abuqurra est sélecte. Elle est loin de l'arabe semi-

Ruwaḥ le Qoraishite dont j'ai publié la passion dans *le Muséon*[6]. Or la passion indique comme date de sa mort Noël 799. Le Traité des icônes a du être écrit quelque temps après cette date, dans les premières années du IXe siècle. Et comme l'auteur devait se trouver dans la région d'Edesse (allusion à cette ville dans le préambule), nous pensons qu'Abuqurra a écrit son traité durant son deuxième épiscopat à Ḥarrān, c'est-à-dire après son retour de la Cour d'Arménie (815), ce qui correspond à la recrudescence de la crise iconoclaste avec l'empereur Léon l'Arménien, soit entre 815 et 820.

LE TEXTE ET LE STYLE

Travaux antérieurs:

Le traité du culte des icônes a déjà été édité en 1897 par J, Arendzen[7]. C'était le premier texte arabe édité d'Abuqurra. Le travail d'Arendzen comporte une introduction historique et littéraire de 22 pages, le texte arabe d'après le seul codex 4950 du British Museum, et une traduction latine. Le travail d'Arendzen réalisé en vue du grade de doctorat ès-lettres de l'université de Bonn, est assez sérieux mais il comporte plusieurs fautes de lecture. Il n'en reste d'ailleurs que quelques rares exemplaires dans les bibliothèques des vieilles universités.

Georges Graf donna une traduction allemande du traité avec une brève analyse dans son ouvrage *«les Ecrits arabes de Théodore Abuqurra»* paru en 1910[8].

---

(6) I. DICK, *La passion arabe de St Antoine Ruwaḥ néo-martyr de Damas* (+25 Décembre 799), dans *Le Muséon* 74 (1961), p. 109-133.

(7) J. ARENDZEN, *Theodori Abukurra de cultu imaginum libellus, e codice arabico nunc primum editus latine versus illustratus*, Bonn, 1897.

(8) G. GRAF, *Die arabischen Schriften des Theodor Abu Qurra, Bischoffs von Ḥarrān* (ca 740-820), dans *Forschungen zur christlichen literatur und Dogmen Geschichte*, Paderborn, 1910. p. 278-333.

demi-siécle seulement après la mort d'Abuqurra), attribue expressément le traité à notre auteur.

Divers critères internes nous amènent à reconnaître le bien fondé de cette attribution: L'auteur du traité renvoie à des écrits antérieurs qui correspondent à des œuvres connues d'Abuqurra. Le style et la pensée de l'auteur concernant la relation entre la foi et la raison correspondent à ceux des écrits d'Abuqurra; plusieurs locutions et passages se retrouvent tels quels dans ses écrits.

Date de composition

Toute la carrière et la vie d'Abuqurra se sont déroulées durant la crise iconoclaste. Il est né en 750 sous le règne de Constantin V Copronyme, et il est mort entre 825 et 830, avant le triomphe final de l'orthodoxie avec Théodora. Dans quelle phase de cette longue crise a-t-il écrit son traité?

G. Graf pense que le traité a été écrit avant 787, année où s'est réuni le deuxième concile de Nicée (le 7ème concile œcuménique) qui a sanctionné la légitimité du culte des icônes et condamné l'iconoclasme. En effet Abuqurra, qui donne par ailleurs beaucoup d'importance à l'argument conciliaire, ne fait aucune allusion au concile de Nicée II. Nous avons discuté cette opinion de Graf dans notre premier ouvrage: *Théodore Abuqurra, Traité de l'existence du créateur et de la vrai religion*, p. 54 - 56. Rien ne nous oblige à admettre que notre traité a été écrit avant 787. Le VIIe concile était mis en cause par les iconoclastes, et jusqu'au XIe s. les Eglises Melkites ne reconnaissaient que 6 conciles œcuméniques.

Un passage de notre traité fait allusion à un événement contemporain que nous avons pu dater d'une façon précise: «Il y eut à notre époque même un martyr célèbre, de la plus haute noblesse, venant de ceux du dehors, et dont l'histoire est longue (que le Christ se souvienne de nous en raison de ses prières); il s'appelle Mar Antoine, et il disait à quiconque le rencontrait qu'il avait cru au christianisme à cause d'un miracle qu'il avait vu dans l'icône de saint Théodore, martyr» (16/15-16). Mar Antoine est sans contredit Saint Antoine

son père Constantin dans sa lutte contre ceux qui vénèrent les icônes et les images, parce qu'il était orthodoxe»[3].

Le chroniqueur byzantin Théophane, contemporain des événements, croit à des influences monophysites exercées sur les empereurs iconoclastes venus des régions orientales de l'Empire. Dans la vie de St Etienne le jeune, martyrisé en 764 sous le règne de Constantin V, il est raconté qu'Etienne, haranguant les moines réunis autour de lui au sujet des icônes, attribuait les vexations subies aux juifs et aux Syriens[4].

Le préambule du traité d'Abuqurra sur le culte des icônes nous apprend que les idées opposées au culte des icônes commençaient à se répandre à Edesse même, cœur de l'Eglise syrienne: «Tu nous a appris, frère saint, amba Janné, alors que tu étais chez nous à Edesse, que beaucoup de chrétiens abandonnent l'adoration de l'icône du Christ notre Dieu qui a pu être dessiné en icône par suite de son incarnation du Saint-Esprit et de la Vierge Marie»... (1/1). La question reste cependant posée: les Syriens ont-ils allumé la guerre contre les icônes dans le monde byzantin, ou son étincelle les a gagnés de là-bas? Mais ce qui reste sûr, c'est que les chrétiens de Syrie ne restèrent pas en marge de la crise des icônes, et Théodore Abuqurra s'est engagé à prendre leur défense dans le mimar dont nous traitons, obtempérant à la demande «du Père saint amba Janné».

Authenticité

L'authenticité de l'attribution de notre traité à Abuqurra est attestée d'une façon privilégiée. Le chroniqueur melkite Eutychius, patriarche d'Alexandrie, qui écrit au début du Xe s., signale que «Abuqurra est aussi de ceux qui avaient établi le culte des images; et il avait composé pour cela un livre qu'il intitule: Mayamer du culte des images»[5]. Le manuscrit 4950 du British Museum, transcrit en 877, (un

---

(3) Cité par Mgr. Youhanna Ibrahim lui-même dans le livre sus-indiqué, p. 35.

(4) *Vie de St Etienne le jeune,* P.G., t. 100, col 1112-1117.

(5) *Eutychii patriarche Alexandrini annales,* ed. L. CHEIKHO, C.S.C.O. 50-51, t. II, p. 64, ligne 14.

iconoclaste et, derrière eux, les juifs et les musulmans qui reprochent aux chrétiens la peinture des icônes et leur culte.

Abuqurra occupe une place particulière parmi les écrivains ecclésiastiques défenseurs des icônes, car il écrit dans un milieu arabe et pour des arabes. Il nous révèle la mentalité qui régnait dans certains milieux syriens des régions limitrophes de l'Empire byzantin. On a beaucoup parlé des influences qu'auraient subies les empereurs isauriens iconoclastes de la part de leurs voisins syriens et arabes répugants au culte des icônes. Plusieurs empereurs isauriens étaient sympathisants de l'Eglise syrienne non-chalcédonienne. Certains ont même vu dans l'iconoclasme une conclusion théologique de la christologie monophysite.

Certains auteurs syriens orthodoxes contemporains répugnent à admettre une quelconque influence de leur Eglise sur le mouvement iconoclaste(2). De fait l'Eglise syrienne officielle n'a pas encouragé l'iconoclasme. Mais il semble bien qu'au concile de Hieria (754) l'empereur Constantin V Copronyme, qui se piquait de théologie, s'appuya sur des thèses monophysites pour tirer des conclusions indues contre le culte des icônes. Les historiens syriens anciens ne cachent pas les sympathies que nourrissaient les empereurs iconoclastes pour leur Eglise. Barhebraeus, relatant les décisions du concile de Hieria convoqué par Constantin V, qui condamnent le culte des images et leurs défenseurs Germain de Constantinople, Jean Damascène et Georges de Chypre, «tous trois partisans de Maxime le Confesseur», affirme: «C'est pourquoi les Chalcédoniens l'ont haï, alors que Constantin avait le jugement droit et était de foi orthodoxe». Au sujet de Léon IV il note: «Léon IV était orthodoxe quand il succéda à son père Constantin V; et sur la foi d'un historien chalcédonien, il aurait empêché le culte des icônes. C'est pourquoi on a dit qu'il était orthodoxe, c'est-à-dire non chalcédonien... Léon IV suivit les traces de

---

(2) MGR. GRÉGOIRE YOUHANNA IBRAHIM, *Les Syriens et la guerre des Icônes* (en arabe), Alep 1980, p. 11.

INTRODUCTION GÉNÉRALE
AU TRAITÉ DU CULTE DES ICONES

L'AUTEUR ET L'AMBIANCE HISTORIQUE[1].

Abuqurra constitue un chaînon qui relie les Pères Grecs aux écrivains arabes chrétiens. Il est d'une part héritier de la pensée de St Jean Damascène qu'il a suivi de près au monastère de St Sabbas, et exactement contemporain de son homonyme Théodore Studite (+826), dont il a partagé les préoccupations. Il a développé la théologie trinitaire et la christologie dans la ligne des Pères. Barhebraeus le met sur le même pied que Jean Damascène et Maxime le Confesseur.

D'autre part, il a connu l'ouverture intellectuelle des Arabes musulmans au temps d'Al-Rachid et d'Al-Ma'moun. Il a inauguré un véritable dialogue avec eux, et essayé de présenter le dogme chrétien dans un langage qui leur soit accessible: il est ainsi un pionnier de la littérature arabe chrétienne.

Abuqurra n'était pas étranger aux problèmes de l'Eglise de son temps. S'il traite des mystères essentiels du Christianisme, il s'attache aussi, comme Jean Damascène et Théodore Studite, à défendre les saintes icônes et la légitimité de leur culte, au cœur de la crise iconoclaste et de la campagne acharnée menée par les empereurs byzantins contre leurs dévots. Le Studite affronta les empereurs iconoclastes en face. Jean Damascène s'en prend à eux, étant bien à l'abri dans les terres arabes. Abuqurra s'adresse en arabe à ses compatriotes qui avaient commencé à mettre en cause la légitimité du culte des icônes; il a en vue les chrétiens atteints par la propagande

---

(1) Pour plus de détails, voir notre introduction générale à Théodore Abuqurra dans I. DICK, *Théodore Abuqurra, traité de l'existence du créateur et de la vraie religion,* 1982 (Patrimoine Arabe Chrétien, 3).

PATRIMOINE ARABE CHRETIEN

Textes et Etudes de Littérature Arabe Chrétienne Ancienne
sous la direction de Mgr **Néophytos EDELBY**
avec la collaboration du **P. Kh. SAMIR, S.J.**

10

THÉODORE ABUQURRA

TRAITÉ DU CULTE DES ICONES

Introduction et texte critique

par

le Père Dr. Ignace DICK
DU CLERGÉ GREC MELKITE CATHOLIQUE D'ALEP

Patrimoine Arabe Chrétien
couvent St. Michel
Zouk Mikhaël B.P. 44
LIBAN

Librairie Saint-Paul
Jounieh, B.P. 125
LIBAN

Pontificio Istituto Orientale
Piazza Santa Maria Maggiore, 7
00185 Roma - ITALIA

1986



10

THÉODORE ABUQURRA

TRAITÉ
DU CULTE DES ICÔNES

Introduction et texte critique

par

le Père Dr. Ignace DICK

DU CLERGÉ GREC MELKITE CATHOLIQUE D'ALEP

1986